

وروس البلاغة

تأليف

سلطان محمد
مصطفى طموم

حفني ناصف
محمد دياب

شرح

فضيلة الشيخ العلامة اللغوي

محمد بن صالح العثيمين

رحمته الله (١٣٤٧ - ١٤٢١هـ)

اعتنى بهما

محمد بن فلاح المطيري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وروس البلاغة

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م



مكتبة أهل الأثر

الكويت - شارع الصحافة - مقابل مطابع الرأي العام التجاريه
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ فاكس ٤٨٣٨٤٩٥
الجهراء: ص. ب: ٢٨٨٨ - الرمز البريدي: ١٠٣٠
Website: www.gheras.com
E-Mail: info@gheras.com

الكويت - خيطان القديم - تلفاكس: ٤٧٦١٣٦٥ -
نقال: ٧٦٩٨٨٩٦
الكويت - الرحاب - ص. ب ٢٨٢
E - mail:
aahel_alather@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المعتمني

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣)

أَمَّا بَعْدُ (٤) :

(١) آل عمران.

(٢) النساء.

(٣) الأحزاب.

(٤) ما سَبَقَ هِيَ خُطْبَةُ الْحَاجَةِ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْتَبِخُ بِهَا خُطْبَهُ، وَهِيَ بَلِيغَةٌ فِي نَفُوسِ الْمُتَّقِينَ عَظِيمَةُ الرَّفْعِ مُذَكِّرَةٌ؛ بِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْوَصِيَّةِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالِاسْتِعَانَةِ وَالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ وَحْدَهُ، وَحَمْدِهِ وَطَلَبِ الْمَغْفَرَةِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ الْهَدَايَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِتَوْفِيقٍ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّ الْفَوْزَ الْحَقِيقِيَّ لَا يَكُونُ إِلَّا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَيَرْجِعُ الْفَضْلُ - بَعْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - فِي نَشْرِ هَذِهِ السُّنَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَإِحْيَائِهَا فِي =

فليس ثَمَّةَ وعاءٍ مُلئٍ فصاحةً وبلاغةً وبياناً أَجْمَعَ مِنْ كتابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ،
وليس في غابرِ الخَلْقِ إلى أن تقومَ الساعةُ أَتَيَنَ معنىً وأَفْصَحَ لَفْظاً وأَبْلَغَ قَضْداً في
نفوسِ سامِعِيهِ مِنْ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وليس في العُلُومِ الرَّدِيْفَةِ عِلْمٌ يَهْبُ النفوسَ مِنْ
كُنُوزِ الوَحْيَيْنِ سِحْراً وَتَبْراً أَكْرَمَ نَفْساً مِنْ عِلْمِ البلاغةِ والبيانِ.

ولَمَّا كانتِ الحاجةُ إليه عزيزةً، وبُغْيَةُ النفوسِ إليه عظيمةً؛ أَوْحَى مِدادُ
العارفينَ به إلى الصُّحُفِ ما أَوْحَى، فجاءَتْ به الأسفارُ الجَلِيلَةُ بما جادَتْ به
العربيةُ مِنْ فَيْضِ جواهرِها النِّيرةِ، وليس هذا مقامُ ذِكْرِ التَّليدِ منها والجديدِ، غيرَ
التَّوقُّفِ عند هذا المتنِ الفريدِ، الموسومِ علامةً بـ «دروس البلاغة»، لِمُؤَلِّفِيهِ:
حفني ناصف، ومحمَّد دياب، وسلطان محمَّد، ومصطفى طُموم^(١).

وهذا المتنُ - على صِغَرِهِ - حَظِيَّ بعنايةٍ مَنْ شَرَحَهُ مِنَ المشايخ والعلماءِ،
فمنهم عِلْمُ الدين محمد ياسين بن عيسى الفاداني الأندونيسيّ تحت عنوان: «حُسْنُ
الصِّيَاغَةِ شَرْحُ دروس البلاغة»، والشيخُ أبو الأفضال محمد الدامفوري تحت
عنوان: «شموس البلاغة».

وقد ذَكَرَ لي شيخُنا د. عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي - حفظه الله -
أنَّهُ دَرَسَ هذا المتنَ سنة ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) في الجامعة الرحمانية في مدينة
(بنارس) شمالَ الهندِ التابعة للجامعة السلفية، وأنَّهُ ما يزال يُدَرِّسُ هناك.

= عصرنا هذا إلى الإمام المحدث العلامة محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ (ت):
١٤٢٠هـ)، الذي ضَبَطَ ألفاظها وَجَمَعَ طُرُقَهَا وَخَرَّجَهَا ودعا إلى التمسُّكِ بها في رسالته
المشهورة: «خُطْبَةُ الحاجةِ التي كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُعَلِّمُها أصحابه»، فَرَحِمَهُ اللَّهُ رَحْمَةً
واسعةً.

(١) لم أحرص على تتبُّع تراجمهم، هذا إن وُجِدَ لبعضهم ترجمة، ولعلَّ أشهرهم هو حفني
ناصر المُتَوَفَّى سنة ١٣٣٨هـ.

ومن شُراحه مَنْ نحن بصَدِّه الآن وهو فضيلةُ الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ، فالشيخ رَحِمَهُ اللهُ عنايةً بالغةً باللغة العربية وعلومها، ولا أدلَّ على ذلك من شرحه لألفية ابن مالك في النحو والصرف، و- من قبل - متن الأجرؤمية، بالإضافة لشرح منظومة «الدرة اليتيمة» في النحو للحضرمي، وكتابته لقواعد في الإملاء، واختصاره لـ «مغني اللبيب عن كتب الأعراب» لابن هشام الأنصاري، وشرحه لعلوم البلاغة العربية هذه.

ومؤلفات الشيخ رَحِمَهُ اللهُ ودروسه زاخرةً بذكر المسائل اللغوية والنحوية والشواهد الشعرية، فلا تكادُ تقرأ للشيخ مؤلفاً، أو تسمعُ له شرحاً مُسجَّلاً؛ إلا وجدت الأعراب العديدة، والتوضيحات الكثيرة لغريب الكلمات لغةً ودلالةً.

وشرح البلاغة هذا ليس مُحَرَّراً بخطه رَحِمَهُ اللهُ، وإنما هو سلسلة دروس في شرح هذا المتن ألقاها رَحِمَهُ اللهُ على طلبته^(١)، وهي مُسجَّلة في خمسة أشرطة، قمتُ بتفريغها ووضع كل جزئية من الشرح في موضعه المناسب من المتن كحاشية له.

* ويجدر هنا التنبيه إلى أمورٍ تتعلق بشرحه رَحِمَهُ اللهُ :

١- قد يستطرد رَحِمَهُ اللهُ أحياناً في معنى بيت أو جزئية ما بعيداً عن الشاهد المطلوب.

٢- هناك بعض الجزئيات أو رؤيا الفقرات لم يقم رَحِمَهُ اللهُ بشرحها؛ إما لوضوحها أو سهواً منه رَحِمَهُ اللهُ.

(١) بدأ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في شرحه في ١٤/ ربيع الآخر / ١٤١٩ هـ، وانتهى منه في الرابع والعشرين من الشهر نفسه، وله رَحِمَهُ اللهُ شرح قديم لكن تسجيله غير واضح كثيراً.

٣ - أحياناً رَحِمَهُ اللهُ يأتي بلفظة عامية، فعندئذ أقوم باستبدال الفصحى بها، كما استبدلت (حَسَنًا) بـ (طَيِّب)، و(لماذا) بـ (ليش) ونحو ذلك.

٤ - كثيراً ما يُعبر رَحِمَهُ اللهُ عن المؤلفين بصيغة المفرد بقوله: (المؤلف).

٥ - قد يذكر رَحِمَهُ اللهُ أحياناً معلومة غير مُكتملة أو يُخطئ فيها سهواً منه، ففي هذه الحالة أقوم بإغائها، وأحياناً يسأل سؤالاً ثم يجيب عنه فأقوم بالربط بينهما بحذف أداة الاستفهام وتغيير ما يلزم، وأحياناً تحتاج العبارة إلى تعديل بسيط بحذف كلمة أو إضافتها، وأحياناً يُكرَّر بعض الجمل فأتبئ أسلمها، وهذا كله ولله الحمد قليلٌ وسيرٌ، فمن المعروف أن مقام التدريس والارتجال ليس كمقام التحرير وضبط المقال، ويشهد لهذا ما قاله^(١) فضيلة الشيخ العلامة المحدث عبد المحسن بن حمد العباد - حفظه الله - متحدثاً عن مؤلفات الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «ومؤلفاته تنقسم إلى قسمين:

١ - قسم حرَّره بنفسه وأخرجه بعد تحريره واطمئنانه إليه.

٢ - وقسم لم يُحرَّره، ولكنه استخرج من الأشرطة وطبع، فهذا مأخوذ من دروسه ومن الأشرطة التي اشتملت على دروسه ولكنه لم يُحرَّره، ولكنه لا شك أنها مفيدة وعظيمة النفع» اهـ.

*** عملي في هذا الكتاب:**

- ١ - ضبط كل من المتن وشرح الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بالتشكيل وعلامات الترقيم، غير أن التشكيل في شرح الشيخ جاء بقدر الحاجة إليه.
- ٢ - عزو الآيات الواردة فيهما.

(١) من محاضرة ألقاها حفظه الله على طلبة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة بعنوان «الشيخ محمد بن عثيمين وشيء من سيرته ودعوته».

- ٣- تخريج الأحاديث والآثار الواردة فيهما تخريجاً مختصراً.
- ٤- تبخير الآيات الشعرية الواردة فيهما.
- ٥- عزو الآيات التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ إلى قائلها.
- ٦- إثبات المتن في الطبقة الأولى، ثم شرح الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في الطبقة الثانية، ثم ما كان من تعليقٍ مِنِّي في الطبقة الثالثة، ويجب التنبيه هنا إلى أَنَّ الحاشية ذات الأرقام هي من كلام الشيخ رَحِمَهُ اللهُ، وَأَنَّ الحاشية ذات النجوم هي تعليقٌ لي.
- ٧- بالنسبة لأسئلة الطلبة بعد كلِّ درسٍ فَإِنِّي أَثَبْتُ منها ما كان واضحاً ونافعاً، ووضعتها في المكان المناسب لها من المتن أو الشرح.
- أَمَّا قَبْلُ، فَإِنَّ الشُّكْرَ دَيْنٌ أَيْ دَيْنٌ، وليس أحدٌ في هذا المقام بعد رَبِّ العِزَّةِ بأولى به من أستاذي الفاضلين: أ.د. موسى ربابعة، وفضيلة الشيخ خيرى ورابي، حَفِظَهُمَا اللهُ، اللّٰذَيْنِ درستُ عليهما البلاغة العربية، فجزاهما اللهُ خير الدارين.
- والله أسأل أن يجزي فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ خير الجزاء، وأن يوسع له في قبره، وأن يغلي درجته في الآخرة، ويحشره يوم القيامة مع الذين يقدّمهم الصحابي الجليل معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، إِنَّهُ وَلِيٌّ ذَلِكَ والقادرُ عليه.
- وهذا جهدٌ مُّقلٍ، على الكمالِ غيرُ مُطْلٍ، وصلى اللهُ وسلّم على النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ما ضاءَ بَدْرٌ وهَلَّ.

وَكَتَبَ

محمد بن فلاح بن مشعان المطيري

غفر اللهُ له ولوالديه وللمسلمين

الخميس ١٤٢٥/٥/٦ هـ

الموافق ٢٠٠٤/٦/٢٤ م

الكويت - صباح الناصر

ترجمة موجزة للعلامة

ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ

* اسمه: هو الشيخ العلامة الحَبْرُ البحر المفسّر الفقيه اللُّغويّ المدقّق الأصولي الزاهد الورع الإمام أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن سليمان ابن عبد الرحمن بن عثمان الوهبيّ التيميّ، وعثمان هذا أُطْلِقَ عليه (عثيمين) فاشتهرَ به.

* مولده: وُلِدَ الشَّيْخُ في مدينة عينة إحدى مُدُنِ القصيم في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ.

* نشأته وشيوخه: نشأ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ في عائلة معروفة بالدين والاستقامة، فقد تتلمذ ابتداءً على جده من جهة أمّه الشَّيْخ عبد الرحمن بن سليمان آل دماغ رَحِمَهُ اللهُ، ومن أشهر شيوخه وأكثرهم فقهاً وعلماً وأكثرهم ملازمةً له علامة القصيم المفسّر الفقيه الأصولي الشَّيْخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ، إذ أخذ عنه كثيراً من العلوم الشرعية من عقيدة وفقه وحديث وتفسير ولغة، ودرس أيضاً على يد سماحة الشَّيْخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله آل باز رَحِمَهُ اللهُ وكثيرٍ من علماء الحرمين ونجد والقصيم.

* من صفاته: رَزَقَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ ذكاءً وزكاءً وهمةً عاليةً في تحصيل العلم ومزاحمة الرُّكَب عند العلماء في حَلَقِ العلم، وكان منذ بداية طلبه للعلم مشغولاً بالتحصيل واغتنام الوقت وصرفه في المطالعة والمكوث الطويل في المكتبات.

وَعُرِفَ رَحِمَهُ اللهُ بالصدق والأمانة والزهد والإعراض عن الدنيا، وكان رَحِمَهُ اللهُ

حسن الخُلُق، كريم اليد، لَيْنَ الجانب، وعناية الشيخ بطلبة العلم ومعاملته لهم خير شاهد على بذله للعلم وحرصه على بثه بينهم، فكان يعقد الدروس لهم، ويسأل عن غائبهم، ويعود مريضهم، ويُعين مَنْ كان محتاجاً منهم، وكان رَحِمَهُ اللهُ آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، مُتَمَسِّكاً بِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، مستقيماً على طاعة الله.

* تلاميذه: لَمَّا اشْتَهَرَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ بسعة العلم والتبحر في المسائل الشرعية؛ حرص طلاب العلم على التوافد عليه من كل مكان والأخذ عنه، وقد أخذ طلابه أثناء حياته وبعد وفاته ينشرون العلم الذي اقتبسوه منه رَحِمَهُ اللهُ في بلدانهم التي جاؤوا منها.

ولكثرة طلابه ولوجازة هذه الترجمة؛ لا يمكن ذكرهم أو بعضٍ منهم، ويُرجع في ذلك إلى كتاب «الجامع لحياة العلامة محمد بن صالح العثيمين» لمؤلفه: وليد بن أحمد الحسين، وكتاب «الدُّرُ الثمين في ترجمة فقيه الأُمَّة العلامة ابن عثيمين» لمؤلفه: عصام بن عبد المنعم المري.

* بعض المناصب التي تقلدها: كان رَحِمَهُ اللهُ عضواً في هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، ومحاضراً في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، وكان مِمَّنْ يجلس في الحرم المكي في شهر رمضان للتدريس والإفتاء، وعُرِضَ عليه القضاء فطلب الإعفاء منه لِوَرَعِهِ رَحِمَهُ اللهُ.

* مؤلفاته: أَثَرَتِ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ المكتبة الإسلامية بالعديد من الكتب والمصنّفات التي لا يَسْتَغْنِي عنها أيُّ طالب علم، ومؤلفاته رَحِمَهُ اللهُ تربو على مِئَةِ مُصَنَّفٍ ما بين شرح ومختصر وكتيب ورسالة، بله الشروح المسجّلة في مئات الأشرطة، فمنها على سبيل الذكر لا الحصر:

- ١- الشرح الممتع على زاد المستقنع.
- ٢- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.
- ٣- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی.
- ٤- القول المفيد شرح كتاب التوحيد للمجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ.
- ٥- شرح بلوغ المرام للحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللهُ.
- ٦- الأصول من علم الأصول.
- ٧- المنهج لمريد الحج والعمرة.
- ٨- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ﷺ.
- ٩- حقوق دَعَتْ إليها الفطرة وقررتها الشريعة.
- ١٠- الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع.

* وفاته: تُوفِّيَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ الأَرْبَعَاءِ ١٥/١٠/١٤٢١هـ الموافق ١٠/١/٢٠٠١م بمدينة جدة في المملكة العربية السعودية إثرَ مَرَضٍ أَلَمَ بِهِ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ فِي الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ، وَدُفِنَ بِمَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ، رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً.

* * *

مقدمة المؤلفين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قَصَرَتْ عبارة البُلْغَاءِ عن الإحاطة بمعاني آياته، وَعَجَزَتْ أَلْسُنُ
الفُصَحَاءِ عن بيان بدائع مصنوعاتِهِ، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ مَلَكَ طَرْفِي الْبَلَاغَةِ
إِطْنَاباً وَإِيجَازاً، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْفَاتِحِينَ بِهِدْيِهِمْ إِلَى الْحَقِيقَةِ مَجَازاً^(١).

وبعدُ، فهذا كتابٌ في فنونِ البلاغةِ الثلاثة، سَهْلُ الْمَنَالِ، قَرِيبُ الْمَأْخِذِ،
بَرِيءٌ مِنَ وَضْمَةِ التَّطْوِيلِ الْمُجِلِّ، وَعَيْبِ الْإِخْتِصَارِ الْمُخِلِّ، سَلَكْنَا فِي تَأْلِيْفِهِ
أَسْهَلَ التَّرَاتِيْبِ، وَأَوْضَحَ الْأَسَالِيْبِ، وَجَمَعْنَا فِيهِ خُلَاصَةَ قَوَاعِدِ الْبَلَاغَةِ؛ وَأُمَمَاتِ
مَسَائِلِهَا، وَتَرَكْنَا مَا لَا تَمَسُّ إِلَيْهِ حَاجَةُ التَّلَامِيْذِ مِنَ الْفَوَائِدِ الزَّوَائِدِ؛ وَقُوفاً عِنْدَ حَدِّ
الذَّامِ، وَحِرْصاً عَلَى أَوْقَاتِهِمْ أَنْ تَضِيْعَ فِي حَلِّ مُعَقَّدٍ، أَوْ تُلْخِصَ مُطَوَّلٍ، أَوْ
تُكْمِلَ مُخْتَصَرٍ، فَتَمَّ بِهِ مَعَ كُتُبِ الدَّرُوسِ النَّحْوِيَّةِ سُلْمُ الدِّرَاسَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي
الْمَدَارِسِ الْإِبْتِدَائِيَّةِ وَالتَّجْهِيْزِيَّةِ.

والفضلُ في ذلك كُلِّهِ لِلْأَمِيرَيْنِ الْكَبِيرَيْنِ نُبَلَا، وَالْإِنْسَانَيْنِ الْكَامِلَيْنِ فَضْلاً،
نَاطِرِ الْمَعَارِفِ، الْمُتَجَافِي عَنِ مِهَادِ الرَّاحَةِ فِي خِدْمَةِ الْبِلَادِ، الْوَاقِفِ فِي مَنَفَعَتِهَا
عَلَى قَدَمِ الْإِسْتِعْدَادِ، صَاحِبِ الْعُطُوفَةِ: مُحَمَّدُ زَكِي بَاشَا، وَوَكِيلُهَا ذِي الْأَيْدِي

قال الشيخ العلامة اللغوي محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ:

(١) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مثل هذا الأسلوب يُسَمِّيهِ الْعُلَمَاءُ «بَرَاةَ الْإِسْتِفْتَاَحِ»، يَعْنِي: أَنَّ
الْإِنْسَانَ يَسْتَفْتِيحُ بِكَلَامٍ يَدُلُّ عَلَى الْمَوْضُوعِ، فَهَذَا يَقُولُ: «عِبَارَةُ الْبُلْغَاءِ» إِشَارَةً إِلَى هَذَا
الْفَنِّ: هُوَ عِلْمُ الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ، وَقَالَ أَيْضاً: «عَنْ بَيَانِ بَدَائِعِ مُصْنُوعَاتِهِ» بَدَائِعُ: [إِشَارَةٌ
إِلَى] عِلْمِ الْبَدِيعِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْفَنَّ يَعُودُ عَلَى هَذَا الشَّيْءِ.

البيضاء في تقدّم المعارف نحو الصّراطِ المستقيم، وإدارة شؤونها على المخوّر القويم، صاحب السعادة: يعقوب أرتين باشا، فهما اللذان أشارا علينا بوضع هذا النظام المفيد، وسلوك سبيل هذا الوضع الجديد.

حفني ناصف محمد دياب سلطان محمد مصطفى طموم

* * *

مقدمة

في

الفصاحة والبلاغة

مقدمة في الفصاحة والبلاغة

الفصاحة في اللغة تُنبئ عن البيان والظهور. يقال: «أَفْصَحَ الصَّبِيُّ فِي مَنْطِقِهِ» إِذَا بَانَ وَظَهَرَ كَلَامُهُ.

وتَقَعُ فِي الاصطلاح وَصْفًا للكلمة، والكلام، والمتكلم^(١).

١- فصاحة الكلمة: سلامتها من تنافر الحروف، ومخالفة القياس، والغرابية^(٢).

أ- فتنافر الحروف: وَصَفُ فِي الكلمة يُوجِبُ ثِقَلَهَا عَلَى اللِّسَانِ، وَعُسْرَ النُّطْقِ بِهَا، نَحْوُ: «الظُّش» لِلْمَوْضِعِ الْخَشِنِ، وَ«الْهُعُخ»^(٣) لِنَبَاتِ تَرَعَاهُ الْإِبِلُ،

(١) إِذَا مَوْضِعُ الفصاحة ثَلَاثَةٌ: الكلمة، والكلام، والمتكلم، كُلٌّ مِنْهَا يُقَالُ: «فَصِيح»، وَفَسَّرَهَا الْمُؤَلِّفُ.

(٢) سلامتها من ثلاثة أمور:

الأول: تنافر الحروف: يَعْنِي بِأَن تَكُونَ حُرُوفُهَا مِتَالِفَةً غَيْرَ مُتَنَافِرَةٍ، وَالتَّالِفُ: أَن يَسْهَلَ النُّطْقُ بِهَا مُجْتَمِعَةً، وَالتَّنَافَرُ: أَن يَضَعَبَ النُّطْقُ بِهَا مُجْتَمِعَةً.

الثاني: مخالفة القياس: يَعْنِي الْقِيَاسَ النَّحْوِيَّ، فَمَا خَالَفَ الْقِيَاسَ النَّحْوِيَّ أَوْ الصَّرْفِيَّ فَإِنَّهُ غَيْرُ فَصِيحٍ.

الثالث: [الغرابية].

(٣) هذه فيها تنافر حروف؛ لِأَنَّهُ يَضَعَبُ النُّطْقُ بِهَا؛ إِذْ أَنَّ كُلَّ حَرْفٍ لَا يَتَلَاءَمُ بِمَا بَعْدَهُ، «الظُّش» أَهْوَنُ مِنْهَا، يَعْنِي (الظُّش) لَيْسَ فِيهِ تَنَافَرٌ كَثِيرٌ^(*).

(*) وهذه إشارة منه كَمَا لَمْ يَكُنْ إِلَى أَنَّ الثَّقَلَ النَّاتِجَ عَنْ تَنَافَرِ الْحُرُوفِ يَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ:

١- ثَقُلٌ شَدِيدٌ. ٢- ثَقُلٌ خَفِيفٌ.

و«الثَّقَاخ» للماء العَذْب الصَّافِي، و«المُسْتَشْزِر» للمَفْتُول^(١).

ب- ومخالفة القياس: كون الكلمة غير جارية على القانون الصَّرْفِي^(*)، كَجَمْع «بُوق» على «بُوقَات» في قول المُتَنَبِّي [الطويل]:

فَإِنْ يَكُ بَعْضُ النَّاسِ سَيْفًا لِلدَّوْلَةِ ففِي النَّاسِ بُوقَاتُ لَهَا وَطُبُولُ

إِذِ الْقِيَاسُ فِي جَمْعِهِ لِلْقِلَّةِ: «أَبُوق»، وك «مَوْدَّة» في قوله [الرَّجَز]:

إِنَّ بَنِيَّ لِلنَّائِمِ زَهْدَهُ مَا لِي فِي صُدُورِهِمْ مِنْ مَوْدَّةٍ

والقياس: «مَوْدَّة» بالإدغام^(٢).

ج- والغرابة: كون الكلمة غير ظاهرة المعنى، نحو: «تَكَأَكَأَ» بمعنى: اجْتَمَعَ، و«أَفَرَنْقَعَ» بمعنى: انصَرَفَ، و«أَطْلَحَمَ» بمعنى: اشْتَدَّ^(٣).

(١) هذه كلها كلمات متنافرة، لكن «الثَّقَاخ» ليس فيه تنافر إلى ذاك، إلا أنها كلمة مُسْتَهْجَنَةٌ، بمعنى أَنَّ النَّفْسَ لا ترتاح لها، فالماء الصافي العَذْب لا ينبغي أن يُوصَفَ بهذا الوصف.
(٢) إذا الفرق في موضع الإدغام يُعْتَبَر غير فصاحةٍ لمخالفة القياس، كذلك «أَبُوق» إذا قال «بُوقَات» فهذا مخالف للقياس؛ لأنَّ القياس أن يُجْمَعَ على «أَبُوق» لا على «بُوقَات».
(٣) يعني لو قال إنسان: «اليومَ أَطْلَحَمَ الحرُّ» يعني: اشْتَدَّ، هذا غريب، يعني غير معهود أن يُعَبَّر بكلمة «أَطْلَحَمَ» عن «اشْتَدَّ»، كذلك «تَكَأَكَأَ» بمعنى: اجْتَمَعَ، وهذا أيضاً غريب، فإذا عبَّر الإنسان عن «اجْتَمَعَ» بـ «تَكَأَكَأَ» قيل: الكلام غير فصيح لغرابة الكلمة.
إذا:

١- تنافر الحروف في الكلمة يُعَدُّ غير فصاحة.

٢- كونها على خلاف القياس - كالفك في موضع الإدغام - أيضاً غير فصيح؛ لأنها مخالفة للقياس.

(*) وَيُسَمَّى من ذلك: ما اسْتَحْيَى من القواعد الصرفية وهو مخالف للقياس، فيُعَدُّ فصيحاً، مثل: «مسجد» بكسر الجيم، والقياس فتحها؛ لأنَّ مضارعه مضموم العين فيكون على وزن «مَفْعَل»، ولكن هكذا نطقت به العرب.

٢- وفصاحة الكلام: سلامته من تناثر الكلمات مُجْتَمَعَةً، ومن ضَعْفِ التَّأْلِيفِ، ومن التعقيدِ (*)، مع فصاحة كلماته.

أ- فالتناثر: وَضِفَ في الكلام يُوجِبُ ثِقَلَهُ على اللسان وعُسْرَ التُّطْقِ به، نحو [الكامل]:

... .. في رَفْعِ عَرْشِ الشَّرْعِ مِثْلَكَ يَشْرَعُ
[الرَّجَز]:

... .. وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ^(١)

= ٣- غرابتها بحيث لا تُستعمل إلا قليلاً، غير فصيحة لغرابتها.

يقول الحريري في مقاماته (**): رَكَّكْتُ [البسيط]:

وطالما مَرَّ بي كَلْبٌ وفي فَمِهِ ثَوْرٌ ولكِنَّهُ ثَوْرٌ بلا ذَنْبٍ

ما الذي يُفهم من هذا؟، الثَّور: هو قُرْصُ البَقْلِ، هذا يُسَمَّى ثَوْرًا في اللغة العربية، لكن التعبير عنه بكلمة «ثَوْرٍ» غريبٌ، فيعتبر هذا غير فصيح (***) .

(١) الآن لو نَظَرْنَا إلى الكلمات: «عَرْش» و«شَرْع» و«يَشْرَع» [لَوَجَدْنَاهَا] كلماتٍ غير متنافرة =

(*) وأيضاً: سلامته من تتابع الإضافات: وهو كون الاسم مضافاً إضافة متداخلة غالباً، كقوله [الطويل]:

حَمَامَةٌ جَزَعَا حَوْمَةَ الْجَنْدَلِ اسْجَمِي فَأَنْتِ بَمَرْأَى مِنْ سَعَادٍ وَمَسْمَعِي

(**) انظر: «المقامة السَّيَوِيَّة».

(***) سُئِلَ الشيخ رَكَّكْتُ فيما بعد هذا السؤال:

الطالب: الأبيات التي ذُكِرَتْ وما فيها من غرابةٍ وخلافٍ الفصاحة قد تكون في زمن الناظم أو الشاعر فصيحة مقبولة... .

فأجاب رَكَّكْتُ: ليس على كل حال، ولا عبرة بالحال العارضة، وأحياناً المتكلم أو الناظم يأتي بالغرابات لأجل أن يجتهد الناس في الوصول إلى معنى الكلام، أو ليقال: إنَّه رجل فصيح له اطلاع قوي في اللغة العربية.

الطالب: يا شيخ! قد يكون في كلام النبي ﷺ بعض الألفاظ الغريبة، حتى أَلَّفَ العلماء كتاباً غريب الحديث، فهل نقول: هذا خلاف الفصاحة؟

الشيخ رَكَّكْتُ: لا؛ لأنَّ الرسول ﷺ ما أتى بهذه الكلمة الغريبة إلا في محلِّها.

[الطويل]:

كريمٌ متى أمدَّحه أمدَّحه والورى معي، وإذا ما لُمْتُه لُمْتُه وَحْدِي^(١)

ب- وَضَعُفُ التَّأْلِيفِ: كَوْنُ الْكَلَامِ غَيْرَ جَارٍ عَلَى الْقَانُونِ النَّحْوِيِّ الْمَشْهُورِ^(٢)، كَالِإِضْمَارِ قَبْلَ الذِّكْرِ لَفْظاً وَرُتَبَةً فِي قَوْلِهِ [البسيط]:

جَزَى بَنُوهُ أَبَا الْغَيْلَانِ عَنْ كَبِيرٍ وَحُسْنِ فَعْلٍ كَمَا يُجْزَى سِنِمَارُ^(٣)

= الحروف، لكن جَمْعُ بعضها إلى بعض يُوجِبُ التَّنَافَرَ، فيكون عَدَمُ الفَصَاحَةِ فِي الْكَلَامِ، كَذَلِكَ أَيْضاً كَلِمَةُ «قَبْر» وَ«قُرْب» لَيْسَ فِيهَا تَنَافَرٌ بِالنِّسْبَةِ لِلْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ، لَكِنْ بِالنِّسْبَةِ لِضَمِّ الْكَلِمَاتِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ يَكُونُ تَنَافَرٌ، فيقال: الْكَلَامُ غَيْرُ فَصِيحٍ لِتَنَافَرِ كَلِمَاتِهِ.

(١) هَذَا الْبَيْتُ قَوِيٌّ الْمَعْنَى، يَعْنِي: «أَنْتِي إِذَا مَدَحْتَ فَالْوَرَى كُلُّهُمْ يَمْدَحُونَهُ، وَإِذَا لُمْتَ لَمْ يَلُمَّهُ أَحَدٌ»، الْبَيْتُ قَوِيٌّ جِدّاً فِي الثَّنَاءِ عَلَى الْمَمْدُوحِ، لَكِنَّهُ مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ غَيْرُ فَصِيحٍ؛ لِأَنَّ كَلِمَاتِهِ مُتَنَافِرَةٌ.

(٢) إِنْتَبَهْ لِكَلِمَةِ «الْمَشْهُورِ»، لَوْ كَانَ غَيْرَ جَارٍ عَلَى الْقَانُونِ النَّحْوِيِّ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ فَهَذَا لَا يَصْلُحُ أَصْلاً، فَلَا يَقَالُ: إِنَّهُ كَلَامٌ غَيْرُ فَصِيحٍ، بَلْ يَقَالُ: إِنَّهُ غَيْرُ كَلَامٍ وَغَيْرُ فَصِيحٍ، مِثْلاً لَوْ قَالَ: «قَامَ زَيْدًا» هَذَا غَيْرُ جَارٍ عَلَى الْقَانُونِ؛ الْقَانُونُ بَرَفَعِ «زَيْدًا»، لَكِنْ هَلْ هَذَا الْقَانُونُ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ أَوْ مُخْتَلَفٌ فِيهِ؟ مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، إِذَا هَذَا يُعَدُّ كَلَاماً فَاسِداً، لَا يَقَالُ: إِنَّهُ كَلَامٌ غَيْرُ فَصِيحٍ، بَلْ يَقَالُ: إِنَّهُ كَلَامٌ فَاسِدٌ، تَرْكِيبٌ لَا تُجِيزُهُ اللَّغَةُ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

(٣) أَمَّا عَوْدُ الضَّمِيرِ عَلَى مُتَأَخِّرٍ لَفْظاً وَرُتَبَةً فَهَذَا فِيهِ خِلَافٌ: هَلْ هُوَ جَائِزٌ أَوْ لَا؟، فَلِذَلِكَ كَانَ عَوْدُ الضَّمِيرِ إِلَى مُتَأَخِّرٍ لَفْظاً وَرُتَبَةً يُجْعَلُ الْكَلَامُ غَيْرُ فَصِيحٍ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ جَارٍ عَلَى الْقَانُونِ الْمَشْهُورِ.

«بَنُوهُ أَبَا الْغَيْلَانِ»: بَنُوهُ: الْهَاءُ مُتَصِلَةٌ بِالْفَاعِلِ، وَهِيَ تَعُودُ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ، فَهِيَ عَائِدَةٌ عَلَى مُتَأَخِّرٍ لَفْظاً وَرُتَبَةً، وَهَذَا مُخَالِفٌ لِلْقَانُونِ الْمَشْهُورِ، إِذْ أَنَّ الْمَشْهُورَ أَنَّ الضَّمِيرَ لَا يَعُودُ عَلَى مُتَأَخِّرٍ لَفْظاً وَرُتَبَةً كَمَا مَرَّ عَلَيْنَا ذَلِكَ فِي أَصُولِ التَّفْسِيرِ.

«عَنْ كَبِيرٍ» يَعْنِي: إِذَا كَبُرَ وَتَقَدَّمَ بِهِ السَّنُّ.

ج- والتعقيد: أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد.

والخفاء:

- إما من جهة اللفظ؛ بسبب تقديم أو تأخير أو فضل، ويسمى تعقيداً لفظياً، كقول المتنبي [الكامل]:

جَفَحَتْ وَهُمْ لَا يَجْفَحُونَ بِهَا بِهِمْ شِيمٌ عَلَى الْحَسْبِ الْأَعْرُ دَلَائِلُ
فَإِنْ تَقْدِيرُهُ: جَفَحَتْ بِهِمْ شِيمٌ دَلَائِلُ عَلَى الْحَسْبِ الْأَعْرُ، وَهُمْ لَا يَجْفَحُونَ بِهَا^(١).

- وإما من جهة المعنى؛ بسبب استعمال مجازات وكنيات لا يفهم المراد

= «وَحَسَنَ فِعْلٍ»: يعني: أَحَسَنَ إِلَى أَوْلَادِهِ.

«كَمَا يُجْزَى سِنْمَارُ»: سِنْمَارُ هَذَا رَجُلٌ بَنَى قَصْرًا عَظِيمًا جِدًّا جِدًّا لِأَحَدِ الْمُلُوكِ لَا يُمَاتِلُهُ قَصْرٌ، فَلَمَّا انْتَهَى مِنَ الْقَصْرِ وَمِنْ صُنْعِهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَسْكُنَهُ الْمَلِكُ؛ صَعِدَ [الْمَلِكُ] بِالْبَانِي [الَّذِي هُوَ سِنْمَارُ] ثُمَّ رَمَى بِهِ مِنْ فَوْقَ عَلَى الْأَرْضِ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَبْنِي مِثْلَهُ لِأَحَدٍ غَيْرِهِ، فَكَانَ مَضْرِبَ الْمَثَلِ، سِنْمَارُ بَعْدَ أَنْ أَحْسَنَ بِنَاءَ هَذَا الْقَصْرِ جَزَاؤُهُ أَنْ يُرْمَى بِهِ مِنْ فَوْقَ، وَعِنْدَ الْعَوَامِّ مَثَلٌ يُقَارِبُ لِهَذَا، يَقُولُ: «رَجُلٌ حَجَّ عَلَى بَعِيرٍ مِنْ بَلَدِهِ حَتَّى رَجَعَ إِلَيْهِ عَلَى هَذَا الْبَعِيرِ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْبَلَدِ دَبَّحَهُ وَجَعَلَهُ وَلِيمَةً لِقُدُومِهِ مِنَ السَّفَرِ»، فَيَقُولُ الْعَوَامُّ: «جَزَاءُ نَاقَةِ الْحَجِّ دَبْحُهَا»، هَذَا كَلَامُ الْعَوَامِّ، وَأَمَّا هُوَ مِنْ حَيْثُ الشَّرْعُ لَا بَأْسَ بِهِ، رَجُلٌ رَكِبَ الْبَعِيرَ وَحَجَّ بِهِ وَرَجَعَ وَهُوَ فِي غِنَى عَنْهُ قَدْ دَبَّحَهُ.

(١) أَوَّلًا مَا مَعْنَى «جَفَحَتْ»؟!، هَذِهِ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ نَقْصِ الْبَلَاغَةِ وَهُوَ الْغَرَابَةُ، لِهَذَا هَذَا لَا يُسْتَعْمَلُ بِهَذَا الْمَعْنَى.

يقول: «جَفَحَتْ» أَي: عَلَتْ، «وَهُمْ لَا يَجْفَحُونَ بِهَا بِهِمْ» كَلَامٌ مُعَقَّدٌ، الْمَعْنَى: جَفَحَتْ بِهِمْ وَهُمْ لَا يَجْفَحُونَ بِهَا، فـ «بِهِمْ» مُتَعَلِّقَةٌ بِـ «جَفَحَتْ»، وَ«بِهَا» مُتَعَلِّقَةٌ بِـ «يَجْفَحُونَ»، وَالْمَعْنَى: أَنَّ هَذِهِ الشَّيْمَ عَلَتْ بِهِمْ وَهُمْ لَا يَغْلَوْنَ بِهَا؛ لِأَنَّهُمْ أَشْرَفُ مِنْهَا وَأَعْلَى مِنْهَا.

بها، وَيُسَمَّى تعقيداً معنوياً، نحو قولك: «نَشَرَ الْمَلِكُ أَلْسَتَهُ فِي الْمَدِينَةِ» مُريداً جواسيسه، والصَّواب: «نَشَرَ عِيُونَهُ»^(١)، وقوله [الطويل]:

سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا وَتَسْكُبَ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لِتَجْمُدَا

حيث كَنَى بالجمود عن السُّرور، مع أَنَّ الْجُمُودَ يُكْنَى به عن الْبُخْلِ بالدُموع وَفَتْ الْبُكَاءِ^(٢).

٣- وفصاحة المتكلم: مَلَكَهْ يُقْتَدَرُ بها على التعبير عن المقصود بكلام فصيح في أيِّ غَرَضٍ كان^(٣).

(١) الآن، التعقيد إما من جهة اللفظ، وإما من جهة المعنى، فإذا كان الكلام مُعَقَّداً فليس بفصيح، سواء كان التعقيد لفظياً - كالتقديم والتأخير - الذي يَضَعُ به فهم المعنى، أو معنوياً كأن يأتي بكلمات بعيدة عن المراد.

«نَشَرَ الْمَلِكُ أَلْسَتَهُ فِي الْمَدِينَةِ»، لو أراد «أَلْسَتَهُ»: «حُطْبَاءَهُ»؛ لكان فصيحاً غير مُعَقَّداً، لكن يريد جواسيسه، [و] هذا غير صحيح بعيد المعنى، إذ أَنَّ الْجَوَاسِيسَ يُسَمَّوْنَ عِيُوناً؛ لأنَّ الْجَاسُوسَ ينظر في الملامح وفي الأشياء التي تُعَدُّ قرائن، فالمهمُّ أَنَّهُ إذا قال: «نَشَرَ الْمَلِكُ أَلْسَتَهُ فِي الْمَدِينَةِ» يريد الجواسيس؛ فهذا الكلام غير فصيح؛ لأنَّ فيه تعقيداً معنوياً، إذ أَنَّ الْأَلْسَنَةَ لا يُعْبَرُ بها عن الجواسيس.

(٢) هذا البيت مُعَقَّداً تعقيداً معنوياً، «سَأَطْلُبُ بُعْدَ الدَّارِ عَنْكُمْ لِتَقْرُبُوا»؛ لأنَّه إذا أَبْعَدَ تَبْعُوهُ، فهو كُلُّمَا أَبْعَدَ قَرَّبُوا منه، «وَتَسْكُبُ عَيْنَايَ الدَّمُوعَ لِتَجْمُدَا» وهذا غير صحيح؛ لأنَّه يريد «لتسكب عيناى الدموع»: لأَسْرَ، وهذا لا يتناسب مع قوله: «لِتَجْمُدَا». إذا سَبَقَ لَنَا فصاحة الكلمة وفصاحة الكلام، بقي فصاحة المتكلم.

(٣) فصاحة المتكلم نوعان:

١- غريزة: يَمُنُّ اللَّهُ بها على مَنْ يشاء مِنْ عبادِهِ، فيجعله فصيحاً قَوِيَّ الكلام قَوِيَّ الإقناع.

٢- ومُكْتَسَبَةٌ: وذلك بالتمرُّن على الحُطْبَةِ، ولو أن تَخْرُجَ إِلَى الْبَرِّ وَتَسْتَحْضِرَ =

والبلاغة في اللغة: الوصول والانتهاء. يقال: «بَلَغَ فلانٌ مُرادَه»: إذا وَصَلَ إليه، و«بَلَغَ الرُّكْبُ المدينةَ»: إذا انتهى إليها.

وتقع في الاصطلاح وَصفاً للكلام والمتكلم^(١).

= الأشجارَ حولك كأنهم رجالٌ ثم تَخُطِبُ فيهم، فإن شئتَ فقل: أيها الناس!، وإن شئتَ فقل: أيها الأشجار!، المهمُّ أن تتعوَّدَ على الخطابة.

فالفصاحة إذاً نوعان، فصاحةٌ غريزةٌ يَمُنُّ اللهُ بها على مَنْ يشاء من عباده، فتجد المتكلمَ طالبَ علمٍ صغيراً ومع ذلك يَخُطِبُ الخطبةَ البليغةَ العظيمةَ، وتجد بعضَ الناس عالمًا كبيراً وفقياً يُحرِّراً ومع ذلك لا يكاد يتكلَّم إلا كلاماً مُعَقَّداً ركيكاً، وأيضاً بعضُ الناس يكون فصيحاً في الكتابة غيرَ فصيحٍ في الخطابة، وقد حَكى لنا شيخنا(*) تلميذُ شيخنا ابنِ سعدي رحمهما الله أنَّ الشيخَ مُحَمَّدَ رشيد رضا صاحبَ القلم السَّيَّالِ المعروف؛ كان إذا تكلَّم لا يتناسب كلامه مع كتابته، بل كلامه ضعيفٌ جدًّا، وإن شئتَ أن تُعرِفَ ذلك فانظُرْ إلى كلام ابن الجوزي الواعظ المشهور، وإلى كلام ابن تيمية؛ تجد بينهما فرقاً من حيث التأثير، لا من حيث القوة المعنوية والاستدلال والأدلة، لا، لكن من حيث التأثير ابنُ الجوزي يَهْزُ عشرات الآلاف في خطبته، ورُبَّما يموت بعضُ الناس من شِدَّةِ تأثيره، وابنُ تيمية لا يبلغ هذا المبلغ.

وقول المؤلف: «في أيِّ غَرَضٍ كان» هذه نقطةٌ مهمَّة؛ لأنَّ بعضَ الناس يكون فصيحاً في غَرَضٍ من الأغراض [و] غيرَ فصيحٍ في غَرَضٍ من الأغراض، تجده مثلاً إذا تكلَّم في باب الأصول يكون فصيحاً جيِّداً، [و] إذا تكلَّم في فقهه يكون رديئاً، والعكس.

والمهمُّ أن نعرِفَ أنَّ فصاحةَ المتكلمِ هو قدرته على التعبير عمَّا في ضميره بكلام فصيح، وعَرَفْتُمُ الكلامَ الفصيحَ أنَّه يكون فصيحاً في نفسه وفصيحاً في كلماته، يعني: اشتمَلَ على فصاحة الكلمة وفصاحة التركيب.

(١) هنا سَقَطَ شيءٌ من الفصاحة، وهو فصاحة الكلمة؛ لأنَّ البلاغة لا تكون إلا في كلامٍ =

(*) يظهر - والله أعلم - أنَّه الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع رَحِمَهُ اللهُ (ت ١٣٨٣هـ)، فقد كان الشيخ ابن عثيمين ممَّن قرؤوا ابتداءً على كبار طلبة الشيخ السعدي قبل أن يقرأ عليه، ويؤيِّد ذلك قوله في مقابلةٍ إذاعيَّةٍ معه: «كُنْتُ من نصيب الذين يقرؤون على الشيخ المطوع»، انظر: «الدر الثمين في ترجمة فقيه الأمة العلَّامة ابن عثيمين» (ص ٢٧).

١- فبلاغة الكلام: مطابقته لمقتضى الحال^(١)، مع فصاحته^(٢).

والحال- ويسمى بالمقام-: هو الأمر الحامل للمتكلم على أن يورد عبارته على صورة مخصوصة.

والمقتضى- ويسمى الاعتبار المناسب - : هو الصورة المخصوصة التي تُوردُ عليها العبارة، مثلاً: المدحُ حالٌ يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب، وذكاء المخاطب حالٌ يدعو لإيرادها^(٣) على صورة الإيجاز، فكلٌّ من المدح والذكاء حالٌ، وكلٌّ من الإطناب والإيجاز مقتضى، وإيراد الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز مطابقة للمقتضى^{(٤)(٥)}.

= مُرَكَّبٌ بخلاف الفصاحة، لذلك أَسَقَطَ هنا فصاحة الكلمة^(*)، ولكن مع ذلك لا بد أن يكون الكلام البليغ فصيحاً، فالفصاحة ملازمة لنا في كل شيء، إذا فَقِدَتِ الفصاحة فَقِدَتِ البلاغة، وإن فَقِدَتِ البلاغة فَقَدَ تَفَقَّدَ الفصاحة وقد لا تَفُقَدُ^(**).
والبلاغة تكون وَضْفاً للكلام والمتكلم [لا للكلمة]؛ لأنَّ الكلام إنما يكون في الجُمْلِ المركَّبة لا في المُفْرَدَاتِ.

(١) «مطابقته لمقتضى الحال» هذه مُهِمَّةٌ جَدًّا، وهي من الحكمة، لو رأيتَ إنساناً غَضِبَانَ مُتَكَدِّراً تَعْبَاناً؛ هل تُوردُ عليه من الكلام ما يزيدُه غَمًّا وَهَمًّا؟ لا، لا يمكن، هذه ليست بلاغة، إنما تخاطبه بما تقتضيه حاله.

(٢) وهو لا يكون فصيحاً إلا بفصاحة كلماته.

(٣) «لإيرادها»: أي : إيراد العبارة.

(٤) «للمقتضى»: أي : لمقتضى الحال.

(٥) الإنسان الذكي هل يحتاج أن تُرَدَّدَ عليه الكلام وتُطَوَّلَ له الكلام؟ لا؛ لأنَّه ذكي، لو تُرَدَّدَ عليه اتَّقَدَّكَ، وفي حال المدح طَوَّلَ العبارة، أَكْثَرَ من المدح، ولذلك تجد أنَّ النَّبِيَّ ﷺ حين يسأل الله يسأل بإطناب وتطويل: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، علانيته =

(*) وإنما لم توصف الكلمة بالبلاغة؛ لقصورها عن الوصول بالمتكلم إلى غرضه.

(**) قال ابن الأثير: «كلُّ كلامٍ بليغٍ فصيحٌ، وليس كلُّ فصيحٍ بليغاً».

٢- وبلاغة المتكلم: مَلَكَه يُقْتَدِرُ بها على التعبير عن المقصود بكلامٍ بليغ، في أيِّ عَرَضٍ كان.

ويُعرَفُ التناوُفُ: بالذَّوقِ، ومخالفةُ القياسِ: بالصَّرْفِ، وضَعْفُ التَّأليفِ والتعقيدُ اللَّفْظِيُّ: بالنَّحْوِ، والغرابةُ: بكثرةِ الاطِّلاعِ على كلامِ العربِ، والتعقيدُ المعنويُّ: بالبيانِ، والأحوالُ ومقتضياتها: بالمعاني.

فَوَجَبَ على طالبِ البلاغةِ معرفةُ اللُّغةِ والصَّرْفِ والنَّحْوِ والمعاني والبيانِ، مع كونه سليمَ الذَّوقِ، كثيرَ الاطِّلاعِ على كلامِ العربِ^(١).



= وَسِرَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ^(*)، «اللهم اغفر لي ما قَدَّمْتُ وما أَخَّرْتُ، وما أَسْرَرْتُ وما أَعْلَنْتُ، وما أنت أعلمُ به مِنِّي»^(**)، كل هذه إطناب؛ لأنَّ المقامَ يقتضيه، إذ أنك تُخاطِبُ مَنْ؟ تُخاطِبُ أَحَبَّ مَنْ تُخاطِبُهُ، وهو الله عزَّ وجلَّ.

في دعاء الميِّت: «اللهم اغفر لحينا وميِّتنا، وشاهدينَا وغائبينا، وصغيرينا وكبيرنا، وذَكَرنا وأَنْثانا»^(***)، مع أَنَّهُ يُغْنِي عن كل هذا: «لحينا وميِّتنا»؛ لأنَّ كُلَّ هَؤُلاءِ إمَّا أَحْيَاءُ وإمَّا أَمْوات، فلكلِّ مقامٍ مقالٌ، لو قُلْتَ لَذِكِّي: «قُمْ قُمْ قُمْ»؛ فسيقول: أنا بليد تُرَدُّ عَلَيَّ كلمة «قُمْ»؟!، أنا لو أريد أن أقوم قُمْتُ، لكن لا سَمْعاً ولا طاعةً.

(١) نحن لو أردنا أن نأخذ بكلام المؤلف هذا كان من الآن رَجَعْنَا، إذا كان علمُ البلاغةِ [يَتَطَلَّبُ] كُلَّ هذا: اللُّغة والصَّرْف والنَّحْو والمعاني والبيان وَكَوْنَ الإنسانِ مِنَّا سليمَ الذَّوقِ كثيرَ الاطِّلاعِ على كلامِ العرب؛ معناه أن نقول: من الآن رَجَعْنَا ولا داعي للبلاغة، لكنِّي أقول لكم: هذا غير صحيح أبداً، وستعلمون ذلك - إن شاء الله - مِن دراسة هذا الفَرْقِ، هذا الفَرْقُ الإنسانَ بِذَوْقِهِ يشَاقُ إليه، وتجده نشيطاً دائماً في قراءته، وسيَبَيِّنُ إن شاء الله.

(*) رواه مسلم (٤/رقم: ٢١٦).

(**) رواه البخاري (٩٧/٢٤)، ومسلم (٤٨/رقم: ٧٠) واللفظ له.

(***) رواه أحمد في مسنده (٣٦٨/٢)، وأبو داود (٦٠/١٥)، والترمذي (٣٨/٨)، والنسائي (٧٧/٢١)،

وابن ماجه (٢٣/٦)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (رقم: ١٦٧٥).

عِلْمُ الْمُعَانِي

عِلْمُ الْمَعَانِي

هو عِلْمٌ يُعَرَفُ به أحوالُ اللَّفْظِ الْعَرَبِيِّ الَّتِي يُطَابِقُ بِهَا مُقْتَضَى الْحَالِ، فَتَخْتَلِفُ صُورُ الْكَلَامِ لِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ، مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، فَإِنَّ مَا قَبْلَ «أَمْ» صُورَةٌ مِنْ صُورِ الْكَلَامِ تُخَالِفُ صُورَةً مَا بَعْدَهَا؛ لِأَنَّ الْأَوَّلَى فِيهَا فِعْلُ الْإِرَادَةِ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ، وَالثَّانِيَةُ فِيهَا فِعْلُ الْإِرَادَةِ مَبْنِيٌّ لِلْمَعْلُومِ، وَالْحَالُ الدَّاعِي لِذَلِكَ نِسْبَةُ الْخَيْرِ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الثَّانِيَةِ، وَمَنْعُ نِسْبَةِ الشَّرِّ إِلَيْهِ فِي الْأَوَّلَى^(١).

وَيَنْحَصِرُ الْكَلَامُ هُنَا عَلَى هَذَا الْعِلْمِ فِي سِتَّةِ أَبْوَابٍ.

* * *

(١) هَذَا مِنَ الْبَلَاغَةِ، ﴿وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ هَذَا يَقُولُهُ الْجَنُّ، وَلَمْ يَقُولُوا: «أَشَرُّ أَرَادَ اللَّهُ بَمَنَ فِي الْأَرْضِ»، مَعَ أَنَّ الْإِرَادَةَ إِرَادَةُ اللَّهِ، لَكِنْ تَحَاشِيًا لِإِضَافَةِ الْإِرَادَةِ^(*) إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالُوا: ﴿أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ﴾، فَبَنَوْا الْفِعْلَ يَقُولُ الْمُؤَلَّفُ: «لِلْمَجْهُولِ» وَنَحْنُ نَقُولُ: «لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ» كَمَا عَبَّرَ ذَلِكَ ابْنُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْأَلْفِيَّةِ وَكَمَا هُوَ وَاضِحٌ، فَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] الْخَالِقُ مَعْلُومٌ، لَكِنْ بُنِيَ الْفِعْلُ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ.

﴿أَشَرُّ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مُطَابِقَةٌ لِمُقْتَضَى الْحَالِ؛ لِأَنَّ مُقْتَضَى الْحَالِ الْأَنْفِيسُ تُضِيفُ الشَّرَّ إِلَى اللَّهِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»^(**)، أَمَّا الْخَيْرُ فَيُضَافُ إِلَى اللَّهِ لِأَنَّهُ خَيْرٌ، وَلِهَذَا قَالُوا: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ وَلَمْ يَقُولُوا: «أَمْ أَرَادَ اللَّهُ؛ لِأَنَّ الرَّبَّ» أَخْصَصُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالِ الرَّبِّ مِنَ الْإِلَهِ.

(*) أَي: إِرَادَةُ الشَّرِّ.

(**) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٦/رقم: ٢٠١).

الباب الأول
الخبر والإنشاء

الخبر والإنشاء

كلُّ كلامٍ فهو إمَّا خَبَرٌ أو إنْشاءٌ^(١).

والخَبَرُ: ما يَصِحُّ أن يُقالَ لقائِلِه: إنَّه صادقٌ فيه أو كاذِبٌ، كـ «سافِرٌ محمَّدٌ» و«عليٌّ مُقيمٌ»^(٢).

والإنشاءُ: ما لا يَصِحُّ أن يُقالَ لقائِلِه ذلك، كـ «سافِرٌ يا محمَّدٌ»، و«أَقِمَّ يا عليٌّ»^(٣).

(١) صحيح، لا يَخْرُجُ عن هذا، ليس هناك كلامٌ ليس خبراً ولا إنشاءً، بل كلُّ كلامٍ في الدنيا - عريباً كان أو أعجمياً - فإنَّه إمَّا خبرٌ وإمَّا إنشاءٌ.

(٢) وهنا «أو كاذِبٌ» للتنويع، ليس معناه: «أَنَّ كلَّ خبرٍ يَصِحُّ أن نقول: إنَّه صادق أو كاذِبٌ»، بل إمَّا أن يُوصَفَ بأنَّه صادق أو يُوصَفَ بأنَّه كاذِبٌ.

أخبارُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ورسوله لا يمكن أن تُوصَفَ بأنَّها كاذِبة، وأخبارُ مُسَيَّلِمَةَ الكَذَّابِ وأشباهه لا يمكن أن تُوصَفَ بالصدق، لكن هذا ليس بالنظر إلى الجملة مثلاً، بل بالنظر إلى المتكلم، فامتناعُ الصدقِ في كلام مُسَيَّلِمَةَ وأشباهه فيما يدَّعيه من النبوة لا لأنَّ الكلام لا يَصِحُّ أن يُوصَفَ بالصدق، لأنَّه لو قاله الرسولُ مُحَمَّدٌ ﷺ لُوصِفَ بالصدق، لكن باعتبار أنَّ هذا المتكلمَ به كاذِبٌ، وخبرُ اللَّهِ ورسوله لا يمكن أن يُوصَفَ بالكذب؛ لأنَّه خبرُ اللَّهِ ورسوله.

واحد قال لك: «سافِرٌ محمَّدٌ»، [هل] يَصِحُّ أن تقول: «صدقت»، إذا سافَرَ صَدَقَ، وقال الثاني: «عليٌّ مُقيمٌ» [هل] يَصِحُّ أن تقول: «إنَّه كاذِبٌ أو صادق»، يَصِحُّ، إن كان مقيماً حقاً فهو صادق، وإن كان غيرَ مقيمٍ فهو كاذِبٌ.

(٣) لو قال لك إنسانٌ - وأنت اسمك مُحَمَّدٌ - «سافِرٌ يا محمد» [فهل] يصلح أن تقول: «صدقت»، [وهل] يصلح أن تقول: «كذبت»، لا، بل تقول: «أَبْشِرْ»، أو تقول: «لا»، كذلك «أَقِمَّ يا عليٌّ» نفس الشيء.

والمراد بصِدْقِ الخبر: مطابقته للواقع، وبكذبه: عدم مطابقته له.

فجُمِلَتْ «عليّ مُقيّم» إن كانت التَّسْبِيَةُ المفهومة منها مطابقةً لِمَا في الخارج^(١) فصِدْقٌ، وإلَّا فكَذِبٌ.

ولكلّ جملةٍ رُكنان: محكومٌ عليه، ومحكومٌ به.

- ويُسمَّى الأوّل: مُسنداً إليه، كالفاعلِ ونائبه، والمبتدأ الذي له خبرٌ.

- ويُسمَّى الثاني: مُسنداً، كالفعل، والمبتدأ المكتفي بمرفوعه^(٢).

* * *

(١) المراد «بالخارج»: الواقع، مطابقةً لِمَا في الواقع.

(٢) هذه أيضاً من القواعد، كل جملة لها ركنان:

١- محكومٌ عليه.

٢- ومحكومٌ به.

ويُسمَّى الأوّل: مُسنداً إليه، والثاني: مُسنداً.

نَضْرِبُ مثلاً: «قام زيدٌ» هذه جملة فيها محكومٌ به ومحكومٌ عليه:

- المحكومٌ به: قام.

- والمحكومٌ عليه: زيد.

يُسمَّى الأوّل: مُسنداً «المحكوم به»، ويُسمَّى الثاني: مُسنداً إليه [المحكوم عليه]،

ولهذا تقول في «قام زيدٌ»: قام: مُسندٌ إلى زيد، وتقول: أسندتُ القيامَ إلى زيد، إذاً كل

جملة من خبرية أو إنشائية لا بُدَّ فيها من ركنين.

مَثَلٌ بَعْدُهُ أمثلة:

- كالفاعل ونائبه: مُسندٌ إليه.

- المبتدأ الذي له خبرٌ: مُسندٌ إليه، «زيدٌ قائمٌ»: زيد: مُسندٌ إليه، قائمٌ: خبر [مُسندٌ].

- الفعل، واضح: «قام زيدٌ».

= - المبتدأ المكتفي بمرفوعه، مثل: «أقامم زيد»: قائم: مبتدأ، وزيد: فاعل أغنى عن الخبر (*) .

(*) مواضع المُسند والمُسند إليه:

١- المُسند: خبر المبتدأ، الفعل التام، اسم الفعل، أخبار النواسخ، المفعول الثاني لـ«ظنَّ» وأخواتها، المفعول الثالث لـ«أزى» وأخواتها، المصدر النائب عن فعل الأمر: «سغياً في الخير»، المبتدأ المكتفي بمرفوعه عن الخبر: «أقامم أنت» .

٢- المُسند إليه: المبتدأ، الفاعل ونائبه، أسماء النواسخ، المفعول الأول لـ«ظنَّ» وأخواتها، المفعول الثاني لـ«أزى» وأخواتها.

وما زاد على هذه المواضع يُسمَّى «قيداً» سوى صلة الموصول والمضاف إليه، والقيود هي: أدوات الشرط، وأدوات النفي، والمفاعيل، والحال، والتمييز، والتوابع، والنواسخ.

الكلام على الخبر

الخبرُ إمَّا أن يكون جملة فعلية أو اسمية.

فالأولى: موضوعة لإفادَةِ الحُدُوثِ في زَمَنِ مخصوصٍ مع الاختصار، وقد تُفيدُ الاستمرارَ التَّجَدُّدِيَّ بالقرائنِ إذا كان الفعلُ مُضارِعاً، كقول طريف [الكامل]:

أَوْكُلَمَا وَرَدَتْ عُكَاطُ قَبِيلَةٍ بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

والثانية: موضوعة لِمُجَرَّدِ ثُبُوتِ المُسْنَدِ لِلْمُسْنَدِ إِلَيْهِ، نحو: «الشَّمْسُ مَضِيئةٌ»، وقد تُفيدُ الاستمرارَ بالقرائنِ إذا لم يَكُنْ في خبرِها فِعْلٌ، نحو: «العِلْمُ نَافِعٌ»^(١).

* * *

(١) الآن أفادنا المؤلف أنَّ الخبرَ إمَّا أن يكون جملة فعلية أو اسمية:

- الفعلية يُراد بها ثبوت مدلولها في زَمَنِ مُعَيَّن.

- والاسمية يُراد بها ثبوت مدلولها على وجه الاستمرار.

ولهذا قالوا: «الجملة الفعلية تفيد الحدوث، والجملة الاسمية تفيد الاستمرار»، وهذا أيضاً من البلاغة، كُلُّمَا وَجَدْتَ جملة اسمية فهي للاستمرار، وكُلُّمَا وَجَدْتَ جملة فعلية فهي للحدوث لا تقتضي الاستمرار، لكنها مع ذلك قد تقتضي بالقرائن، ومنها: إذا كان الفعل مضارعاً، فإنَّ المضارع يُفيد الاستمرار غالباً، مثل: «كان النَّبِيُّ ﷺ يقرأ في الجمعة بـ «سَبَّحْ» و«الغاشية»»^(*).

(*) روى مسلم في صحيحه (٧/رقم: ٦٢) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يقرأ في العيدين والجمعة بـ «سَبَّحْ أَشْرَكَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» و«هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ».

[الغرض من إلقاء الخبر]

والأصل في الخبر أن يُلقَى لإفادة المخاطب الحكم الذي تَضَمَّنَتْهُ الجملة، كما في قولنا: «حَضَرَ الأمير»، أو لإفادة أن المتكلم عالم به، نحو: «أنت حَضَرْتَ أمس»، ويُسمَّى الحكم: فائدة الخبر، وكَوْنُ المتكلم عالماً به: لازم الفائدة^(١).

* * *

(١) الأصل في الخبر أن يُلقَى لإفادة المخاطب ما دلَّ عليه، كقولك: «حَضَرَ الأمير»، فإنَّ قولك «حَضَرَ الأمير» يُراد به إفادة المخاطب بحضور الأمير، هذا هو الأصل. وقد يُلقَى لإفادة أن المتكلم عالم به، نحو أن تقول للمخاطب: «لقد حَضَرْتَ أمس»، يُسمَّى الأوَّل: فائدة الخبر، ويُسمَّى الثاني: لازم الفائدة^(*)، وهذا شيء مُصْطَلَحٌ عليه عندهم، ولكن هذا مضمون الكلام.

(*) وهذان الغرضان قد يُضَمُّهُمَا المتكلم أغراضاً أخرى تفهم من السياق والقرائن، ومن أهم تلك الأغراض:

- ١- الاسترحام والاستعطاف: «إني فقير إلى عفو ربي».
- ٢- إظهار الضعف: «إني وَهَنَ الْقَطْمُ مِنِّي» [مريم: ٤].
- ٣- إظهار التحسر: لقد ضَيَّعْتُ العلم.
- ٤- رَفْعُ الهمة: كقول النبي ﷺ: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله» رواه البخاري (٨١: ٢٩).
- ٥- الفخر [الوافر]: أنا ابن جَلَّا وطلاغ الشنايا متى أضع الإمامة تعرفوني.
- ٦- المدح: أقبل الفارس الشجاع.
- ٧- التحذير: «إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» [المائدة: ٢].
- ٨- التوبيخ: كقولك لمخطئ: لا أحد يفعل مثلاً فعلت.

أَضْرِبُ الْخَبَرَ

حيثُ كانَ قَصْدُ الْمُخْبِرِ بَخْبِرِهِ إِفَادَةَ الْمُخَاطَبِ؛ يَنْبَغِي أَنْ يُقْتَصَرَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ؛ حَدَرَأَ مِنَ اللَّغْوِ.

- فَإِنْ كَانَ الْمُخَاطَبُ خَالِي الذَّهْنِ مِنَ الْحُكْمِ أَلْقَى إِلَيْهِ الْخَبَرَ مُجَرِّدًا عَنِ التَّأَكِيدِ، نَحْوُ: «أَخُوكَ قَادِمٌ».

- وَإِنْ كَانَ مُتَرَدِّدًا فِيهِ طَالِبًا لِمَعْرِفَتِهِ حَسَنَ تَوْكِيدِهِ^(*)، نَحْوُ: «إِنَّ أَخَاكَ قَادِمٌ».

- وَإِنْ كَانَ مُنْكَرًا لَهُ وَجَبَ تَوْكِيدُهُ بِمُؤَكِّدٍ أَوْ مُؤَكِّدَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، حَسَبَ دَرَجَةِ الْإِنْكَارِ، نَحْوُ: «إِنَّ أَخَاكَ قَادِمٌ»، أَوْ «إِنَّهُ لَقَادِمٌ»، أَوْ «وَاللَّهِ إِنَّهُ لَقَادِمٌ».

فَالْخَبَرُ بِالنِّسْبَةِ لِخُلُوهٍ مِنَ التَّوَكِيدِ وَاشْتِمَالِهِ عَلَيْهِ ثَلَاثَةٌ أَضْرِبُ كَمَا رَأَيْتُ^(**)، وَيُسَمَّى الضَّرْبُ:

(*) الْمَرَادُ هُنَا تَوْكِيدُ الْحُكْمِ، لَا تَوْكِيدُ أَحَدٍ طَرَفِي الْإِسْنَادِ.

(**) هَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي إِقْلَاءِ الْخَبَرِ لِهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ: خَالِي الذَّهْنِ، وَالْمُتَرَدِّدُ، وَالْمُنْكَرُ.

وَأحياناً يُورِدُ الْمُتَكَلِّمُ التَّوَكِيدَ فِي خُطَابِ خَالِي الذَّهْنِ وَلَا يُورِدهُ مَعَ الْمُتَرَدِّدِ أَوْ الْمُنْكَرِ، فَيَعْدِلُ عَنِ مَقْتَضَى الظَّاهِرِ وَيُورِدُ الْكَلَامَ عَلَى خِلَافِهِ؛ لِمَا يَرَى مِنْ حَالِ الْمُخَاطَبِ، وَذَلِكَ عَلَى النُّحُو الْآتِي:

١- تَنْزِيلُ خَالِي الذَّهْنِ مَنْزِلَةَ الْمُتَرَدِّدِ، إِذَا تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ مَا يُشِيرُ إِلَى حُكْمِ الْخَبَرِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ﴾ [٣٧] ﴿هُود: ٣٧﴾، لَمَّا نَهَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ مُخَاطَبَتِهِ فِي شَأْنِ الظَّالِمِينَ؛ أَصْبَحَ مُتَطَلِّعًا إِلَى مَعْرِفَةِ مَصِيرِهِمْ، فَتُرِلُ مَنْزِلَةَ السَّائِلِ الْمُتَرَدِّدِ فَجَاءَ الْخَبَرُ مُؤَكَّدًا: ﴿إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ﴾.

٢- تَنْزِيلُ غَيْرِ الْمُنْكَرِ مَنْزِلَةَ الْمُنْكَرِ؛ لظَهْوَرِ أَمَارَاتِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ، كَقَوْلِكَ لِمَنْ لَا يُصَلِّي: «إِنَّ الصَّلَاةَ لَوَاجِبَةٌ»، فَهُوَ لَا يَنْكَرُ وَجُوبَ الصَّلَاةِ، وَلَكِنْ لظَهْوَرِ أَمَارَاتِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ حَسَنَ إِقْلَاءِ الْخَبَرِ إِلَيْهِ مُؤَكَّدًا.

٣- تَنْزِيلُ الْمُنْكَرِ مَنْزِلَةَ غَيْرِ الْمُنْكَرِ، إِنْ كَانَ لَدَيْهِ دَلَالٌ وَشَوَاهِدٌ لَوْ تَأَمَّلَهَا لَارْتَدَّ عَنْ إِنْكَارِهِ، كَقَوْلِكَ لِمَنْ يَجْحَدُ فَضْلَ الْعِلْمِ: «الْعِلْمُ نَافِعٌ»، فَإِنَّهُ لَوْ تَأَمَّلَ مَكَانَةَ الْعِلْمِ لَارْتَدَّ عَنْ إِنْكَارِهِ.

- الأول: ابتدائياً.

- والثاني: طلبياً.

- والثالث: إنكارياً^(١).

ويكون التوكيد بـ(*) «أَنَّ»، و«إِنَّ»، ولام الابتداء، وأخرف التنبيه، والقسم، ونوني التوكيد، والحروف الزائدة(***)، والتكرير، و«قد»،

(١) الأصل أن يُلقى الخبر خالياً من التوكيد؛ لأنَّ التوكيد زيادةٌ في المبني، والزيادة التي لا فائدة منها تركُّها فائدة.

- فإذا كنتَ مخاطبَ رجلاً خاليَ الذهن فإلحسناً ألا تُؤكِّد، بل تقول: «أخوك قادم»، لماذا؟ لأنَّه خالي الذهن، ولا حاجة أن تُؤكِّد.

- وإن كان متردداً حسن أن تُؤكِّد ليزول عنه التردد، كإنسانٍ شكَّ في مفاد الخبر فتؤكِّده له.

- وإن كان منكراً يقول: «هذا لم يكن» فإنه يجب أن تُؤكِّد، إمَّا بمؤكِّد أو مؤكِّدين أو ثلاثة، حسب قوة الإنكار، إن منكراً إنكاراً عظيماً فبمؤكِّدين أو ثلاثة، بل ولو زاد على ذلك حتى يُقرَّ، وأيضاً إذا رأيته منكراً أكثر اضرب له الأمثال التي تُبين إمكان صدق الخبر.

- «إِنَّ أخاك قادم» لمن أنكر ولكن ليس إنكاراً شديداً.

- «إِنَّ أخاك لقادم» لمن أنكر إنكاراً متوسطاً.

- «والله إنَّ أخاك لقادم» لمن أنكر إنكاراً شديداً.

هذا هو الأصل، وسيأتيك ما يخالف الأصل إن شاء الله تعالى.

(*) ومما يستعمل للتوكيد:

١- كون الجملة اسمية، فالجملة الاسمية أكَّد من الجملة الفعلية.

٢- ضمير الفصل: ﴿ذَلِكَ يَأْنِ أَنْ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج: ٦].

(**) «مين» والباء حرفا جرٍّ أصليان، وقد يستعملان زائدين لتوكيد الحكم في مثل قوله تعالى:

١- ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيٍّ وَكَانَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [المؤمنون: ٩١].

٢- ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦].

و«أَمَّا» الشَّرْطِيَّةُ^(١).

* * *

(١) هذه أدوات التوكيد:

١- «إِنَّ» و«أَنَّ»، سواءً كانتا مُحَقَّقَتَيْنِ أو مُتَقَلَّبَتَيْنِ، فقوله تعالى: ﴿وَأِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ [الإسراء: ٧٣] هذه مُؤَكَّدَةٌ بِمُؤَكِّدَيْنِ: إِنَّ واللام.

٢- لام الابتداء، مثل أن تقول: «لَزَيْدٌ قائمٌ»، اللام هنا ليست للقسَم ولكنّها للابتداء، وتفيد التوكيد.

٣- وأحرف التنبيه، مثل: «يا» «لا»: ﴿لَا أَقِيمُ﴾ [القيامة: ١].

٤- والقسَم.

٥- ونونا التوكيد، يعني: المُخَفَّفَةُ والمُثَقَّلَةُ، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَجَنَّ وَلْيَكُونَا مِن الصَّغِيرِ﴾ [يوسف: ٣٢]، الأولى: مُثَقَّلَةٌ، والثانية: مُخَفَّفَةٌ.

٦- والحروف الزائدة، الحروف الزائدة لا يَصِحُّ أن نقول: إنها زائدة بمعنى أنها لَغَوٌ لا فائدة منها، بل نقول: هي زائدة من حيث التركيب لكنّها في المعنى مفيدة للتوكيد، فَيَصِحُّ أن نقول: «هي زائدة زائدة»، ما هذا؟! نعم، الأولى: لازِمة، والثانية: مُتَعَدِّية؛ لأنَّ «زاد» و«نقص» تُستعملان مُتَعَدِّيتَيْنِ ولَا زَمَتَيْنِ، تقول: «نَقَصَ المالُ» هذه لازِمة، وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْقُصْكُمْ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ٤] هذه مُتَعَدِّية. إذاً نقول: الحروف الزائدة زائدة.

٧- والتكرير، مثل أن تقول: «قُمْ قُمْ»، أو أن تقول: «جاء زيدٌ جاء زيدٌ»، هذا يُسمَّى توكيداً لفظياً، قال ابن مالك:

وما مِنَ التَّوَكِيدِ لَفْظِي يَجِي مَكْرَراً كَقَوْلِكَ: أَدْرِجِي أَدْرِجِي

ومنه على قول بعض العلماء: ﴿أَلَيْفَا فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كَفَّارٍ عَبِيدٍ﴾ [ق: ٢٤]، فإنَّ بعض المفسرين يقول: معنى ﴿أَلَيْفَا﴾: أَلْتِي أَلْتِي؛ لأنَّ المخاطَبَ واحدٌ، والثنائية للفاعل ثنائية للفعل، هكذا قيل، وقيل: إِنَّ ﴿أَلَيْفَا﴾ خطابٌ للملَكَيْنِ جميعاً.

٨- و«قد»، إذا قلت: «قَدِيمٌ زيدٌ» هذا غير مُؤَكَّد، «قَد قَدِيمٌ» هذا مُؤَكَّد.

٩- و«أَمَّا» الشَّرْطِيَّةُ، مثل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۖ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩-١٠].

الكلام على الإنشاء

الإنشاء^(١) إمَّا طَلَبِيٍّ أَوْ غَيْرُ طَلَبِيٍّ.

- فَالطَّلَبِيُّ: مَا يَسْتَدْعِي مَطْلُوباً غَيْرَ حَاصِلٍ وَقْتَ الطَّلَبِ (*).

- وَغَيْرُ الطَّلَبِيِّ: مَا لَيْسَ كَذَلِكَ.

وَالأَوَّلُ^(٢) يَكُونُ بِخَمْسَةِ أَشْيَاءَ: الأَمْرُ، والنَّهْيُ، والاستفهام، والتَّمَنِّي،
والتَّوَدُّعُ.

* * *

(١) الإنشاء ضد الخبر.

(٢) الإنشاء الطَّلَبِيُّ.

(*) أي: لا يتحقق مرادُ طالِبٍ إلا بعد التلَفُّظ به، وهذا لا يحصل إلا بعد وقت الطلب.

[١- الأمر]

أَمَّا الْأَمْرُ : فهو طَلَبُ الفعلِ على وجه الاستعلاء^(١)، وله أربع صيغ:

١- فعلُ الأمرِ، نحو: ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

٢- والمضارعُ المقرونُ باللام، نحو: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [الطلاق: ٧].

٣- واسمُ فعلِ الأمرِ، نحو: «حَيَّ على الفلاح».

٤- والمَصْدَرُ النَّائِبُ عن فعلِ الأمرِ، نحو: «سَعْيًا في الخير»^(٢).

(١) هنا يَحْسُنُ أن يقال: «هو طَلَبُ الفعلِ على وجه الاستعلاء بصيغة مخصوصة»، ثم نقول الصيغة، فخرَجَ:

- بقولنا: «طَلَبَ»: ما ليس بطَلَب.

- وبقولنا: «بَطَلَبُ الفعل»: طَلَبُ التَّزَكُّ.

- وبقولنا: «على وجه الاستعلاء»: الالتماسُ والدعاء وما كان على غير وجه الاستعلاء، فهذا طَلَبٌ لا على وجه الاستعلاء، فلا يكون أمراً^(*).

(٢) الآن صار أربع صيغ للأمر:

١- فعل الأمر، مثل: ﴿خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾.

٢- المضارع المقرون بلام الأمر، مثل: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾.

(*) الأمر والنهي يدلان بحسب حال المتكلم والمخاطب على واحد من أربعة أمور، وهذا على النحو الآتي:

١- من الأعلى إلى الأدنى: استعلاء حقيقي.

٢- من المخلوق إلى الخالق: دعاء.

٣- من المخلوق إلى مخلوق أعلى منه: رجاء.

٤- من المخلوق إلى مخلوق يساويه: التماس.

وقد تَخْرُجُ صِبْغُ الأَمْرِ عن معناها الأصليِّ إلى معانٍ أُخَرَ، تُفْهَمُ من سياق الكلام وقرائن الأحوال:

١- كالدُّعاء، نحو: ﴿أَوْزِعَنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾^(١) [النمل: ١٩].

٢- والالتماس، كقولك لِمَنْ يُساويك: «أعطني الكتاب»^(٢).

٣- والتَّمَنِّي، نحو [الطويل]:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِ بَصُحْ، وما الإصباحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ^(٣)

٤- والتهديد، نحو: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(٤) [فُصِّلَتْ: ٤٠].

= ٣- اسم فعل الأمر: وهو ما دلَّ على الطَّلَبِ على معنى الأمر دون حروفه، يعني: ما يدلُّ على الأمر لكن لا يقبل علامة الأمر، كلُّ ما دلَّ على الأمر ولم يقبل علامته فهو اسمُ فعل أمرٍ، إذا «حَيَّ على الفلاح» بمعنى: أَقْبِلْ على الفلاح، لو أَنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ تُدْخِلَ علاماتِ الأمرِ على «حَيَّ» ما قَبِلْتَ.

٤- المصدر النائب عن فعل الأمر، نحو: «سَعَيْاً إِلَى الْخَيْرِ» بمعنى: اسعَ إلى الخير، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [مُحَمَّد: ٤] يعني: فَأَضْرِبُوا رِقَابَهُمْ.

(١) الْخِطَابُ لِمَنْ ﴿أَوْزِعَنِي﴾؟ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هذا ليس أمراً؛ لأنَّكَ لا يمكن أن تأمر ربَّكَ عَزَّ وَجَلَّ، فهو طَلَبٌ لا على وجه الاستعلاء، ومعنى ﴿أَوْزِعَنِي أَنْ أَشْكُرَ﴾ أي: أَلْهِمْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ.

(٢) هذا ليس أمراً؛ لأنَّ الذي يُساويك لا تأمره، وهو لو يَفْهَمُ أَنَّكَ تأمره لقال: «لا، ما لك عَلَيَّ أمرٌ»، لكن إذا كان التماساً - يعني: بتلطُّفٍ وَتَحَنُّنٍ - فَإِنَّهُ يعطيك.

(٣) يُقال التمني في خطاب مَنْ لا يَعْقِلُ، الشاهد في قوله: «انْجَلِ»، ولا يمكن أن يقول لليل - وهو لا يَعْقِلُ - : انْجَلِ.

(٤) معلوم أنَّ اللَّهَ تعالى لا يقول للناس: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(*)، بل ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ للتهديد، =

(*) أي: ليس هذا على وجه الإباحة.

٥- والتعجيز، نحو [المديد]:

يَا لَبْكَرٍ أَنْشِرُوا لِي كُتَيْبًا يَا لَبْكَرٍ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ؟^(١)

٦- والتسوية، نحو: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾^(٢) [الطور: ١٦].

* * *

= يعني يَهْدِدُ البشرَ، والدليل على ذلك قوله تعالى [بعدها]: ﴿إِنَّكُمْ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فسوف يَعْلَمُ بكم وَيُحَاسِبُكم.

(١) «أَنْشِرُوا لِي كُتَيْبًا» يعني: أَخِيُوهُ، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، لا، ما يَسْتَطِيعُونَ، فهذا تعجيزٌ وَتَحَدُّ، ومثل قوله تعالى في الصِّيْغَةِ الثانية: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، ومثل قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلٌ سَمِعُوا فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَعِثُّهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [الطور: ٣٨]، والأمثلة كثيرة.

(٢) الدليل على التسوية قوله [بعدها]: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾.

[٢- النهي]

وأما النَّهْيُ: فهو طَلَبُ الكَفِّ عن الفعل على وجه الاستعلاء، وله صيغة واحدة: وهي المضارعُ مع «لا» الناهية، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾^(١) [الأعراف: ٥٦].

وقد تَخْرُجُ صيغته عن معناها الأصليِّ إلى معانٍ أُخَر، تُفهمُ من المقام والسياق:

١- كالدعاء، نحو: ﴿فَلَا تَشْتُمِ بِكَ الْأَعْدَاءَ﴾^(٢) [الأعراف: ١٥٠].

(١) النَّهْيُ: طَلَبُ الكَفِّ عن الفعل على وجه الاستعلاء بصيغة واحدة، ما له إلا صيغة واحدة، وهي «لا» الناهية، ولهذا «اجْتَنِبْ» «اتْرُكْ» «دَعْ» «تَجَنَّبْ» هذه ليست نهيًا مع أنها طَلَبُ للكفِّ عن الفعل؛ لأنَّ النَّهْيَ له صيغة واحدة مُعَيَّنَةٌ وهي المضارعُ المقرونُ بـ «لا» الناهية، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾، والأمثلة كثيرة.

(٢) قوله: «كالدعاء، نحو: ﴿فَلَا تَشْتُمِ بِكَ الْأَعْدَاءَ﴾^(*)؟! لا يَحْسُنُ المثالُ بهذا(*)، هذه نَعَمْ لو وُجِّهَتْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لكان صحيحاً؛ لأنَّه جاء في الحديث التَّعَوُّذُ من شِمَاتَةِ الأعداء^(**)، فلو وُجِّهَتْ لِلَّهِ كانت دعاءً، ولكن إذا وُجِّهَتْ للمخلوق الذي هو أعلى منك- وإن كانوا يتساهلون يقولون: دعاء- فلا ينبغي، بل ينبغي أن يُقال: إِنَّهُ تَرَجَّ =

(*) لأنَّ الخطاب - هنا - من هارون إلى موسى عليهما السلام، كما دلَّ عليه سياق الآية: ﴿قَالَ ابْنُ أُمٍّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوكُمُوكَ وَأَوْفَاوُكُمُوكَ فَلَا تَشْتُمِ بِكَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٥٣)، فهو تَرَجَّ وليس دعاءً. ومِمَّا يدعو إلى الأسى أَنَّ مُحَقِّقاً لهذا المتن (طبعة دار إيلاف) أتى بثالثة الأثافي في تعليقه على هذه الآية - وليتَّه لم يُعلِّق -، فَبَدَّلَ أن يبيِّن خطأ المؤلفين علَّق بقوله: «(لا) هنا هي (لا) الناهية، ولكنها تسمى (لا) الدعائية؛ تأدباً مع المدعو، وهو الله عز وجل»!!! (ص ٣٦)، ولا أقول هذا تبعاً للزَّلَّات؛ ولكن لِأَلْفِتِ نَظَرَ القارئ العزيز إلى أمرين:

١- أَنَّهُ حَيْثُمَا وُجِدَ مِثْلُ هَذَا الوهم وَجَبَ على قارئه التنبيه عليه؛ لأنَّ الأمرَ متعلِّقٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٢- دِقَّةُ الشَّيْخِ ابنِ عَثِيمٍ رَحِمَهُ اللهُ وسرعة استدراكه لمثل هذا الوهم الخَفِيِّ.

(**) روى البخاري (١٣/٨٢) ومسلم (٤٨/رقم: ٥٣) في صحيحيهما عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرْكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ»، واللفظ للبخاري.

٢- والالتماس: كقولك لَمَنْ يُساويك: «لا تَبْرَحْ مِنْ مَكَانِكَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ».

٣- والتَّمَنِّي، نحو: (لا تَطْلُعْ) في قوله [مجزوء الرَّجَز]:

يا لَيْلُ طُلْ، يا نَوْمُ زُلْ يا صُبْحُ قِفْ، لا تَطْلُعْ

٤- والتهديد، كقولك لخدامِكَ: «لا تُطِيعْ [غَيْرِي]»^(١).

= أو نحو ذلك، لكن إذا وُجِّهَتْ إِلَيْهِ مثل: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ هذا دعاء، يعني يَحْسُنُ أَنْ تُمَثَّلَ بِدَلِّ هَذِهِ الْآيَةِ بقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾. (١) ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [آل عمران: ١٩٦]، هذا تهديد ليس للرسول ﷺ، تهديد لهؤلاء الذين يتقلبون في البلاد، ولهذا قال [بعدها]: ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَرِيسُ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٧].

(*) في الأصل: «لا تُطِيعْ أَمْرِي»!!.

[٣- الاستفهام]

وأما الاستفهام: فهو طَلَبُ الْعِلْمِ بشيءٍ^(١)، وأدواته: الهمزة، و«هل»، و«ما»، و«من»، و«متى»، و«أَيَّانَ»، و«كَيْفَ»، و«أَيْنَ»، و«أَنَّى»، و«كَمْ»، و«أَيَّ»^(٢).

١- فالهمزة لِطَلَبِ التَّصَوُّرِ أو التَّصَدِيقِ:

والتَّصَوُّرُ: هو إدراكُ الْمُفْرَدِ، كقولك: «أعلِيَّ مسافرٌ أم خالدٌ؟ تَعْتَقِدُ أَنَّ السَّفَرَ حَصَلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَكِنْ تَطْلُبُ تَعْيِينَهُ، وَلِذَا يُجَابُ بِالتَّعْيِينِ، فيُقال: «علِيَّ» مثلاً.

(١) الاستفهام أصله: طَلَبُ الْفَهْمِ، أو: طَلَبُ الْإِفْهَامِ، أي: الإعلام بالشيء، فإذا قلت: «هل قام زيد؟» فالمعنى: أَعْلِمْنِي هل قام زيد، فهو طَلَبُ الإعلام بالشيء، وهذا التفسير أدقُّ من تفسير المؤلف [الذي هو]: «طَلَبُ الْعِلْمِ»؛ لِأَنَّ مَنْ يُطَالِعُ الْكِتَابَ لِيَتَعَلَّمَ يَقَال: إِنَّهُ طَالِبُ عِلْمٍ، وَلَا يَقَال: مُسْتَفْهِمٌ، فالأحسن أن يقال: الاستفهام: طَلَبُ الإعلام بالشيء.

(٢) هذه الأدوات تأتي استفهاميةً وغير استفهاميةً، لكن هي من أدوات الاستفهام:

١- الهمزة -وهي الأصل - : أَقَائِمُ زَيْدٌ؟

٢- هل: هل قام زيدٌ؟

٣- ما: ما هذا؟

٤- مَنْ: مَنْ الْقَائِمُ؟

٥- أَيَّانَ: أَيَّانَ تَقُومُ؟

٦- كَيْفَ: كَيْفَ جَاءَ زَيْدٌ؟

٧- أَيْنَ: أَيْنَ تَنْزِلُ؟

٨- أَنَّى: ﴿أَنَّى لَمْ يَذْكُرْ﴾ [الدُّخَانُ: ١٣].

٩- كَمْ: كَمْ مَالُكَ؟

١٠- أَيَّ: أَيُّ الرَّجُلَيْنِ قَائِمٌ؟

والتصديق: هو إدراك النسبة، نحو: «أسافر عليّ»؟ تستفهم عن حصول السفرِ وعَدَمِهِ، ولذا يُجاب بـ «نَعَمْ» أو «لا»^(١).

والمسؤول عنه في التصور: ما يلي الهمزة، ويكون له مُعَادِلٌ يُذكرُ بعد «أَمْ»، وتُسمى: مُتَّصِلَةٌ، فتقول في الاستفهام:

- عن المُسند إليه: «أأنتَ فَعَلْتَ هذا أَمْ يوسُفُ»؟

- وعن المُسند: «أراغِبُ أنتَ عن الأمرِ أَمْ راغِبٌ فيه»؟^(٢)

(١) هذه المسألة مُهِمَّة: التصور أو التصديق، التصور: تصوُّر الشيء، والتصديق: الحُكْمُ عليه، فالتصديق بمعنى الحُكْم، والتصوُّر إدراك الشيء، فمُجَرَّدُ الإدراك تصوُّرٌ، والحُكْمُ على الشيء تصديقٌ.

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ يقول: «إدراك المفرد، كقولك: أعليّ مسافرٌ أَمْ خالِدٌ؟»، الآن هل أنت شاكٌ في السفر أو في المسافر؟ في المسافر، الحُكْمُ - وهو السفر - معلومٌ عندك، لكن من المسافر؟، إذا كنتَ تَطْلُبُ تعيينَ المسافرِ وأنتَ عارفٌ أَنَّ السَّفَرَ حاصلٌ فهذا يُقال: إنَّه استفهامٌ تصوُّرٌ، يعني لمعرفة من الفاعل، فيُجاب بالتعيين، فيُقال: إما علي وإما خالد.

والتصديق: إدراك النسبة، يعني: الحُكْمُ، تستفهم عن الحُكْمِ، يعني عن نسبة الشيء إلى الشيء، فأنت تعلم أنَّه لا يوجد في الساحة إلا عليّ، لكن لا تدري أسافر أَمْ هو مقيمٌ، فتقول: «أسافر عليّ؟»، الشكُّ الآن أو الجهلُ بالسفر هل حَصَلَ أَمْ لا، أمَّا المسافر فإنَّه معلومٌ أنَّه لن يسافر إلا فلانٌ، مثلاً تقول: «أَقْدِمُ الأميرُ؟» هذا تصديق؛ لأنَّك تطلب هل قَدِمَ أَمْ لم يَقدِم، ولهذا يكون الجواب بـ «نَعَمْ» أو «لا» بخلاف الأول، الأول: الجواب بالتعيين، والثاني: الجواب بالنفي أو الإثبات.

(٢) المسؤول عنه في التصور: ما يلي الهمزة، والتصوُّر المطلوب فيه التعيين، المسؤول عنه يلي الهمزة وله مُعَادِلٌ، فتقول: «أأنتَ فَعَلْتَ هذا أَمْ يوسُفُ؟» الجواب: «يوسف» أو «أنت»، ولهذا يُذكر ما يُعَادِلُها، وتُسمى هذه مُتَّصِلَةٌ، أمَّا إذا كان عن المُسند فأنت =

- وعن المفعول: «أَيَّاي تَقْصِدُ أَمْ خَالِداً؟»

- وعن الحال: «أَرَاكِباً جِئْتُ أَمْ مَاشِياً؟»

- وعن الظرف: «أَيُّوْمَ الْخَمِيْسِ قَدِمْتُ أَمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؟»، وهكذا.

وقد لا يُذَكِّرُ الْمُعَادِلُ، نحو: «أَأَنْتِ فَعَلْتَ هَذَا؟»، «أَرَاغِبُ أَنْتِ عَنِ الْأَمْرِ؟»، «أَيَّاي تَقْصِدُ؟»، «أَرَاكِباً جِئْتُ؟»، «أَيُّوْمَ الْخَمِيْسِ قَدِمْتُ؟»^(١).

والمسؤول عنه في التصديق: النسبة، ولا يكون لها مُعَادِلٌ، فإن جاءت «أَمْ» بعدها قُدِّرَتْ مُنْقَطِعَةً وتكون بمعنى «بَلْ»^(٢).

= تَذَكُّرُ الْحُكْمِ، الذي يلي الهمزة هو الْحُكْمُ، تقول: «أَمْسَافِرُ أَنْتِ أَمْ مُقِيمٌ؟»، وتقول «أَرَاغِبُ أَنْتِ عَنِ الْأَمْرِ أَمْ رَاغِبٌ فِيهِ؟»، بينهما فَرْقٌ، «أَرَاغِبُ أَنْتِ عَنْهُ أَمْ فِيهِ» [ما] الفرق؟

الطالب: أَرَاغِبُ فِيهِ: تَطَلُّبُهُ، أَرَاغِبُ عَنْهُ: زَاهِدُ عَنْهُ.
الشيخ: أَيْ: تَتْرَكُهُ.

(١) الْآنَ قَدْ لَا يُذَكِّرُ الْمُعَادِلُ، لَكِنَّ حَذْفَهُ مُشْرُوطٌ بِأَنْ يَكُونَ مَفْهُومًا، مَثَلًا إِذَا قُلْتَ: «أَرَاكِباً جِئْتُ» مَا ضِدُّهُ؟ «أَمْ مَاشِياً».

على كُلِّ حَالٍ يُشْتَرَطُ لِحَذْفِ الْمُعَادِلِ أَنْ يَكُونَ مَعْلُومًا، فَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَعْلُومٍ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ حَذْفُهُ، وَقَدْ أَشَارَ ابْنُ مَالِكٍ إِلَى هَذِهِ الْقَاعِدَةِ فِي قَوْلِهِ:

وَحَذَفَ مَا يُغْلَمُ جَائِزٌ...

(٢) الْمَسْئُولُ عَنْهُ فِي التَّصْدِيقِ: النَّسْبَةُ، يَعْنِي: الْحُكْمُ، وَلَا يُذَكِّرُ مَعَهَا مُعَادِلٌ، فَإِنْ ذُكِرَ مُعَادِلٌ فَإِنَّهَا تَكُونُ مُنْقَطِعَةً تَقْدِيرًا وَتَكُونُ بِمَعْنَى «بَلْ»، وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَمَا يَكْتُبُونَ﴾ [الطور: ٤١]، ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ [الطور: ٣٩]، الْأَمْثَلَةُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ.

٢- و«هل» لِطَلْبِ التصديقِ فقط، نحو: «هل جاء صديقك؟» والجواب: «نعم» أو «لا»، ولذا يمتنع معها ذِكْرُ المعادلِ، فلا يقال: «هل جاء صديقك أم عدوك؟»^(١).

و«هل» تُسمَّى:

- بسيطة: إِنْ اسْتَفْهَمَ بها عن وجودِ شيءٍ في نفسه، نحو: «هل العنقاء موجودة؟»

- ومركبة: إِنْ اسْتَفْهَمَ بها عن وجودِ شيءٍ لشيءٍ، نحو: «هل تبيضُ العنقاء وتقرخُ؟»^(٢).

٣- و«ما» يُطْلَبُ بها:

- شَرْحُ الاسمِ، نحو: «ما العسجدُ أو اللجينُ؟»

- أو حقيقة المُسمَّى، نحو: «ما الإنسانُ؟»

- أو حالُ المذكورِ معها، كقولك لقادمٍ عليك: «ما أنت؟»^(٣).

(١) ماذا يقال إذا كنت تريد أن تستفهم هل جاء عدوه أو صديقه؟ يُؤتى بالهمزة، فتقول: «أجاء صديقك أم عدوك؟»

(٢) إذا كان المقصود الاستفهام بها عن وجود الشيء فهذه تُسمَّى: بسيطة؛ لأنها استفهام عن شيءٍ مُعَيَّن، أمّا إذا استفهم عن صفةٍ في شيءٍ فإنها تُسمَّى: مركبة، مثل: «هل تبيضُ العنقاء وتقرخُ؟».

حسنًا، لو قلت: «هل اصفرَّ النخلُ أو احمرَّ؟» بسيطة أو مركبة؟ مركبة، «هل الثمرة موجودة؟» بسيطة.

(٣) يُطْلَبُ بها:

٤- و«مَنْ» يُطَلَّبُ بِهَا تَعْيِينُ الْعُقَلَاءِ، كَقَوْلِكَ: «مَنْ فَتَحَ مِصْرَ؟»^(١).

٥- و«مَتَى» يُطَلَّبُ بِهَا تَعْيِينُ الزَّمَانِ، مَاضِيًّا كَانَ أَوْ مُسْتَقْبَلًا، نَحْوُ: «مَتَى جِئْتَ؟»، و«مَتَى تَذْهَبُ؟».

٦- و«أَيَّانَ» يُطَلَّبُ بِهَا تَعْيِينُ الزَّمَانِ الْمُسْتَقْبَلِ خَاصَّةً، وَتَكُونُ فِي مَوْضِعِ التَّهْوِيلِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَنْتَلِ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ٦].

٧- و«كَيْفَ» يُطَلَّبُ بِهَا تَعْيِينُ الْحَالِ، نَحْوُ: «كَيْفَ أَنْتَ؟».

٨- و«أَيْنَ» يُطَلَّبُ بِهَا تَعْيِينُ الْمَكَانِ، نَحْوُ: «أَيْنَ تَذْهَبُ؟».

٩- و«أَنْتَى» تَكُونُ بِمَعْنَى «كَيْفَ»، نَحْوُ: ﴿أَنْتَى يُعْجِ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وَبِمَعْنَى «مِنْ أَيْنَ»، نَحْوُ: ﴿يَكْرَهُ أَنْ لَكَ هَذَا﴾^(٢) [آل عمران: ٣٧]، وَبِمَعْنَى «مَتَى»، نَحْوُ: «أَنْتَى تَكُونُ زِيَادَةُ النَّيْلِ؟».

= - شَرَحُ الْأَسْمِ: نَحْوُ: «مَا الْعَسْجُدُ؟» الْجَوَابُ: الذَّهَبُ، «مَا اللَّجَيْنُ؟»: الْفِصَّةُ.
- حَقِيقَةُ الْمُسَمَّى: «مَا الْإِنْسَانُ؟» حَيَوَانٌ نَاطِقٌ، هَذِهِ حَقِيقَةُ الْإِنْسَانِ؛ وَ«حَيَوَانٌ» تَشْمَلُ كُلَّ مَا فِي الْحَيَاةِ مِنَ الْبَهَائِمِ وَالْإِنْسَانِ، «نَاطِقٌ»: تُخْرِجُ الْبَهَائِمَ؛ لِأَنَّهَا غَيْرُ نَاطِقَةٍ، وَالْمَرَادُ غَيْرُ نَاطِقَةٍ نُطْقًا مَفْهُومًا، وَإِلَّا فَهِيَ نَاطِقَةٌ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿عَلَّمَنَا نَطْقَ الطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦].

- أَوْ حَالُ الْمَذْكُورِ مَعَهَا: كَقَوْلِكَ لِقَادِمٍ عَلَيْكَ: «مَا أَنْتَ؟»، مَاذَا يَكُونُ الْجَوَابُ؟ «صَدِيقٌ»، لَا تَقُلْ: «فُلَانٌ»؛ فَلَانٌ لِلتَّعْيِينِ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ اسْمَهُ يَقُولُ: «مَنْ أَنْتَ؟»، لَكِنْ إِذَا قَالَ: «مَا أَنْتَ؟» يَسْتَفْهِمُ عَنْ حَالِهِ لَا عَنْ عَيْنِهِ، يَسْتَفْهِمُ عَنْ حَالِهِ هَلْ هُوَ صَدِيقٌ هَلْ هُوَ عَدُوٌّ، مَاذَا يَقُولُ إِذَا قَالَ: «مَا أَنْتَ؟»، يَقُولُ: «صَدِيقٌ»، إِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ نَسَبٌ يَقُولُ: «قَرِيبٌ»، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحَدِّدَ النَّسَبَ يَقُولُ: «ابْنُ عَمِّكَ»، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

(١) الْجَوَابُ: عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ.

(٢) ﴿أَنْتَى لَكَ هَذَا﴾ يَعْنِي: مِنْ أَيْنَ لَكَ؟

١٠- و«كَمْ» يُطْلَبُ بِهَا تَعْيِينُ عَدَدٍ مُبْهَمٍ: ﴿كَمْ لَبِئْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩].

١١- و«أَيُّ» يُطْلَبُ بِهَا تَمْيِيزُ أَحَدِ الْمُتَشَارِكِينَ فِي أَمْرٍ يَعْمُهُمَا، نَحْوُ: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ [مريم: ٧٣]، وَيُسْأَلُ بِهَا عَنِ الزَّمَانِ، وَالْمَكَانِ، وَالْحَالِ، وَالْعَدَدِ، وَالْعَاقِلِ وَغَيْرِهِ، حَسَبَ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ^(١).

وقد تَخْرُجُ أَلْفَاظُ الاستفهامِ عَنْ مَعْنَاهَا الْأَصْلِيَّ لِمَعَانٍ أُخْرَى، تُفْهَمُ مِنْ سِيَاقِ الْكَلَامِ:

١- كَالتَّسْوِيَةِ، نَحْوُ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾^(٢) [البقرة: ٦].

٢- وَالنَّفْيِ، نَحْوُ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾^(٣) [الرحمن: ٦٠].

٣- وَالْإِنْكَارِ، نَحْوُ: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾^(٤) [الأنعام: ٤٠]، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^(٥) [الزمر: ٣٦].

(١) فتقول للزمان: «أَيُّ يَوْمٍ تَسَافِرُ؟»، وتقول في المكان: «أَيُّ بَيْتٍ تَسْكُنُ؟»، وتقول في الحال: «أَيُّ حَالٍ تَأْتِي إِلَيَّ فِيهَا؟»، والعدد: «أَيُّ عَدَدٍ تَمْلِكُهُ مِنَ الْإِبْلِ؟»، والعَاقِلِ وغيره، حَسَبَ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ.

(٢) قَالَ التَّخَوُّيُونَ الَّذِينَ يُعْرَبُونَ: إِنَّ ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ اسْتِفْهَامٌ، لَكِنَّهُ يُسَبِّكُ وَمَا بَعْدَهُ بِمَصْدَرٍ، مَعَ أَنَّ الْهَمْزَةَ لَيْسَتْ حَرْفًا مَصْدَرِيًّا، لَكِنْ هَذَا التَّرْكِيبُ يُسَبِّكُ مَا بَعْدَ الْهَمْزَةِ بِمَصْدَرٍ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: «إِنْذَارُكَ وَعَدَمُهُ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ»، وَعَلَى هَذَا فَتَكُونُ ﴿سَوَاءٌ﴾ خَبْرًا مُقَدِّمًا، وَ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾ مَسْبُوكَةٌ بِمَصْدَرٍ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ.

(٣) وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الاسْتِفْهَامَ لِلنَّفْيِ هُنَا أَنَّهَا أَتَتْ «إِلَّا».

(٤) هَذَا لِلْإِنْكَارِ، وَلَكِنَّهُ إِنْكَارٌ بِمَعْنَى التَّوْيِخِ.

(٥) أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ فَيُفِيدُ التَّمَثِيلَ بِهِ نَظَرًا؛ لِأَنَّ هَذَا الاسْتِفْهَامَ لِلتَّقْرِيرِ، يَعْنِي: إِنَّ اللَّهَ كَافٍ عَبْدَهُ، لَكِنْ وَجْهُ كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ أَنَّ إِنْكَارَ النَّفْيِ إِقْرَارٌ، إِذَا أَنْكَرْتَ =

٤- والأمر، نحو: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾^(١) [المائدة: ٩١]، ونحو: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ؟﴾^(٢) [آل عمران: ٢٠]، أي: انتهوا وأسلموا.

٥ - والنهي، نحو: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهْ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾^(٣) [التوبة: ١٣].

٦ - والتشويق، نحو: ﴿هَلْ أَذُكُّكُمْ عَلَىٰ يَحْزَقٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(٤) [الصف: ١٠].

= النفي فهو إقرار، يعني المؤلف كأنه يقول: الهمزة هنا دخلت على النفي فهي لإنكار النفي، وإنكار النفي إقرار، هذا وجه كلام المؤلف، لكن غيره من المفسرين يقولون: الاستفهام هنا للتقرير، مثل قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

(١) جاءت ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ في تحريم الخمر والميسر والأنصاب، فإن الله تعالى قال: ﴿يَجْزِيكَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبْهُ﴾ إلى قوله ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ أي: فبعد هذا التقرير هل أنتم منتهون أو لستم بمنتهين؟ قال الصحابة: «انتبهنا انتبهنا»^(*)، المؤلف رحمه الله يرى أن الاستفهام هنا بمعنى الأمر، أي: فأنتهوا.

(٢) ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ؟﴾ يقول المؤلف: «إنها بمعنى: أسلموا»، ولكن في هذا نظر، بل المعنى: أأسلمتم بعد هذا البيان أم لم تسلموا؟، أما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوحِىٰ إِلَيْكَ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨] فهذه هي التي يصلح أن تقول: [إنها] بمعنى: «فأسلموا».

(٣) يعني: «لا تخشوهم»، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْكَاسَ وَآخِشُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

(٤) ومثل ذلك أيضاً: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، مع أن هذه الثانية يُحتمل أن تكون للتعظيم، يعني: أنه حديث عظيم.

(*) لَمَّا نَزَلَ قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ دُعِيَ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه فقرأ عليه؛ لأنه دعا الله عز وجل أن يبين لهم في الخمر بيان شفاء، فقال: «انتبهنا انتبهنا»، رواه أبو داود (١/٢٠)، والترمذي (٦/٤٨)، والنسائي (١/٥٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤١٦/٢).

٧- والتعظيم، نحو: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١)
[البقرة: ٢٥٥].

٨- والتحقير، نحو: «أهذا الذي مَدَحْتَهُ كثيراً؟»^(٢).



(١) التعظيمُ هنا تعظيمُ المشفوعِ إليه، نَعَمْ، تعظيمُ الله عزَّ وجلَّ، أنَّه لعظمته لا أحد يستطيع أن يَشْفَعَ إلا بإِذْنِ الله.

(٢) ومنه قوله تعالى عن المشركين: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٦]، يعني: يَسُبُّها وَيَعْيِيها، يعني كأنهم يقولون: هو أحقر من أن يَسُبَّ آلِهَتهم وَيَعْيِيها.

[٤ - التَّمَنِّي]

وَأَمَّا التَّمَنِّي : فهو طَلَبُ شَيْءٍ محبوبٍ لا يُزَجَى حصولُهُ لِكَوْنِهِ مُسْتَحِيلًا أو بَعِيدَ الْوُقُوعِ ، كَقَوْلِهِ [الوافر] :

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ^(١)
وقول المُغْسِرِ : «ليت لي أَلْفَ دينارٍ»^(٢) .

وإذا كان الأمرُ مُتَوَقَّعَ الحصولِ فَإِنَّ تَرْقُبَهُ يُسَمَّى تَرْجِيًا ، وَيُعْبَرُ عَنْهُ بـ «عسى» و«لعلَّ» ، نحو : ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾^(٣) [الطلاق : ١] .

وللتَّمَنِّي أربعُ أدواتٍ :

- واحدةٌ أصليَّةٌ وهي : «ليت» .

- وثلاثٌ غيرُ أصليَّةٍ وهي :

(١) يعني في الدنيا لا يمكن أن يعود الشباب ، لكن لو فُرِضَ أَنَّ الْإِنْسَانَ فَقَدَ قُوَّتَهُ - لضعفٍ لا لِكِبَرٍ سِنَّ - هل يمكن أن تعود القُوَّةُ؟ نَعَمْ يمكن ، بالشفاء من هذا المرض يمكن أن تعود .
(٢) [هل] هذا مستحيل ؟ بَعِيدُ الْوُقُوعِ ، لكن قد يقع ، رُبَّمَا يموت للمُغْسِرِ ابنُ عَمٍّ عنده ملايين الدنانير ، ولا يَرُثُهُ إِلَّا هذا الفقيرُ ، بين عَشِيَّةٍ وضحاها يكون عنده ملايين ، أليس كذلك ؟ ، إِذَا لَيْسَ بِمُسْتَحِيلٍ أَنْ يَرْزُقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْفَقِيرَ أَلْفَ دِينَارٍ بَيْنَ عَشِيَّةٍ وَضُحَاهَا ، لَكِنَّهُ بَعِيدٌ .

(٣) إِذَا الْفَرْقُ بَيْنَ التَّرَجِّيِ وَالتَّمَنِّيِ أَنَّ :

- التَّرَجِّيُّ فِيمَا يُتَرَقَّبُ حَصُولُهُ .

- وَالتَّمَنِّيُّ عَكْسُ ذَلِكَ ، فِيمَا لَا يُتَرَقَّبُ وَقُوعُهُ ، إمَّا لِكَوْنِهِ مُسْتَحِيلًا وَإِمَّا لِكَوْنِهِ بَعِيدَ الْمَنَالِ .

١ - «هل»، نحو: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾^(١) [الأعراف: ٥٣].

٢ - «لو»، نحو: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) [الشعراء: ١٠٢].

٣ - «لعل»، نحو قوله [الطويل]:

أَسْرَبَ الْقَطَا! هل مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ^(٣)

ولاستعمال هذه الأدوات في التمني يُنصَّب المضارع الواقع في جوابها^(٤).

* * *

(١) «هل» هنا للتمني، يعني: يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُمْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ.

(٢) يعني: يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُمْ رَجْعَةٌ إِلَى الدُّنْيَا لِيَكُونُوا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

(٣) هذا إنسان مشتاق إلى أهله أو إلى معشوقته - الله أعلم - مرَّ به سِرْبٌ مِنَ الْقَطَا، فَقَالَ يُخَاطِبُ الْقَطَا:

أَسْرَبَ الْقَطَا! هل مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ

هذا تَمَنٍّ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ تَنْزِلَ قَطَاةٌ تَقُولُ: «خُذْ جَنَاحِي طِرْ بِهِ»، لَا يُمْكِنُ هَذَا.

(٤) كُلُّ مُضَارِعٍ يَقَعُ جَوَاباً لِلتَّمَنِّي أَوْ التَّرَجِّي فَإِنَّهُ يَكُونُ مَنْصُوباً.

[٥ - النداء]

وأما النداء: فهو طَلَبُ الإقبال بحرفٍ نائبٍ مَنَابٍ «أدْعُو».

وأدواته ثمان: «يا»، والهمزة، و«أني»، و«آ»، و«آني»، و«أيا»، و«هيا» و«وا»^(١)، فالهمزة و«أني» للقريب، وغيرهما للبعيد.

وقد يُنَزَّلُ البعيدُ مَنْزِلَةَ القريبِ، فينادى بالهمزة و«أني» إشارةً إلى أنه لِشِدَّةِ استحضاره في ذهنِ المتكلمِ صارَ كالحاضرِ معه، كقولِ الشاعرِ [الطويل]:

أَسْكَنْ نَعْمَانِ الْأَرَاكِ! تَيَقَّنُوا بِأَنْكُمُ فِي رَبْعِ قَلْبِي سُكَّانُ^(٢)

وقد يُنَزَّلُ القريبُ مَنْزِلَةَ البعيدِ، فينادى بأحدِ الحروفِ الموضوعَةِ له إشارةً إلى أَنَّ المُنَادَى عَظِيمُ الشَّانِ، رَفِيعُ المَرْتَبَةِ، حتَّى كَأَنَّ بُعْدَ درجتهِ في العِظَمِ عن درجَةِ المتكلمِ بُعْدٌ في المسافةِ، كقولك: «أيا مَوْلَايَ!» وأنتَ معه، أو إشارةً إلى انْخِطَاطِ درجتهِ، كقولك: «أيا هذا!» لَمَنْ هو معك، أو إشارةً إلى أَنَّ السامِعَ غَافِلٌ لِنَحْوِ نومٍ أو ذُھُولٍ كَأَنَّهُ غَيْرُ حَاضِرٍ في المَجْلِسِ، كقولك للساهي: «أيا فلان!»^(٣).



(١) لو قال المؤلف: «النداء: طَلَبُ الإقبالِ بـ «يا» أو إحدى أخواتها» لكان أوضح.

أدواته ثمان، لكنَّ «وا» تأتي في التذبة، يعني: يندُب الإنسانُ ميتاً أو ما أشبه ذلك، يأتي بـ«وا»، ثم فصل المؤلف.

(٢) هنا يخاطب أناساً بعيدين: «أَسْكَنْ نَعْمَانِ الْأَرَاكِ»، لكنَّهُ لِشِدَّةِ استحضاره إيَّاهم ناداهم مُنَادَى القريبِ.

(٣) قد يُنَزَّلُ القريبُ مَنْزِلَةَ البعيدِ لأسبابٍ، إمَّا:

١- لِعُلُوِّ المَرْتَبَةِ.

[الإنشاء غير الطلبي]

وغيرُ الطَّلْبِيِّ يكون بالتعجب، والقَسَم، وصِيغِ العُقُودِ كـ «بِغْتِ» و«اشتريتُ»، ويكون بغير ذلك.

وأنواعُ الإنشاءِ غيرِ الطَّلْبِيِّ ليست من مباحثِ عِلْمِ المعاني؛ فلذا ضَرَبْنَا صَفْحاً عنها^(١).

* * *

= ٢ - أو لِدُنُو المرتبة.

٣ - أو لِغَفْلَتِهِ .

٤ - أو لِبِلَاهَتِهِ، أو ما أشبه ذلك.

ولهذا إذا فَهَمْتَ رَجُلًا مسألةً من المسائل وَعَجَزَ أَلَّا يَفْهَمَ تقول: «يا رجل! هذا هو المقصود، يا رجل! أفهم»، وهو عندك، لا تقل «أَرَجُلٌ» لا، [بل] تقول: «يا رَجُلٌ»؛ لأنَّه لِبِلَاهَتِهِ صار كأنَّه بعيدٌ.

وقد يُنْزَلُ القريبُ مَنَزَلَةَ البعيد، أو البعيدُ مَنَزَلَةَ القريب؛ وذلك حَسَبَ السياق.

(١) الإنشاء غير الطَّلْبِيِّ يكون:

- بالتعجب، مثل: «ما أحسنَ زيداً»، ومثل قوله تعالى: «أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ» [مريم: ٣٨].

- بالقَسَم؛ لأنَّ القَسَمَ إنشاءٌ: «واللَّهِ لأَفْعَلَنَّ»، هذا إنشاءٌ قَسَمٍ، ليس خبراً عن قَسَمٍ، بل هو إنشاءٌ قَسَمٍ.

- وصِيغِ العُقُودِ كـ «بِغْتِ» «طَلَّقْتُ» «وَقَفْتُ» «رَهَنْتُ»، هذه ليست أخباراً، هذه إنشاءٌ؛ لأنَّها عَقْدٌ من الآن، لكنَّها في الواقع إخبارٌ عَمَّا في نَفْسِ العاقِدِ، فإذا قلت: «طَلَّقْتُ زوجتي» هل تَطْلُقُ؟ إن كان خبراً عن الماضي نَظَرْنَا هل طَلَّقَ أو ما طَلَّقَ، وإن كان إنشاءً للطلاق الآن طَلَّقْتُ.

كذلك لو قلت: «بِغْتِ بيتي عليك»، إذا كان إنشاءٌ عقدي من الآن فليس خبراً، بل هو إنشاءٌ، ماذا يقول الثاني؟ «قَبِلْتُ»، إذا كان خبراً- يعني: بِغْتُهُ أَمْسٍ- ماذا يقول الثاني؟ «صَدَقْتُ» أو «كَذَبْتُ»، الأول يكون إنشاءً وعَقْداً إذا قَبِلَ المخاطَبُ تَمَّ البيعُ، والثاني يكون خبراً إن كان قد وقع أَمْسٌ فهو بيعٌ وإلَّا فلا.

الباب الثاني
في
الذُّكْرِ وَالْحَذْفِ

الذَّكْر والحذف

إذا أُريدَ إفادةُ السامعِ حُكماً فأَيُّ لفظٍ يَدُلُّ على معنى فيه فالأصلُ ذِكرُهُ، وأَيُّ لفظٍ عَلِمَ مِنَ الكلامِ لِدلالةٍ باقيةٍ عليه فالأصلُ حذفُهُ، وإذا تعارضَ هذانِ الأصلانِ فلا يُعَدُّلُ عن مُقتَضَى أحدهما إلى مُقتَضَى الآخرِ إلا لداعٍ^(١).

فَمِنْ دواعي الذَّكْرِ:

١- زيادةُ التقريرِ والإيضاحِ، نحو: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢) [البقرة: ٥].

٢- والتسجيلُ على السامعِ حتى لا يَتَأَتَّى له الإنكارُ، كما إذا قال الحاكمُ لشاهدٍ: «هل أَقرَّ زيدٌ هذا بأنَّ عليه كذا؟» فيقول الشاهدُ: «نَعَمْ، زيدٌ هذا أَقرَّ بأنَّ عليه كذا»^(٣).

(١) الأصلُ فيما يُراد إفهامُهُ: الذَّكْرُ؛ لأنَّ المحذوفَ الأصلُ فيه عدمُ العِلْمِ فالأصلُ الذَّكْرُ^(*)، وإذا كان ذِكرُ الشيءِ لا فائدةً منه فالأصلُ الحذفُ ولا يُذكرُ إلا لفائدةً، يعني: إذا كان معلوماً مِنَ السياقِ فالأصلُ حذفُهُ ولا يُذكرُ إلا لفائدةً؛ وذلك لأنَّ ذِكرَهُ مع العِلْمِ به تَطْوِيلٌ بلا فائدةٍ، إذا تعارضَ هذا وهذا فإنَّ الأصلَ ذِكرُ ما يحتاج إلى ذِكرٍ، وحذفُ ما يحتاج إلى حذفٍ.

(٢) الشاهدُ قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، لو قال: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ كَفَى؛ لأنَّ كُلَّ مَنْ كان على هدى مِنْ رَبِّهِ فهو مُفْلِحٌ، لكنَّ خَتَمَهَا بقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

(٣) لا يحتاج إلى «[زيدٌ] هذا» إلا مِنْ أَجل أن يُسجَلَ على السامعِ حتى لا يُنْكِرَ ويقول: «إني أَرَدْتُ زيداَ غَيْرَ هذا».

(*) لِإتِّعامِ القرينةِ الدالةِ عليه عند حذفِهِ.

وَمِنْ دَوَاعِي الْحَذَفِ:

١- إخفاء الأمر عن غير المُخاطَب، نحو: «أَقْبَلْ»، تريد «عَلَيَّا» مثلاً^(١).

٢- وَضِيقُ الْمَقَامِ:

أ - إِمَّا لِتَوَجُّعٍ، نحو [الخفيف]:

قال لي: «كيف أنت؟» قُلْتُ: «عَلِيلٌ سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ»^(٢)

ب - وَإِمَّا لِخَوْفِ فَوَاتِ فُرْصَةٍ، نحو قول الصَّيَّادِ: «غَزَالٌ!!»^(٣).

٣- والتعميمُ باختصارٍ، نحو: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥].

(١) صحيح، من دواعي الحذف هو ما ذَكَرَهُ: إخفاء الأمر، تقول: «أَقْبَلْ»، تقول: «سَرَقَ» ولا تَذْكُرُ السَّارِقَ، تقول: «سَرِقَ المَتَاعَ» ولا تَذْكُرُ السَّارِقَ.

(٢) هذا سُئِلَ: «كيف أنت؟» قال: «عليل مريض»، فسره بقوله: «سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ»، اللَّهُمَّ أَعِزَّنَا مِنْ ذَلِكَ.

المحذوف: «قُلْتُ: أنا عليل، حالي سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ»، فحذف المبتدأ في كلتا الجملتين:

- الأول التقدير: «أنا عليل»، لكن قال «عليل» لأجل أن يُبَادِرَ الْمُتَكَلِّمَ بِذِكْرِ الْحَالِ.

- وأيضاً «سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ» هذا مثله، والتقدير: «حالي سَهَرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ»، فحذفها حتى يُبَيِّنَ سَبَبَ عِلَّتِهِ مِنْ أَوَّلِ وَهَلَةٍ.

(٣) الصَّيَّادُ يَرِيدُ أَنْ يَصِيدَ، فيقال له: «غزال غزال!!»، لا يقال: «انْظُرْ إِلَى الْغَزَالِ يَمْشِي عَلَى يَمِينِكَ أَوْ عَلَى يَسَارِكَ»، لو كان يتكلم هذا الكلام تفوت الفرصة، أو مثلاً الصَّيَّادُ يَرِيدُ أَنْ يَصِيدَ وَالسَّلَاحُ عِنْدَهُ، فيأتي مُسْرِعاً ويقول: «غزال غزال!!» لا يقول: «رَأَيْتُ غَزَالاً يُمْكِنُ أَنْ أَرْمِيَهُ فَأَوْثِقْهُ»، ما يحتاج، المُهِمُّ إِذَا خَافَ فَوَاتَ الْفُرْصَةَ فَإِنَّهُ يُحَذِّفُ، «غزال» تقديرها: هذا غزال.

أي: جميع عبادِه؛ لأنَّ حَذَفَ المعمولِ يُؤْذَنُ بالعموم^(١).

٤- وتنزيلُ الْمُتَعَدِّي مَنَزَلَةَ اللَّازِمِ (*) لعدم تعلُّقِ الغَرَضِ بالمعمولِ، نحو: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢) [الزُّمَر: ٩].

ويُعَدُّ مِنَ الحذفِ إسنادُ الفعلِ إلى نائبِ الفاعلِ، فيقال: حَذَفَ الفاعِلُ للخوفِ منه أو عليه، أو للعلمِ به، أو الجهلِ، نحو: «سُرِقَ المتاعُ»، ﴿وَحُلِقَ الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا﴾^(٣) [النساء: ٢٨].

* * *

(١) ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ مَنْ يدعُو؟ جميعُ العِبَادِ، ولهذا في الهداية قال: ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، الدعوة عامة، والهداية خاصة.

(٢) الْمُتَعَدِّي: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ و﴿يَعْلَمُونَ﴾: هل يستوي الذين يَعْلَمُونَ الْعِلْمَ أو يَعْلَمُونَ الشَّيْءَ والذين لا يَعْلَمُونَهُ، حَذَفَ لعدم تعلُّقِ الغَرَضِ بالمعمولِ؛ لأنَّ الغَرَضَ هو الْعِلْمُ إثباتاً أو نفيًا.

(٣) «سُرِقَ المتاعُ» للخوفِ منه أو عليه؟ يحتملُ أَنَّهُ أخفاه:

- للخوفِ عليه أَنَّهُ تأخذه للصدقاتِ وتُعْزَرُهُ.

- للخوفِ منه لو أَعْلَمَ بالسارقِ، خَشِيَ من السارقِ، هذا الخوفِ منه.

- للجهلِ إذا كان لا يدري.

- أَمَّا ﴿وَحُلِقَ الْإِنْسَنُ ضَعِيفًا﴾ فَلِلْعِلْمِ بِهِ؛ لَأَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ.

(*) وذلك بعدمِ ذِكْرِ المعمولِ.

الباب الثالث
في
التقديم والتأخير

التقديم والتأخير

من المعلوم أنه لا يُمكنُ النُّطقُ بأجزاء الكلام دفعةً واحدةً، بل لا بُدَّ من تقديم بعض الأجزاء وتأخير البعض، وليس شيءٌ منها في نفسه أُولَى بالتقدُّم من الآخر؛ لأشراك جميع الألفاظ - من حيث هي ألفاظٌ - في درجة الاعتبار، فلا بُدَّ لتقديم هذا على ذاك من داعٍ يُوجبُه^(١)، فمن الدَّواعي:

١- التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدِّم مُشعِراً بقرابة، نحو [الخفيف]:

وَالَّذِي حَارَتْ الْبَرِيَّةُ فِيهِ حَيَوَانٌ مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جَمَادٍ^(٢)

٢- وتعجيلُ المسرَّة أو المساءة، نحو: «العفو عنك صدَرَ به الأمر»، أو: «القصاصُ حَكَمَ به القاضي»^(٣).

(١) التقديم والتأخير - من حيث الكلمات - ليست هذه الكلمة بأُولَى بالتقديم من هذه الكلمة، هذا من حيث الكلمات نفسها، لكن من حيث التركيب لا شك أن بعضها أُولَى بالتقديم، فالمبتدأ والخبر ما الأُولَى بالتقديم؟ المبتدأ، الفعل والفاعل؟ الفعل، وهَلَمْ جَزَاءً، الاستفهام له الصدارة، لكن كلاً منّا على الكلمة من حيث هي.

(٢) ماذا يعني؟ يعني: الإنسان، الإنسان خُلِقَ من تراب، هو الآن جاء بهذا البيت الفخم الذي يذهب الإنسان في تصوُّره كلَّ مذهبٍ...^(*)

(٣) لو قال: «القصاص منك» كان أوضح، القصاص قد يكون لغيره، ورُبَّما يُسرُّ به لا يُساء به، لكن «القصاص منك حَكَمَ به القاضي» عَجَّلَتْ له المساءة.

«العفو عنك صدَرَ به الأمر» الأصل أن يُقال: «صدَرَ الأمرُ بالعفو عنك» هذا الأصل، لكن تعجيلاً لمسرَّته قلت: «العفو عنك صدَرَ به الأمر»، والحقيقة أن هذا =

(*) المراد - هنا - أن الشاعر قدَّم صفةً مشعِرةً بالقرابة وآخر الموصوف، ليَجْعَلَ السامِعَ مُتَشَوِّقاً لمعرفته، ثم ذَكَرَ أصلَ نشأته.

٣- وَكَوْنُ الْمُتَقَدِّمِ مَحَطَّ الْإِنْكَارِ وَالتَّعَجُّبِ، نحو: «أَبْعَدَ طُولِ التَّجَرِبَةِ»^(١) تَنْخَدِعُ بِهِ الزَّخَارِفُ!؟»^(٢).

٤- وَالنَّصْرُ عَلَى عُمومِ السَّلْبِ، أَوْ سَلْبِ الْعُمومِ:

فَالأَوَّلُ: يَكُونُ بِتَقْدِيمِ أَدَاةِ الْعُمومِ^(*) عَلَى أَدَاةِ النَّفْيِ، نَحْو: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ

= الْكَلَامَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ فِيهِ رَكَاةٌ، لَكِنَّ الْمَقْصودَ ضَرْبُ الْمَثَالِ، إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُعْجَلَ لَهُ الْبَيِّنَةُ مَاذَا نَقُولُ؟: «أَبْشِرْ، فَقَدْ صَدَرَ الْأَمْرُ بِالْعَفْوِ عَنْكَ»، أَمَّا «الْعَفْوُ عَنْكَ صَدَرَ بِهِ الْأَمْرُ» هَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ رَكِيكٌ، فَلَيْسَ بِبَلِيغٍ، لَكِنَّ الْمُؤَلِّفَ أَرَادَ بِذَلِكَ ضَرْبَ الْمَثَلِ. كَذَلِكَ «الْقِصَاصُ حَكَمَ بِهِ الْقَاضِي» يَعْنِي: الْقِصَاصُ عَلَيْكَ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَوَّلُ مَا يَسْمَعُ «الْقِصَاصُ» يَتَّقِرُ وَيَخَافُ وَيَرْتَعِدُ، لَكِنْ لَوْ قَالَ: «حَكَمَ الْقَاضِي بِالْقِصَاصِ عَلَيْكَ» صَارَ - عِنْدَ قَوْلِ الْقَائِلِ: «حَكَمَ الْقَاضِي» - بَيْنَ هَلْ عَلَيَّ أَوْ لَا؟.

(١) [نَطَقَهَا مَنْ يَقْرَأُ عَلَى الشَّيْخِ بِضَمِّ الرَّاءِ، فَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ مُصَوِّبًا]:

هَذَا مِنَ الْخَطَا الشَّائِعِ، النَّاسُ يَقُولُونَ: «التَّجَارِبُ» وَ«التَّجَرُّبَةُ» وَهَذَا غَلَطٌ، لَفْظٌ لَا يَسْتَقِيمُ، بَلْ هُوَ بِكسْرِ الرَّاءِ فِي الْمَفْرَدِ وَالْجَمْعِ: «تَجَرِبَةٌ وَتَجَارِبٌ»، قَالَ الشَّاعِرُ^(**) [الْبَسِيطُ]:

قَدْ جَرَّبُوهُ فَمَا زَادَتْ تَجَارِبُهُمْ

(٢) هَذَا مَحَلُّ الْإِنْكَارِ وَالتَّعَجُّبِ؛ لِأَنَّهُ بَعْدَ طَوِيلِ التَّجَرِبَةِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ حَذِرًا مُتَّهِيًا يَقِظًا، فَلَا يَكُونُ مُنْخَدِعًا، وَمِثْلُ قَوْلِ الْمُؤَلِّفِ^(***) رَحِمَهُ اللهُ [الطَوِيلُ]:
أَبْعَدَ بَيَاضِ الشَّيْبِ أَغْمُرُ مَسْكَنًا سَوَى الْقَبْرِ، إِنِّي إِنْ فَعَلْتُ لَأَحْمَقُ
يُخَبِّرُنِي شَيْبِي بِأَنِّي مَيِّتٌ وَشَيْبَا وَنَعْمَانِي إِلَيَّ فَيَضِدُّ
الشَّاهِدُ قَوْلُهُ: «أَبْعَدَ بَيَاضِ الشَّيْبِ أَغْمُرُ مَسْكَنًا سَوَى الْقَبْرِ».

(*) ٥: «كُلٌّ»، وَ«جَمِيعٌ».

(**) هُوَ الْأَعَشَى مَيْمُونُ بْنُ قَيْسٍ، أَحَدُ أَصْحَابِ الْمَعْلَقَاتِ الْعَشْرِ، وَالْبَيْتُ كَمَا فِي تَاجِ الْعُرُوسِ وَلِسَانِ الْعَرَبِ (جَرَب):

كَمْ جَرَّبُوهُ فَمَا زَادَتْ تَجَارِبُهُمْ أَبَا قُدَامَةَ إِلَّا الْمَجْدَ وَالْفَتَنَا

(***) هُوَ مُؤَلِّقُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ قُدَامَةَ الْمَقْدِسِيِّ الْحَنْبَلِيِّ، صَاحِبُ كِتَابِ (الْمَغْنِيِّ) الْمَرْجِعِ الْكَبِيرِ فِي الْفَقْهِ الْحَنْبَلِيِّ، تُوُفِّيَ سَنَةَ ٦٢٠ هـ.

يَكُنْ»، أي: لَمْ يَقَعْ هذا ولا ذاك.

والثاني: يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم، نحو: «لَمْ يَكُنْ كُلُّ ذلك»، أي: لَمْ يَقَعْ المجموع^(*)، فيَحْتَمِلُ ثبوت البعض، وَيَحْتَمِلُ نفي كل فرد^(١).

٥- والتخصيص، نحو: «ما أنا قُلْتُ»، و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾^(٢) [الفاتحة: ٥].

ولَمْ يُذَكِّرْ لِكُلِّ مِنَ التقديم والتأخير دواعٍ خاصّة؛ لأنّه إذا تقدّم أحدُ رُكني الجملة تأخّر الآخر، فهما متلازمان^(٣).



(١) هذه مسألة مهمّة، إذا قلت: «هل كَلِمَتُ فلاناً أو فلاناً؟» فقلت: «كلُّ ذلك لم يكن» هذا نفي عموم السلب، يعني: أنّي لَمْ أَكَلِّمْ هذا ولا هذا، وإذا قلت: «لم يكن كلُّ ذلك» ففيه احتمال أنّي لَمْ أَكَلِّمَهُمَا، أو احتمال أنّي لَمْ أَكَلِّمَهُمَا جميعاً بل كَلِمَتُ واحداً وتركت الآخر.

- عمومُ السلب يكون إذا قدّمت صيغة العموم على النفي.
- وسلبُ العموم إذا قدّمت النفي على صيغة العموم.

في بعض ألفاظ حديث ذي اليدين أنّه لما قال ذو اليدين للنبي ﷺ: «أنسيّت أم قصّرت الصلاة؟» فقال: «كلُّ ذلك لم يكن»^(**)، مِنْ أَيِّهِمَا؟ مِنْ عموم السلب، يعني: ما كان هذا ولا هذا، لكن لو قال: «لم يكن كلُّ ذلك» صار مِنْ سلب العموم، والسلب هنا بمعنى النفي.

(٢) هنا قدّم المعمول، وتقدّم المعمول يدلُّ على الاختصاص.

(٣) إذا ذكّرت دواعي التقديم عرّفت دواعي التأخير.

(*) النفي في عموم السلب يكون لكل فرد، أما في سلب العموم فيكون للمجموع غالباً.

(**) رواه البخاري (٦٩/١٠)، ومسلم (٥/٩٩)، واللفظ له.

الباب الرابع

في

القصر

القَصْر

القَصْرُ: تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ^(١)، بطريقٍ مخصوصٍ.

وينقسم إلى: حقيقي، وإضافي.

١ - فالحقيقي: ما كان الاختصاصُ فيه بحسَبِ الواقعِ والحقيقةِ، لا بحسَبِ الإضافةِ إلى شيءٍ آخرَ، نحو: «لا كَاتِبَ في المدينةِ إلا عليٌّ» إذا لم يكن غيره فيها من الكُتَّابِ^(٢).

٢ - والإضافي: ما كان الاختصاصُ فيه بحسَبِ الإضافةِ إلى شيءٍ مُعَيَّنٍ، نحو: «ما عليٌّ إلا قائِمٌ» أي أنَّ له صفةَ القيامِ لا صفةَ القعودِ، وليس الغرضُ نفيَ جميعِ الصفاتِ عنه، ما عدا صفةَ القيامِ^(٣).

(١) اِنْتَبَهْ إلى أنَّ القَصْرَ يعني: الحَضْرَ، فهو يُسَمَّى حَضْرًا وَيُسَمَّى قَصْرًا؛ لأنَّ الحَضْرَ: قَصْرُ شيءٍ على آخرَ، فهما بمعنى واحد.

(٢) القَصْرُ - وهو الحَضْرُ - : حقيقي وإضافي:
- فإذا قلت: «لا إله إلا الله» فالحَضْرُ حقيقي؛ لأنَّ المقصودَ: لا إله حقٌّ إلا الله، وهذا حقيقي.
- وإذا قلت: «لا خالقَ إلا الله» فهو أيضاً حقيقي.
- وإذا قلت: «لا مَلِكَ إلا فلان» وهو - حقيقةً - ليس هناك إلا مَلِكٌ واحد؛ هذا حقيقي.
- وإذا قلت: «لا مُعَلِّمَ إلا فلان» وليس في البلدِ سواه، و«لا كَاتِبَ إلا فلان» ولا كَاتِبَ سواه؛ حقيقي.

(٣) الإضافي: هو ما كان محصوراً بالنسبة إلى شيءٍ مُعَيَّنٍ.
إذا قلت: «لا جوادَ إلا حاتمٌ» - حاتم الطائي المعروف - إضافي؛ لأنَّه يُوجَدُ أجوادٌ كثيرون، ولكن لا جوادَ مثلاً باعتبار المكان الذي هو فيه، باعتبار الزمان الذي هو فيه، باعتبار نوعٍ من الجود، فالإضافي: ما كان الحَضْرُ فيه باعتبار شيءٍ مُعَيَّنٍ.

وكلُّ منهما ينقسم [باعتبار طَرَفَيْهِ] إلى:

١- قَصْرُ صِفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ، نحو: «لا فَارِسَ إِلَّا عَلِيٌّ».

٢- وَقَصْرُ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ^(*)، نحو: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فيَجُوزُ عليه الموت^(١).

وَالْقَصْرُ الْإِضَافِيُّ يَنْقَسِمُ بِاعْتِبَارِ حَالِ الْمُخَاطَبِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

١- قَصْرُ إِفْرَادٍ: إِذَا اعْتَقَدَ الْمُخَاطَبُ الشَّرَكَةَ.

= وإِثْمَا الْحَضْرُ الَّذِي يَقْصِدُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ؟ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ يُحْمَلُ عَلَى الْحَقِيقِيِّ، فَإِذَا تَعَدَّرَ الْحَمْلُ عَلَى الْحَقِيقِيِّ قُلْنَا: هَذَا إِضَافِي.

حَسَنًا، «مَا عَلِيٌّ إِلَّا قَائِمٌ» هَذَا إِضَافِي؛ لِأَنَّهُ ضَاحِكٌ جَائِعٌ عَطْشَانٌ بَاكِ لَهُ صِفَاتٌ كَثِيرَةٌ غَيْرُ «قَائِمٍ»، لَكِنْ هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِهَذِهِ الصِّفَةِ الْمُعَيَّنَةِ، يَعْنِي أَنَّهُ قَائِمٌ وَلَيْسَ بِقَاعِدٍ، هَذَا مَا نُسَمِّيهِ حَضْرًا إِضَافِيًّا، فَمَا كَانَ الْحَضْرُ فِيهِ بِاعْتِبَارِ الْوَاقِعِ فَهُوَ حَقِيقِي، وَمَا كَانَ الْحَضْرُ بِهِ بِاعْتِبَارِ شَيْءٍ مُعَيَّنٍ فَهُوَ إِضَافِي.

(١) إِذَا كَانَتْ الصِّفَةُ مُخْتَصَّةً بِمَوْصُوفِهَا فَهُوَ قَصْرُ صِفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ، وَإِنْ كَانَ الْمَوْصُوفُ مَقْصُورًا عَلَى الصِّفَةِ فَهُوَ قَصْرُ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ.

- «لا فَارِسَ إِلَّا عَلِيٌّ» قَصَرْنَا صِفَةَ الْفَرُوسِيَّةِ عَلَى عَلِيٍّ، أَمَّا كَوْنُهُ حَقِيقِيًّا أَوْ إِضَافِيًّا فَتَنْظُرُ، إِنْ كَانَ فِي الْبَلَدِ فَارِسٌ سِوَاهُ فَهُوَ إِضَافِي، وَإِلَّا فَهُوَ حَقِيقِي.

- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ هَذَا قَصْرُ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ، يَعْنِي أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ رَسُولٌ لَا أَنَّهُ رَبٌّ، وَلَا أَنَّهُ مَلَكٌ، وَلَا أَنَّهُ سَيِّحِلْدٌ؛ لِأَنَّ آخِرَ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ: ﴿إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾.

- «لا قَائِمٌ إِلَّا مُحَمَّدٌ»: صِفَةٌ عَلَى مَوْصُوفٍ.

- «مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا قَائِمٌ»: مَوْصُوفٌ عَلَى صِفَةٍ.

(*) الْغَالِبُ فِي الْقَصْرِ الْحَقِيقِيِّ قَصْرُ الصِّفَةِ عَلَى الْمَوْصُوفِ، وَيَنْدَرُ فِيهِ قَصْرُ الْمَوْصُوفِ عَلَى الصِّفَةِ، أَمَّا الْقَصْرُ الْإِضَافِيُّ فَيَرِدُ فِيهِ النُّوعَانِ بكَثْرَةٍ.

٢- وقَصُرَ قَلْبٌ: إذا اعتَقَدَ العكس.

٣- وقَصُرَ تعيين: إذا اعتَقَدَ واحداً غَيْرَ مُعَيَّنٍ^(١).

وللقَصْرِ طُرُقٌ:

١ - منها: التَّنْفِي والاستثناء، نحو: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

٢ - ومنها: «إنَّما»، نحو: «إنَّما الفاهِمُ عليٌّ».

٣ - ومنها: العَطْفُ بـ «لا» أو «بل» أو «لكن»، نحو: «أنا ناثِرٌ لا ناظِمٌ»، و«ما أنا حاسبٌ بل كاتبٌ»^(٢).

(١) القَصْر الإضافي ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- قَصْرُ إفراد: إذا اعتقد المخاطَبُ الشَّرَكَةَ، فإذا قلت: «لا قائمٌ إلا محمدٌ» تخاطِبُ رَجُلًا يَعْتَقِدُ أَنَّ القائِمَ مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ؛ هذا قَصْرُ إفراد، يعني بعدما كان المخاطَبُ يَعْتَقِدُ أَنَّ القائِمَ أَكْثَرَ مِنْ واحد؛ صار الآن لا يَتَصَوَّرُ إِلَّا واحداً.

٢- قَصْرُ قَلْبٍ: إنسان يَعْتَقِدُ أَنَّ عَمْرَأً هو الكاتب، فقلت: «لا كاتبٌ إلا عليٌّ»، هذا قَصْرُ قَلْبٍ؛ لأنَّ المخاطَبَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لا كاتبٌ إِلَّا عَمْرُو، الآن قَلَبْتُ الأمرَ عليه وقلت: «لا كاتبٌ إِلَّا عليٌّ أو محمدٌ»، المهمُّ أَنَّنِي خَاطَبْتُهُ بغير ما كان يَعْتَقِدُ، هذا يُسَمَّى قَصْرَ قَلْبٍ؛ لأنِّي قَلَبْتُ مَفْهُومَ المخاطَبِ إلى ضِدِّهِ.

٣- قَصْرُ تعيين: مثل أن يسألك سائلٌ: «يا فلان! هل عمرو هو الكاتبُ أو خالدٌ؟» فقلت: «لا كاتبٌ إِلَّا خالدٌ»، هذا تعيين.

(٢) ما أتى بمثالٍ لـ «لكن»!، انزَعِ «بل» وَضَعْ بدلها «لكن»؛ يستقيم، تقول: «ما أنا حاسبٌ لكن كاتبٌ».

٤ - ومنها: تقديم ما حَقُّهُ التأخيرُ، نحو: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾^(١) [الفاتحة: ٥].

(١) الآن ذَكَرَ الطَّرُقَ:

- ١ - النفي والاستثناء، وهو أعلاها، مثل: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ أي: ما هذا إلا مَلَكٌ كريمٌ، وهذا الحَصْرُ إضافيٌّ، يعني أَنَّ السُّؤَالَ قُلْنَ: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.
- ٢ - «إنَّما»، والفرق بين «إلا» و«إنَّما» أَنَّ «إلا» يليها المحصورُ فيه، و«إنَّما» يليها المحصورُ، اتَّيَبَ للفرق، مثاله: «إنَّما الفَاهِمُ عَلِيٌّ»، الآن حَصَرْتَ الفَهْمَ بعليٍّ؛ لأنَّ «إنَّما» يليها المحصورُ.
- ٣ - «لا»، تقول: «القَائِمُ عَلَيَّ لَا بَكْرٌ».
- ٤ - «بل»: «ما القَائِمُ فلانٌ بل فلانٌ».
- ٥ - «لكن»: «ما القَائِمُ فلانٌ لكن فلانٌ».
- ٦ - تقديم ما حَقُّهُ التأخيرُ: هذه عامَّةٌ، كلُّ «تقديم ما حَقُّهُ التأخيرُ» فهو مُفِيدٌ للحَصْرِ، سواءً كان مفعولاً به أو كان خبراً أو غير ذلك (*).

(*) وهذا توضيح هيكلي لمواضع المقصور والمقصور عليه في الطَّرُق السابقة:

- ١- النفي والاستثناء: (نفي + مقصور + استثناء + مقصور عليه).
- ٢- إنَّما: (إنَّما + مقصور + مقصور عليه).
- ٣- لا: (مقصور + مقصور عليه + لا + المقابل).
- ٤- بل، لكن: (نفي أو نهي + مبتدأ أو فعل + مقصور + بل أو لكن + مقصور عليه).
- ٥- تقديم ما حَقُّهُ التأخير: (مقصور عليه + مقصور).

الباب الخامس
في
الفصل والوصل

الفصل والوصل

الْوَصْلُ: عَطَفُ جُمْلَةٍ عَلَى أُخْرَى.

وَالْفَصْلُ: تَرْكُهُ.

وَالكَلَامُ هُنَا قَاصِرٌ عَلَى الْعَطْفِ بِالْوَاوِ؛ لِأَنَّ الْعَطْفَ بغيرِهَا لَا يَقَعُ فِيهِ اشْتِبَاهٌ.

وَلِكُلِّ مِنَ الْوَصْلِ بِهَا وَالْفَصْلِ مَوَاضِعٌ^(١).

* * *

(١) الوصل: عَطَفُ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ بِالْوَاوِ.

وَالْفَصْلُ: تَرْكُ عَطْفِهِ بِالْوَاوِ.

هَذَا الضَّابِطُ، وَلِكُلِّ مِنْهُمَا مَوَاضِعٌ يَذْكُرُهَا الْمُؤَلِّفُ.

مواضع الوصل بالواو

يَجِبُ الْوَصْلُ فِي مَوْضِعَيْنِ:

الأول: إِذَا اتَّفَقَتِ الْجُمْلَتَانِ خَبَرًا أَوْ إِنِشَاءً وَكَانَ بَيْنَهُمَا جِهَةٌ جَامِعَةٌ، أَيْ: مَنَاسِبَةٌ تَامَّةٌ، وَلَمْ يَكُنْ مَانِعٌ مِنَ الْعَطْفِ، نَحْوُ: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾^(١) [الانفطار: ١٣-١٤]، وَنَحْوُ: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾^(٢) [التوبة: ٨٢].

الثاني: إِذَا أَوْهَمَ تَرْكُ الْعَطْفِ خِلَافَ الْمَقْصُودِ، كَمَا إِذَا قُلْتُ: «لا، وَشَفَاهَ اللَّهُ» جَوَابًا لِمَنْ يَسْأَلُكَ: «هَلْ بَرِئَ عَلَيَّ مِنَ الْمَرَضِ؟»، فَتَرْكُ الْوَاوِ يُوْهِمُ الدَّعَاءَ عَلَيْهِ، وَغَرَضُكَ الدَّعَاءَ لَهُ^(٣).

(١) الْآنَ [لَوْ] فَصِلَ وَقُلْتُ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ تَنَافَرَتِ الْجُمْلَتَانِ، فَإِذَا قُلْتُ ﴿وَإِنَّ الْفَجَّارَ﴾ صَارَتِ الْمَنَاسِبَةُ بَيْنَهُمَا أَظْهَرَ، فَهُنَا وَصَلْ؛ لِأَنَّا عَطَفْنَا إِحْدَى الْجُمْلَتَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى بِالْوَاوِ.

(٢) كَذَلِكَ أَيْضًا ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ لَوْ حُذِفَتِ الْوَاوُ: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا لِيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ تَنَاسُبٌ، لَكِنْ لَوْ قُلْنَا ﴿وَلْيَبْكُوا﴾ قَرَنْتِ الْوَاوُ بَيْنَهُمَا وَصَارَ بَيْنَهُمَا مَنَاسِبَةٌ^(*).

(٣) هَذِهِ كَثِيرًا مَا تَقَعُ، وَيُخْطِئُ فِيهَا النَّاسُ، دَائِمًا يَقُولُونَ: «لَا هَذَاكَ اللَّهُ» «لَا رَحِمَكَ اللَّهُ»، =

(*) سُئِلَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ فِيمَا بَعْدَ هَذَا السُّؤَالِ:

الطَّالِبُ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَوْءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩]، وَهَنَّاكَ آيَةٌ [أُخْرَى وَهِيَ]: ﴿وَيُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٦]، [فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا؟]

فَأَجَابَ رَحِمَهُ اللهُ: الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْآيَةَ الثَّانِيَةَ أَفَادَتْ مَعْنَى أُخْرَى، وَهِيَ: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَوْءَ الْعَذَابِ﴾ ثُمَّ أَضَافَ إِلَيْهِ الْعُقُوبَةَ الثَّانِيَةَ وَهِيَ التَّذْيِيعُ، وَالْأُولَى أَجْمَلٌ - [مِنْ الْإِجْمَالِ] - قَالَ: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَوْءَ الْعَذَابِ﴾ فَفَسَّرَهُ بِالتَّذْيِيعِ.

مواضع الفصل

يَجِبُ الْفَضْلُ فِي خَمْسَةِ مَوَاضِعَ :

الأول: أن يكون بين الجُمْلَتَيْنِ اتِّحَادٌ تَامٌّ بِأَنْ تَكُونَ الثَّانِيَةُ :

- بَدَلًا مِنَ الْأُولَى ، نحو : ﴿أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٣٣) ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ (١) [الشعراء: ١٣٢-١٣٣].

- أو بِأَنْ تَكُونَ بَيَانًا لَهَا ، نحو : ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُمْ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ (٢) [طه: ١٢٠].

= تَسْأَلُهُ : «هل قَدِمَ زَيْدٌ؟» يقول : «لا رَحِمَكَ اللَّهُ» ، «هل شُفِيَ مِنَ الْمَرَضِ؟» [فيقول :] «لا شفاه الله» ، وما أشبه ذلك ، هنا يَتَّعَيْنُ الْعَطْفُ بِالْوَاوِ وَهُوَ الْوَصْلُ ، فتقول : «لا ، وشفاه الله» .

لو قلت لِمَنْ سَأَلْتُكَ «هل بَرِئَ مِنَ الْمَرَضِ؟» : «لا شفاه الله» ؛ سيقول لك : «ما الذي بينك وبينه؟» ، لماذا تدعو له بعدم الشفاء؟» ، لكن إذا قلت : «لا ، وشفاه الله» قَطَعْتَ هَذَا الْاِحْتِمَالَ ، وصار الوصلُ هنا واجِبًا .

أَكْثَرُ مُخَاطَبَتِنَا بِعَدَمِ الْوَاوِ ، لكن ينبغي أن تَضَعَ ذَلِكَ فِي ذِهْنِكَ أَنْ تَأْتِيَ بِالْوَصْلِ .
(١) ﴿وَأَنْتُمْ أَلَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ بماذا أَمَدَّنَا؟ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ؛ لِأَنَّ هُنَا لَوْ وَصَلْتَ وَقُلْتَ «وَأَمَدَّكُمْ» صَارَتِ الثَّانِيَةُ غَيْرَ الْأُولَى ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الثَّانِيَةَ هِيَ الْأُولَى ، لَوْ كَانَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ : «أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ وَأَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ» ؛ صَارَتِ الثَّانِيَةُ غَيْرَ الْأُولَى ، وَالْمَقْصُودُ بَيَانُ أَنَّ الثَّانِيَةَ هِيَ الْأُولَى ، فَيَكُونُ ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ﴾ بَدَلًا مِنَ الْأُولَى .

(٢) الْقَائِلُ إِبْلِيسُ ، ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ يَعْنِي : أَلْقَى إِلَيْهِ الْوَسْوَاسَ ، وَلَمْ يَقُلْ : «فَوَسَّوَسَ لَهُ» ، بَلْ أَوْصَلَهُ إِلَيْهِ ، كَلِمَةً ﴿قَالَ يَتَّخِذُمْ﴾ بَيَانًا لِلْوَسْوَاسَةِ الَّتِي أَلْفَاها إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ، لَوْ قَالَ : «فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ وَقَالَ يَا آدَمُ لَكَانَ ﴿قَالَ يَتَّخِذُمْ﴾ غَيْرَ الْوَسْوَاسَةِ ، لَكِنْ وَسَّوَسَ إِلَيْهِ بَشِيءٌ غَيْرٌ مَذْكُورٌ .

- أو بأن تكونَ مُؤَكَّدَةٌ لها، نحو: ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤِيًا﴾^(١) [الطارق: ١٧].

ويقال في هذا الموضع: إنَّ بين الجملتين كمال الاتصال^(٢).

الثاني: أن يكونَ بين الجملتين تبايُنٌ تامٌّ:

- بأن يَخْتَلِفَا خبراً وإنشاءً^(٣)، كقوله [المُنْشَرَح]:

لا تَسْأَلِ الْمَرْءَ عَنْ خَلَائِقِهِ فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ الْخَبَرِ^(٤)

(١) «مَهْلٌ» و«أَهْلٌ» معناهما واحد، ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ﴾ هذا مُطْلَقٌ ما يُدْرَى هل أَهْلُهُمْ قليلاً أو كثيراً؟، فيَذْهَبُ الذَّهْنُ كُلُّ مَذْهَبٍ، فقال: ﴿أَهْلُهُمْ رُؤِيًا﴾.

فإن قال قائلٌ: لماذا قال «مَهْلٌ» و«أَهْلٌ»؟

قلنا: هذا اختلاف الفعلين لِئَلَّا يقع التكرارُ، وهو ما يُسمَّى عندهم بـ «التَّقْنينِ في العبارة». إذاً لو كان في غير القرآن وقلت: ﴿أَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤِيًا﴾ يجوز، و - هو في غير القرآن - أيضاً: ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ مَهْلُهُمْ رُؤِيًا﴾ يجوز^(*).

(٢) لأنَّ الثانية هي الأولى أو بَدَلٌ منها أو بيانٌ لها، فبينهما كمالُ الاتصال.

(٣) هذا عكس الأولى، والتبايُنُ فسره: بأن يَخْتَلِفَا خبراً وإنشاءً، يعني: بأن تكون إحداهما خبراً والأخرى إنشاءً.

(٤) يعني لا تسأله: ما الذي بك؟ ما الذي أغضبك؟ ما الذي سَرَكَ؟ لا تسأله؛ لأنَّ في وَجْهِهِ شاهداً من الْخَبَرِ، الإنسان يَعْرِفُ الشَّخْصَ إذا رأى وَجْهَهُ، يَعْرِفُ أَنَّهُ مسرور أو مغموماً، يَعْرِفُ أَنَّهُ عَدُوٌّ أو صديق، فالوجهُ في الحقيقة صَفْحَاتُ الْقُلُوبِ.

هاتان الجملتان^(**) اختلفتا خبراً وإنشاءً: الأولى: إنشاءً، والثانية: خبر.

(*) قُرِئَ شاذاً: ﴿فَأَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤِيًا﴾، انظر: «إعراب القراءات الشواذ: ٦٩٩/٢» للعكبري، وقرأ ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ مَهْلُهُمْ رُؤِيًا﴾، انظر: «البحر المحيط: ٤٥٦/٨» لأبي حيان الأندلسي، «المحرر: ٤٠٤/١٥» لابن عطية، «الدر المصون: ٥٠٨/٦» للسمين الحلبي.

(**) أي: شَطَرَا الْبَيْتِ.

وكقول الآخر [البسيط]:

وقال رائدُهُم: أَرَسُوا نَزَاوِلَهَا فَحَفْتُ كُلَّ امْرِئٍ يَجْرِي بِمِقْدَارِ^(١)

- أو بأن لا يكون بينهما مُنَاسَبَةٌ في المعنى، كقولك: «عليّ كاتبٌ، الحمامُ طائرٌ»، فإنه لا مُنَاسَبَةٌ في المعنى بين كتابة عليّ وطيران الحمام.

ويقال في هذا الموضع: إن بين الجملتين كمال الانقطاع^(٢).

الثالث: كَوْنُ الجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ جواباً عن سَوَالٍ نَشَأَ مِنَ الجُمْلَةِ الْأُولَى، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرِئِي نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(٣) [يوسف: ٥٣].

ويقال: بين الجملتين شبه كمال الاتصال.

الرابع: أن تُسَبِّقَ جُمْلَةٌ بِجُمْلَتَيْنِ يَصِحُّ عَطْفُهَا عَلَى إِحْدَاهُمَا؛ لَوْجُودِ الْمُنَاسَبَةِ، وَفِي عَطْفِهَا عَلَى الْأُخْرَى فُسَادٌ، فَيُتْرَكُ الْعَطْفُ؛ دَفْعاً لِلْوَهْمِ، كقوله [الكامل]:

وَتَظُنُّ سَلَمَى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا بَدَلًا، أَرَاهَا فِي الضَّلَالِ تَهِيمُ

فجُمْلَةُ «أَرَاهَا» يَصِحُّ عَطْفُهَا عَلَى «تَظُنُّ»، لَكِنْ يَمْنَعُ مِنْ هَذَا تَوَهُّمُ الْعَطْفِ عَلَى جُمْلَةِ «أَبْغِي بِهَا»، فَتَكُونُ الْجُمْلَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ مَظْنُونَاتِ سَلَمَى، مَعَ أَنَّهُ

(١) بينهما تباين، الأولى: إنشاء، والثانية: خبر، هل بين الجملتين انفصال؟ هناك عطف: «فَحَفْتُ»، ولكن بغير الواو، العطف بغير الواو فصل.

(٢) الآن لو قال قائل: «عليّ كاتبٌ، والحمام طائرٌ»؛ كان الناس ينتقدون عليه، ما العلاقة بين «عليّ كاتبٌ» و«الحمام طائرٌ»؟! ما العلاقة؟! فإذا قال: «عليّ كاتبٌ، الحمام طائرٌ» فَصَلَّاهُمَا وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَهُمَا عِلَاقَةً، فَبَيْنَهُمَا إِذَا تَبَايَنَ تَأَمُّ لِعَدَمِ الْمُنَاسَبَةِ.

(٣) كلتا الجملتين خبرٌ، لكن الثانية تعليلٌ للأولى، فالجملة التعليلية بينها وبين الأولى فصلٌ، يجب الفصل لأنها تعليلٌ لها.

ليس مُراداً^(١).

ويُقال: بين الجملتين في هذا الموضع شبهة كمال الانقطاع.

الخامس: أن لا يُقصد تشريك الجملتين في الحُكم لقيام مانع^(٢)، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ (البقرة: ١٤-١٥)، فجملة ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِكُمْ﴾ لا يصح عطفها على ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾؛ لافتضاءه أنه من مَقُولِهِمْ، ولا على جملة ﴿قَالُوا﴾؛ لافتضاءه أن استهزاء الله بهم مُقَيَّد بحال خُلُوهِم إلى شياطينهم.

ويُقال^(٣): بين الجملتين في هذا الموضع تَوَسُّط بين الكمالين.

(١) لو قال: «وأراها» لكان يحتمل أن تكون عطفاً على «تَنْظُنَّ»، وأن تكون عطفاً على «أبغى»، والمعنى يختلف اختلافاً عظيماً، لذلك نقول: افطع العطف لتكون جملة مستقلة: «أراها في الضلال تهيئ».

(٢) إذا لم يُقصد تشريك الجملتين في الحُكم لقيام مانع فإنه يجب الفصل؛ لئلا يتوهم وإهم أن الجملتين مشتركتان في الحُكم.

إذا قال قائل: هذه المعاني التي قالها المؤلف بماذا تُدرك؟

فالجواب: أنها تُدرك بسياق الكلام وما يحتمله من المعاني، ولذلك رُبما يفهم بعض الناس أن الأولى الفصل، وآخر يرى أن الأولى الوصل؛ لأن الأفهام تختلف، فالشيء الذي يرجع إلى القرائن هذا لا بُد أن يختلف الناس فيه، لكن أنت إذا عرفت الضابط نزل كلامك الذي تتكلم به على هذا الضابط.

(٣) أمّا قول المؤلف: «ويُقال ويُقال» فهذا تعريف الاصطلاح: اصطلاح البلاغيين، بمعنى أنت إن شئت لا تقل بهذا، لكن الاصطلاح لا مشاحة فيه.

الباب السادس

في

الإيجاز والإطناب والمساواة

الإيجاز والإطناب والمساواة^(١)

كُلُّ ما يَجُولُ فِي الصَّدْرِ مِنَ الْمَعْنَى يُمَكِّنُ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْهُ بِثَلَاثِ طُرُقٍ:

١- **المساواة**: وهي تَأْدِيَةُ الْمَعْنَى الْمُرَادِ بِعِبَارَةٍ مُسَاوِيَةٍ لَهُ، بِأَنْ تَكُونَ عَلَى الْحَدِّ الَّذِي جَرَى بِهِ عُرْفُ أَوْسَاطِ النَّاسِ: وَهُمْ الَّذِينَ لَمْ يَزْتَقُوا إِلَى دَرَجَةِ الْبَلَاغَةِ، وَلَمْ يَنْحَطُّوا إِلَى دَرَجَةِ الْفَهَاهَةِ^(٢)، نَحْوُ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيْءِ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨].

٢- **والإيجاز**: وهو تَأْدِيَةُ الْمَعْنَى بِعِبَارَةٍ نَاقِصَةٍ عَنْهُ مَعَ وَفَائِهَا بِالْعَرَضِ^(٣)، نَحْوُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(٤) (*)، فَإِذَا لَمْ تَفِ بِالْعَرَضِ سُمِّيَ إِخْلَالًا، كَقَوْلِهِ

(١) هَذَا أَيْضًا مِنَ الْمُهْمِ: هَلِ الْأَوَّلَى فِي الْكَلَامِ الْإِطْنَابُ، أَوِ الْأَوَّلَى الْقَصْرُ وَالِاخْتِصَارُ، أَوِ الْأَوَّلَى التَّسْوِيَةُ؟ هَذَا يَرْجِعُ إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ الْحَالُ.
(٢) هَذَا مِنْ جِنْسِ اللَّقْطَةِ، تَتَّبِعُهُ هِمَّةُ أَوْسَاطِ النَّاسِ.
(٣) الْإِيجَازُ ذَكَرَ الْمُؤَلَّفُ أَنَّهُ: «أَنْ يُؤْتَى بِعِبَارَةٍ نَاقِصَةٍ مَعَ وَفَائِهَا بِالْعَرَضِ»، النِّقْصُ قَدْ يَكُونُ نِقْصًا فِي الْجَمَلِ، وَقَدْ يَكُونُ نِقْصًا بِالْحَذْفِ وَهَذَا أَكْثَرُ مَا يَكُونُ فِي الْقِصَصِ، فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَأْمُلُ أَنَّ الْقِصَصَ - قِصَّةَ يُوسُفَ وَقِصَّةَ مُوسَى - يَكُونُ فِيهَا حَذْفٌ كَثِيرًا، هَذَا الَّذِي تُسَمِّيهِ إِيْجَازًا.

(٤) «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» هَذَا إِيْجَازٌ، لَكِنَّهُ وَاضِحٌ أَوْ غَيْرُ وَاضِحٍ؟ وَاضِحٌ.
«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(*) إِيْجَازٌ.

«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»^(***) هَذَا إِيْجَازٌ مَعَ وَضُوحِ الْمَعْنَى.
الْإِيْجَازُ لَهُ مَحَلَّاتٌ وَمَوَاضِعٌ، وَالْإِطْنَابُ لَهُ مَحَلَّاتٌ وَمَوَاضِعٌ.

(*) رواه البخاري (١/١)، ومسلم (٣٣/رقم: ١٥٥).

(**) رواه مسلم (٣٠/رقم: ١٨).

(***) رواه البخاري (٣١/٧٨)، ومسلم (١/رقم: ٧٤).

[مجزوء الكامل]:

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلِّ لِ الثُّوكِ مِمَّنْ عَاشَ كَذًا

مُرَّاهُ: أَنَّ الْعَيْشَ الرَّغْدَ فِي ظِلَالِ الْحُمُقِ خَيْرٌ مِنَ الْعَيْشِ الشَّقِّ فِي ظِلَالِ الْعَقْلِ^(١).

٣- والإطناب: وهو تَأْدِيَةُ المعنى بعبارة زائدة عنه مع الفائدة، نحو: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، أي: كَبُرَتْ.

فإذا لم تَكُنْ في الزيادة فائدة سُمِّيَ تطويلاً إن كانت الزيادة غير مُتَعَيِّنَةٍ، وَحْشَوْا إن تَعَيَّنَتْ.

فالتطويلُ نحو [الوافر]:

وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينًا

والْحَشْوُ نحو [الطويل]:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ^(٢)

(١) هذا مُخِلٌّ ولا يَفْهَمُ معناه أحدٌ، مع أَنَّهُ غيرُ مُسَلَّمٍ، نحن نرى أَنَّ الْعَيْشَ فِي ظِلَالِ الْعَقْلِ وإن كان شاقاً خَيْرٌ مِنَ الْعَيْشِ فِي ظِلَالِ الثُّوكِ (يَعْنِي: التَّرَفُ والتَّعَنُّمُ)، لكن أكثر الناس بهائم يريد أن يعيش في تَرْفٍ ورخاء وإن كان عيشُهُ ليس مَبْنِيّاً على العقل.

(٢) الإطناب: هو تَأْدِيَةُ المعنى بعبارة زائدة عنه- أي: عن المعنى- مع الفائدة، فإن لم يكن فائدة سُمِّيَ تطويلاً إن كانت الزيادة غير مُتَعَيِّنَةٍ، وَحْشَوْا إن تَعَيَّنَتْ، مثلاً: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ هذا كناية عن كِبَرِ السِّنِّ، لو قال: «رَبِّ إِنِّي كَبُرْتُ» صَحَّ الكلامُ، يَعْنِي حَصَلَ الْمَقْصُودُ، لكن أراد أن يُبَيِّنَ الدَّلَالََةَ الْوَاضِحَةَ على كِبَرِهِ وهو الْجَمْعُ بين هذين الأمرين:

ومن دواعي الإيجاز: تسهيل الحفظ، وتقريب الفهم، وضيق المقام،

١ - وَهْنُ الْعَظْمِ .

٢ - واشتعال الرأس شيئاً .

لو أَنَّ أَحَدَهُمَا تَخَلَّفَ فَلَيْسَ دَلِيلًا عَلَى الْكِبَرِ؛ لِأَنَّهُ رُبَّمَا يَهْنُ الْعَظْمُ مِنْ مَرَضٍ مَعَ صَغَرِهِ، وَرُبَّمَا يَشْتَعِلُ رَأْسُهُ شَيْئاً مَعَ صَغَرِهِ، وَهَذَا وَاقِعٌ، لَكِنْ إِذَا اجْتَمَعَا كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى الْكِبَرِ .

إذا لم يكن في الزيادة فائدة فإن كانت الزيادة غير مُتَعَيِّنَةٍ فهو تطويل، وإن كانت مُتَعَيِّنَةً فهو حشو، مثال ذلك: «وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً وَمَيْناً»، الآن «كَذِباً وَمَيْناً» معناهما: «كَذِبٌ»، أيُّهما الزائد؟
الطلبة: المَيْن .

الشيخ رحمه الله: لا، الزيادة غير مُتَعَيِّنَةٍ، لا ندري هي الأولى أو الثانية، لو قال: «وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً» صَحَّ، و«أَلْفَى قَوْلَهَا مَيْناً» صَحَّ، فلا ندري أيُّهما الزائد.
قد يقول قائل كما قلتم: «إِنَّ الزائد هو الثاني؛ لِأَنَّهُ لَوْ اقْتَصَرَ عَلَى «كَذِباً» اسْتَغْنَى عَنِ الثَّانِي» .

فيقال: إِنَّ الْوَأَ- التي هي حرف العطف- تقتضي الاشتراك، وإذا كانت تقتضي التشريك صارت الكلمتان كأنهما كلمة واحدة، فأحدهما يُسْتَعْنَى عنه ولا يُعْلَمُ أيُّهما. وأما «وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ» فالثانية زائدة قطعاً؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ «أَمْسٍ» تُغْنِي عَنْ «قَبْلَهُ»، وليس بينهما عطف بالواو حتى نقول إِنَّ هُنَاكَ اشْتِرَاكاً.
بَقِيَّةُ الْبَيْتِ: «وَلَكُنْتُ عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدٍ عَمٍ» يعني: لا أعلم.

الْخُلَاصَةُ:

- إِنْ زَادَ اللَّفْظُ عَلَى الْمَعْنَى فَهُوَ إِطْنَابٌ .

- وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى أَكْثَرَ فَهُوَ إِيْجَازٌ .

- وَإِنْ تَسَاوَى اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى فَهُوَ مَسَاوَاةٌ، قَوْلُكَ: «قَامَ زَيْدٌ» مَسَاوَاةٌ، وَأَكْثَرُ الْكَلَامِ مَسَاوَاةٌ .

- الْإِطْنَابُ إِنْ لَمْ يَكُنْ فَائِدَةٌ فِي الزِّيَادَةِ فَهُوَ تَطْوِيلٌ، فَإِنْ تَعَيَّنَتْ الزِّيَادَةُ فَهُوَ حَشْوٌ .

والإخفاء، وسأمة المحادثة^(١).

ومن دواعي الإطناب: تثبيت المعنى، وتوضيح المراد، والتوكيد، ودفع الإيهام^(٢).



(١) صحيح، أو الإنسان له شغل مثلاً، فأسباب الإطناب كثيرة:

- تسهيل الحفظ، ولذلك صار العلماء رحمهم الله يختصرون الكتب المطولة.
- تقريب الفهم، أيضاً ربّما إذا طال الكلام يُنسي آخره أوله، فإذا صار قصيراً ففهمه الإنسان.
- ضيق المقام، يكون الإنسان عَجَلًا لا يستطيع أن يطول؛ لأنّ المقام لا يقتضي.
- الإخفاء، يعني أنّه يحذف بعض الأمور إخفاءً لها.
- سامة المحادثة، يعني أنّ الذي تخاطبه سيئ منك، وتشعر هذا إذا قلت «خلاص» وهو يقول: «كيف حالك، كيف العيال، كيف الحرّ عندكم...؟»، نُفَصِّلُ كُلَّ شَيْءٍ!!؟، تقول له: «خلاص» ويظلّ يسأل!، هنا يَحْسُنُ الإيجاز.
- ولذلك ينبغي إذا خاطبنا الناس الذين عندهم أشغال كثيرة ألا نُطَوِّلَ عليهم، نُقْتَصِرْ على «السلام عليكم، كيف حالكم، ما تقول في كذا وكذا؟»، أو تسأل حاجتك التي تريد.

(٢) هذه من الدواعي، ومن الدواعي: بلاغة المخاطب، إذا كان المخاطب أبله يحتاج أن تُطَوِّلَ له وتأتي بالمرادف وبالتوكيد حتى يفهم، ولعلّه داخل في قول المؤلف: «توضيح المراد».

أقسام الإيجاز

الإيجازُ إمَّا أن يكونَ بتضمينِ العبارةِ القصيرةِ معانيَ كثيرةً، وهو مَرَكُزُ عنايةِ البلغاءِ، وبه تتفاوتُ أقدارُهم، ويُسمَّى: إيجازُ قِصَرٍ، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾^(١) [البقرة: ١٧٩].

(١) النوع الأول وهو إيجاز القِصَر، هذا يَخْتَلِفُ فيه الناسُ اختلافاً عظيماً، قول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ هذه عبارةٌ مُخْتَصِرَةٌ لَكُنْهَا جَمَعَتْ بينَ الحُكْمِ وكَيْفِيَّةِ تَنْفِيذِهِ والغَايَةِ منه، الحُكْمُ: القِصَاصُ، الغَايَةُ منه: الحِياةُ، الحُكْمُ أن يُفْعَلَ بالجاني كما فَعَلَ. اشتهَرَ عندَ الجاهليين عبارةٌ يتناقلونها وَيَزَوْنَ أَنَّهَا من أبلغِ العبارات، وهي قولهم: «القتلُ أنفى للقتل»^(*)، لكن لو قَارَنْتَ بينها وبين هذه الآية لَوَجَدْتَ الفَرْقَ العظيمَ؛ لأنَّ «القتلُ أنفى للقتل» كُلُّهَا قَتْلٌ ليس فيها حياة، ولأنَّهَا ليس فيها دليلٌ على أَنَّهَا مُقَاصَّةٌ. وَذَكَرُوا عَشْرَةَ أَوْجِهٍ في الفَرْقِ بينهما^(**)، مع أَنَّنَا لَا نَحْبِذُ هَذَا؛ لِأَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّهُ لَا سِوَاءَ وَلَا مُقَارَبَةَ بَيْنَ صِفَاتِ الخَالِقِ والمَخْلُوقِ، والقرآنُ صِفَةُ الخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ.

إِذَا هَذِهِ فِيهَا إيجازُ قِصَرٍ؛ لِأَنَّهَا تَصَمَّنَتْ معانيَ كثيرةً مع أن كلماتها قليلة: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾.

- (*) قاتلها كِسْرَى الفرسِ أزدشير بن شيرويه، تُوُفِّي سنة ١٢ هـ قبل فتح بلاد فارس.
- (**) أَجْمَلَ القزويني في ثمانِي نقاطِ الفروقِ التي فاقَتْ بها هذه الآيةَ الكريمةُ قولهم: «القتلُ أنفى للقتل»، فقال:
- «- أحدها: أنَّ عِدَّةَ حُرُوفٍ ما يَنْظُرُهُ منه وهو في «الْقِصَاصِ حَيَوةٌ» عَشْرَةٌ في التَّلْفِظِ، وَعِدَّةٌ حُرُوفُهُ أَرْبَعَةٌ عَشْرَ.
- وثانيها: ما فيه من التصريحِ بالمطلوبِ الذي هو الحِياةُ بالنصِّ عليها، فيكونُ أَزْجَرَ عن القتلِ بغيرِ حقٍّ؛ لكونه أَدْعَى إلى الاقتصاسِ.
- وثالثها: ما يفيدُ تَنْكِيرُ «حَيَوةٌ» من التعظيمِ أو النوعيةِ.
- ورابعها: اطِّرادُهُ، بخلافِ قولهم، فَإِنَّ القَتْلَ الذي يَنْفِي القَتْلَ هو ما كانَ على وَجْهِ القِصَاصِ لا غَيْرُهُ.
- وخامسها: سلامته من التكرارِ الذي هو من عيوبِ الكلامِ، بخلافِ قولهم.
- وسادسها: استغناؤُهُ عن تقديرِ محذوفٍ، بخلافِ قولهم، فَإِنَّ تقديرَهُ: القتلُ أنفى للقتلِ مِنْ تَرْكِهِ.
- وسابعها: أَنَّ القِصَاصَ ضِدُّ الحِياةِ، فالجمعُ بينهما طِبَاقٌ.
- وثمانها: جعلِ القِصَاصِ كالمنبِعِ والمعدنِ للحِياةِ بِإِدْخَالِ (في) عليه».
- انظر: «الإيضاح في علوم البلاغة» ص ١٠٦.

وإمّا أن يكون بحذف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تُعَيِّنُ المحذوف،
ويُسمَّى: إيجازٌ حَذَفٍ.

- فَحَذَفُ الكلمة، كحذف «لا» في قول امرئ القيس [الطويل]:

فَقُلْتُ: يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا ولو قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي^(١)

- وَحَذَفُ الجملة، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾
[آل عمران: ١٨٤] أي: فَتَأَسَّ وَأَصْبِرْ.

- وَحَذَفُ الأكثر، نحو قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلُونِ ۖ﴾ (٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴿
[يوسف: ٤٥-٤٦]، أي: أَرْسِلُونِي إِلَى يوسُفَ لِأَسْتَعْبِرَهُ الرُّؤْيَا، فَفَعَلُوا، فَأَتَاهُ،
وقال له: يَا يوسُفُ^(٢).



(١) التقدير: «لا أبرح»؛ لأنَّ «أبرح» و«أزال» و«فتى» و«انفك» لا تعمل عمل «كان» إلا إذا
سُبِقَتْ بنفي أو معناه.


(٢) بدلاً من كلام المؤلف الطويل هذا نقول: حَذَفُ الأكثرِ قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلُونِ﴾،
فَأَرْسَلُوهُ، فَأَتَى يوسُفَ، وقال له: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾، فَتَجَدَّ فِيهَا حَذَفًا، وكما قلتُ
لكم قبلُ: الغالبُ في القِصص أن يكون فيها إيجازٌ حَذَفٍ.

أقسام الإطناب

الإطنابُ يكونُ بأُمورٍ كثيرةٍ :

١- منها: ذِكْرُ الخاصِّ بعد العامِّ، نحو: «اجْتَهِدُوا فِي دُرُوسِكُمْ وَاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ»^(١)، وفائدته: التنبية على فَضْلِ الخاصِّ، كأنه لِرَفْعَتِهِ جِسْسٌ آخَرُ مُغَايِرٌ لِمَا قَبْلَهُ.

٢- ومنها: ذِكْرُ العامِّ بعد الخاصِّ، كقوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٢) [نوح: ٢٨].

٣- ومنها: الإيضاحُ بعد الإبهام، نحو: ﴿أَمْدُكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ﴾  أَمْدُكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ [الشعراء: ١٣٢-١٣٣].

(١) الشاهدُ قوله: «واللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ»؛ لأنَّها مِنْ دُرُوسِهِمْ، لَكِنْ نَصَّ عَلَيْهَا لِمَا سَيَأْتِي، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا﴾ [القدر: ٤]، وَ«الرُّوحُ» بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ، فَهُوَ مِنْ بَابِ ذِكْرِ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعَامِّ.

(٢) قوله: ﴿وَلِوَلَدَيَّ﴾ هَذَا خَاصٌّ، ﴿وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ أَعَمُّ لَكِنَّهُ خَاصٌّ بِالنِّسْبَةِ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، فَصَارَتِ الْآيَةُ فِيهَا تَرَقُّ مِنَ الْعَامِّ إِلَى مَا هُوَ أَعَمُّ، ﴿اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ وَوَالِدَاهُ يَدْخُلَانِ بَيْتَهُ، ﴿وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، وَالفائدة: إرادةُ العمومِ بعد التخصيصِ.

فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَبَوَيْ نُوْحٍ كَانَا مُؤْمِنَيْنِ؛ لِأَنَّهُ اسْتَغْفَرَ لَهُمَا وَلَمْ يَنْهَ عَنْ ذَلِكَ، بِخِلَافِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّهُ اسْتَغْفَرَ لِأَبَوَيْهِ وَلَكِنَّهُ نَهَى عَنِ الْاسْتِغْفَارِ لِأَبِيهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]*.

(*) ثُمَّ نُهِيَ عَنِ الْاسْتِغْفَارِ لِأَبِيهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَتْ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

٤- ومنها: التكريرُ لِغَرَضٍ:

كطولِ الفصلِ في قوله- [الطويل]:

وَإِنَّ أَمْرًا دَامَتْ مَوَاقِيقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا إِنَّهُ لَكَرِيمٌ^(١)

وكزيادةِ الترغيبِ في العفو، في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوَّلَادِكُمْ
عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)
[التغابن: ١٤].

وكتأكيدِ الإنذارِ، في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣﴾ [التكاثر: ٣-٤].

٥- ومنها: الاعتراضُ: وهو تَوَسُّطُ لَفْظٍ بَيْنَ أَجْزَاءِ جُمْلَةٍ أَوْ بَيْنَ جُمْلَتَيْنِ
مُرْتَبِطَتَيْنِ مَعْنَى لِيُغَرِّضَ، نحو [السريع]:

(١) الشاهد قوله: «إِنَّهُ لَكَرِيمٌ»، لو حَذَفَ «إِنَّهُ» وقال:

وَإِنَّ أَمْرًا دَامَتْ مَوَاقِيقُ عَهْدِهِ عَلَى مِثْلِ هَذَا لَكَرِيمٌ

يستقيم الكلامُ، لكن لطول الفصل أعاد فقال: «إِنَّهُ لَكَرِيمٌ».

(٢) قوله: ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا﴾، ﴿تَعَفَّوْا﴾: هذا العفو، لكنَّ العافي قد لا يَصْفَحُ،
قد يتكلم فيمن جنى عليه، لكن إذا صَفَحَ - يعني: أَعْرَضَ عنه وولاه صَفْحَةَ عُنُقِهِ - صار
أَبْلَغَ من مجرد العفو، ﴿وَتَغْفِرُوا﴾: هذا أبلغ، بأن تَسْتُرُوا عليهم، ولا يَبْقَى في قلوبكم
شيءٌ، فهو من باب التَّرْقِي من الأدنى إلى الأعلى (*).

(٣) وكذلك في سورة النبأ: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ﴿١﴾ ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [الآيتان: ٤-٥].

(*) سئل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ فيما بعد هذا السؤال:

الطالب: ما الفرق بين العفو والصَّفَحُ؟

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: العفو: عدم المواخِذَةِ، والصَّفَحُ: الإعراض عن المعاقبة إعراضاً تاماً كأن شيئاً لم يكن،
لأنه رُبَّمَا يعفو ولا يعاقب لكن يبقى في قلبه شيءٌ، هذا عفا ولم يَصْفَحْ، أيهما أكمل؟ الصَّفَحُ.

إِنَّ الثَّمَانِينَ - وَبُلِّغَتْهَا - قَدْ أَخَوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ^(١)

ونحو قوله تعالى : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ الْبَنَاتِ - سُبْحَنَهُ - وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾^(٢) [النحل : ٥٧].

٦- ومنها : التَّذْيِيلُ : وهو تَغْقِيبُ الجملةِ بِأُخْرَى تَشْتَمِلُ عَلَى معناها تأكيداً لها، وهو :

إِذَا أَنْ يَكُونَ جَارِياً مَجْرَى الْمَثَلِ ؛ لِاسْتِقْلَالِ معناه واستغنائه عَمَّا قَبْلَهُ ، كقوله تعالى : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء : ٨١].

وإذا أَنْ يَكُونَ غَيْرَ جَارٍ مَجْرَى الْمَثَلِ ؛ لِعَدَمِ استغنائه عَمَّا قَبْلَهُ ، كقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَفَرُوا وَهُمْ أَجْرُهُمْ إِلَّا الْكَفُورَ﴾^(٣) [سبا : ١٧].

(١) هذا تَوْسُطُ لَفْظٍ بَيْنَ أَجْزَاءِ جُمْلَةٍ ، الجملة : « الثمانين » و« قَدْ أَخَوَجَتْ » ، و« بُلِّغَتْهَا » جملة مُعْتَرِضَةٌ ، يُخَاطَبُ الْمَلِكُ يَقُولُ : « وَبُلِّغَتْهَا أَنْتَ » ، فجملة « وَبُلِّغَتْهَا » دُعَائِيَّةٌ يَدْعُو لَهُ بِأَنْ يَبْلُغَ الثَّمَانِينَ ، « قَدْ أَخَوَجَتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ » يعني أَنَّهُ ثَقُلَ سَمْعُهُ لَمَّا بَلَغَ الثَّمَانِينَ ، وَاحْتِاجَ إِلَى تَرْجُمَانٍ يَعْنِي : أَحَدٌ يُبْلِغُ ؛ لِأَنَّ الْمُبْلَغَ مُتَرْجِمٌ .

(٢) هذا بَيْنَ جُمْلَتَيْنِ « سُبْحَنَهُ » ، والمقصودُ بِذَلِكَ تَنْزِيهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا جَعَلُوهُ لَهُ مِنَ الْبَنَاتِ ، وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ « سُبْحَنَهُ » فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ أَحْسَنِ مَا يَكُونُ مُوَضِّعاً ، كقوله تعالى : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ [المنافقون : ١] ، فَالاحْتِرَازُ هُنَا مِنْ أَحْسَنِ مَا يَكُونُ .

(٣) الشَّاهِدُ فِي الْآيَةِ الْأُولَى قَوْلُهُ : ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ، فَهَذَا يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ مَثَلًا ، كُلَّمَا قِيلَ لَكَ : «إِنَّ الْبَاطِلَ خَذِلَ صَاحِبُهُ» تَقُولُ : ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ .

الثَّانِي : «وَهُلْ تُجْزَى إِلَّا الْكَفُورَ» لَا يُمْكِنُ أَنْ تَجْعَلَهَا مَثَلًا ؛ لِأَنَّهَا مُرْتَبِطَةٌ بِمَا قَبْلَهَا : «ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَفَرُوا وَهُمْ أَجْرُهُمْ إِلَّا الْكَفُورَ» هَذَا يُسَمَّى التَّذْيِيلَ ؛ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ الثَّانِيَةَ وَقَعَتْ ذِيلاً لِلْجُمْلَةِ الْأُولَى .

٧- ومنها: الاحتراس: وهو أن يُؤْتَى في كلامٍ يُوهِمُ خلافَ المقصودِ بما يَدْفَعُهُ، نحو [الكامل]:

فَسَقَى دِيَارَكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي^(١)

= وهنا: التذييل، والحاشية، والهامش، بينها فرق:

١- الهامش يكون عن اليمين أو اليسار أو فوق.

٢- والحاشية أسفل.

٣- والتذييل أن يُؤْتَى بجملة بعد جملة لكن لها اتصال بها ونوع من التكميل.

(١) الشاهد قوله: «غَيْرَ مُفْسِدِهَا»، لأنه لو قال: «فسقى ديارك صَوْبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْمِي»؛ لَأَوْهَمَ أَنَّهُ إِذَا كَثُرَ الْمَطَرُ يُفْسِدُ الدِّيَارَ، فقال: «غَيْرَ مُفْسِدِهَا»، هذا احتراس.

وبهذا انتهى عِلْمُ المعاني، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن تكونوا اِنْتَفَعْتُمْ ولو ببعض الشيء، لَأَنَّا قَصَدْنَا أَلَّا نَطْوِلَ خَوْفًا مِنْ أَلَّا نَكْمُلَ.

(أُسْتَلِىَةُ الطَّلِبَةُ لِلشَّيْخِ رَحِمَهُ اللهُ)

س١:

الطالب: في الدعاء، هل الأفضل الإطناب أو المساواة^(*)؟

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: لا، الأفضل الإطناب، الغالب في الدعاء الإطناب، وقد يكون إيجازاً مثل: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١] هذا إيجازٌ يشمل ما لا يُحْصَى، لكن: «اللهم اغفر لي جَدِّي، وَهَزْلِي، وَخَطْئِي، وَعَمْدِي»، «اللهم اغفر لي ما قَدَّمْتُ، وما أَخَّرْتُ، وما أَعْلَنْتُ، وما أَسْرَرْتُ»؛ هذه كلها إطنابٌ.

س٢:

الطالب: هناك نوع من الإطناب من البعض^(**) يقول: «اللهم اغفر لي ولأبي وَعَمِّي وخالي...؟»

=

(*) لعلَّ الطَّالِبَ أَرَادَ بِالمُسَاوَةِ الإِيجَازَ.

(**) في الأصل: «بعض الأئمة».

= فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: هذا إطنابٌ غيرُ محمودٍ، يقول: «اللهم اغفر لي ولأبي وأمي وخالي وعمي وجدِّي وجاري وصديقي...!!»، الإطنابُ فيما يتعلَّقُ بنفسِ الإنسان.
س ٣:

الطالب: ما الفرق بين الزيادة المتعيّنة والزيادة غير المتعيّنة؟
فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: الفرق بينهما أنّه إذا كان العطف بالواو فالزيادة غير متعيّنة؛ لأنّ الواو تقتضي التشريك، فلا يُدْرَى أيُّهما المقصود، أمّا إذا كان ليس بينهما عطف فالزيادة هي الأخيرة.
س ٤:

الطالب: ما الفرق بين البدل والبيان؟
فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: البدل: مساواة الشيء للشيء، مثل «زيد أخوك»، «قام زيد أخوك»، أمّا البيان فهو لا بُدَّ أن يكون فيه زيادةٌ معنىً تَوْضُحُ.
س ٥:

الطالب: الله سبحانه وتعالى يَسْمَعُ من العبد كلامه، وَيَعْرِفُ معنى ما يَقْصِدُ، وَيَفْهَمُ ما يريد...

الشيخ مُصَوِّباً: قل: «يَعْلَمُ» أحسن من «يَفْهَمُ»؛ الله لا يُوصَفُ بالفهم (*).
الطالب مُكْمِلاً: لكن الرسول ﷺ والسلف الصالح إذا دَعَا الله سبحانه وتعالى بَسَطُوا الدعاء، والله يَعْلَمُ كلَّ شيءٍ يا شيخ!، لا بُدَّ أن هذا فيه فائدة، لا أدري ما فائدته؟
فأجاب رَحِمَهُ اللهُ: الفائدة هو إظهار الفقر إلى الله عزّ وجلّ، كلّما كَثُرَ الدعاء فهذا يُكْثِرُ إظهار الحاجة والفقر إلى الله عزّ وجلّ، ثانياً: جَرَتْ العادة أنّ الحبيب مع حبيبه يحب التبسُّط معه والزيادة في المناجاة، ثالثاً: استحضار كلِّ واحدٍ، يعني مثلاً: «اغفر لي ذنبي كلّهُ، دِقَّةً وجِلَّةً»، تستحضر جميع أنواع الذنوب: الدقيق، والجليل، والذي أَسْرَزَتْهُ، والذي أَعْلَشَتْهُ.

(*) من عقيدة أهل السُنَّة والجماعة أصحاب الحديث أنّ صفاتِ الله سبحانه وتعالى توقيفية، فلا يُوصَفُ الله عزّ وجلّ إلا بما وَصَفَ به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فلم يَرِدْ في نصوص الكتاب والسُنَّة وصف الله عزّ وجلّ بالفهم، خلافاً لصفة العلم التي اتَّصَفَ بها كثيراً كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ [التوبة: ٧٨]، وقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ خَبِيرٌ﴾ [فاطر: ٣٨].

عِلْمُ الْبَيَانِ

عِلْمُ الْبَيَانِ

البيان: عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنِ التَّشْبِيهِ، وَالْمَجَازِ^(١)، وَالْكِنَايَةِ^(٢).

* * *

- (١) معلومٌ أَنَّ المؤلَّفَ رَحِمَهُ اللهُ كَثِيرٌ مِنْ عَامَّةِ الْعُلَمَاءِ [الَّذِينَ] يُشَبِّتُونَ الْمَجَازَ، وَالْمَسْأَلَةُ خِلَافِيَّةٌ: هَلْ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَجَازٌ، أَوْ كُلُّهَا حَقِيقَةٌ، أَوْ كُلُّهَا مَجَازٌ؟
- بَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ- عُلَمَاءُ اللُّغَةِ-: «كُلُّ أَلْفَاظِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ كُلُّهَا مَجَازٌ، حَتَّى قَوْلَ الْإِنْسَانِ «قَامَ زَيْدٌ» مَجَازٌ»، وَقَدْ تَكَلَّمَ عَلَى هَذَا ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «الصَّوَاعِقُ الْمُرْسَلَةُ»، وَقَرَأْتُ هَذَا فِي مَخْتَصَرِ الصَّوَاعِقِ، وَبَيَّنَ أَقْوَالَ النَّاسِ فِي هَذَا.
- (٢) الْكِنَايَةُ نَوْعٌ مِنَ الْمَجَازِ كَمَا سَيَأْتِي.

التشبيه

التشبيه

التشبيه: إلحاق أمرٍ بأمرٍ في وصفٍ بأداةٍ لغرضٍ^(١).

والأمرُ الأوَّلُ يُسمَّى: المُشَبَّه، والثاني: المُشَبَّه به، والوصفُ: وَجْهُ الشَّبَه، والأداةُ: الكافُ أو نحوها، نحو: «العِلْمُ كالنُّورِ في الهداية»؛ ف :

- «العِلْمُ»: مُشَبَّه.

- و«النُّور»: مُشَبَّه به.

- و«الهداية»: وَجْهُ الشَّبَه.

- والكافُ: أداة التشبيه^(٢).

وَيَتَعَلَّقُ بِالتَّشْبِيهِ ثَلَاثَةٌ مَبَاحِثَ: الأوَّلُ في أركانِهِ، والثاني في أقسامِهِ، والثالثُ في الغَرَضِ مِنْهُ.

* * *

(١) إلحاق أمرٍ بأمرٍ: هناك مُلْحَقٌ ومُلْحَقٌ به.

في وَصْفٍ: لا بُدَّ أن يكون هناك وَصْفٌ جامعٌ.

بأداةٍ: وهي أداة التشبيه كـ «الكاف» و«مِثْل» و«كَأَنَّ» وما أشبه ذلك.

لِغَرَضٍ: أي: لِغَرَضٍ من أغراض التشبيه، فإذا قلت: «فلانٌ كالبحر» ما الغرض؟ كثرةُ الكَرَمِ، وَسَعَةُ الكَرَمِ، فلا بُدَّ من غَرَضٍ، وستأتي - إن شاء الله - أغراضُ التشبيه.

(٢) إذا أربعة أركانٍ: مُشَبَّه، مُشَبَّه به، أداة تشبيه، وَجْهُ شَبَهٍ، أضعفُ أنواعِ التشبيه هو الذي دُكِّرَ فيه جميعُ أركانِ التشبيه.

المبحث الأول في : أركان التشبيه

أركان التشبيه أربعة: المُشَبَّه، والمُشَبَّه به- وَيُسَمَّيانِ طَرَفَي التشبيه-، وَوَجْهُ الشَّبَه، والأداة.

وَوَجْهُ الشَّبَه: هو الوَصْفُ الخاصُّ الذي قُصِدَ اشتِراكُ الطَرَفَيْنِ^(١) فيه، كـ «الهداية» في «العِلْم» و«الثَّور»^(٢).

وأداة التشبيه: هي اللَّفْظُ الذي يَدُلُّ على معنى المُشَابَهَةِ، كـ «الكاف» و«كَأَنَّ» وما في معناهما^(*).

والكاف يليها المُشَبَّه به، بخلاف «كَأَنَّ» فيليها المُشَبَّه، نحو [الطويل]:

كَأَنَّ الثَّرِيًّا رَاحَةً تَشْبُرُ الدُّجَى لَتَنْظُرَ طَالَ اللَّيْلُ أَمْ قَدْ تَعَرَّضَا

و«كَأَنَّ» تُفِيدُ التشبيهَ إذا كان خبرها جامداً، والشَّكُّ إذا كان خبرها مُشْتَقًّا^(**)، نحو: «كَأَنَّكَ فَاهِمٌ»^(٣).

(١) «الطرفين» يعني: المُشَبَّه والمُشَبَّه به.

(٢) أين المثال الذي ذَكَرَ؟: «العِلْمُ كالثَّور في الهداية».

(٣) هذه فائدة:

- إذا كان خَبَرُ «كَأَنَّ» جامداً فهي للتشبيه، تقول: «كَأَنَّكَ أَسَدٌ»، أسد: جامد، «كَأَنَّكَ =

(*) أداة التشبيه إمَّا أن تكون:

١- اسماً: مِثْل، شِبْه، نحو...

٢- فعلاً: يَحْكِي، يُشَابِه، يُضَاهِي، يُضَارِع، يُمَائِل... (واسم الفاعل منها يفيد التشبيه).

٣- حرفاً: الكاف، كَأَنَّ.

(**) وقد تفيد التشبيه مع كون خبرها مشتقاً، نحو: كَأَنَّكَ قائد شجاع.

وقد يُذَكَّرُ فَعْلٌ يُنْبِئُ عَنِ التَّشْبِيهِ، نحو قوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾^(١) [الإنسان: ١٩].

وَإِذَا حُذِفَتْ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ وَوَجْهُهُ سُمِّيَ تَشْبِيهًا بَلِيغًا، نحو: ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لَيَاسًا﴾ [النبا: ١٠]، أي: كاللَّيَاسِ فِي السَّتْرِ^(٢).

* * *

= بَحْرٌ جامد، هذه للتشبيه.

- إذا كان مُشْتَقًّا (سواء كان فعلاً أو اسمَ فاعِلٍ) فَإِنَّهُ يَكُونُ لِلظَّنِّ، يقول المؤلف: «الشَّكُّ»، والمراد: الظَّنُّ، مثاله: «كَأَنَّكَ تَقْهَمُ» يعني: أَظُنُّكَ فَاهِمًا، وتقول: «كَأَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ هَذَا الشَّيْءَ»، هذا أيضاً لِلظَّنِّ.

(١) ﴿حَسِبْتَهُمْ﴾ يعني: «ظَنَنْتَهُمْ».

﴿لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾؛ لَأَنَّهُمْ يُشَابِهُونَ اللَّوْلُؤَ الْمَثُورَ.

﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ الضمير في «هم» يعود على الولدان.

﴿يَطُوفُونَ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا يعني: بِكَثْرَتِهِمْ وَحُسْنِهِمْ وَبِهَائِهِمْ.

المهم أفهموا التشبيه، إذا اجتمعت أركان التشبيه الأربعة: المُشَبَّه، المُشَبِّه به، أداة التشبيه، وجه الشَّبه؛ فالذي يليه المُشَبَّه: «كَأَنَّ»، والذي يليه المُشَبِّه به: الكاف.

«كَأَنَّ» تكون للتشبيه إذا كان خَبَرُهَا جامداً، تتعيَّنُ أَنْ تَكُونَ للتشبيه، وتكون لِلظَّنِّ إذا كان خَبَرُهَا مُشْتَقًّا، سواء اسمَ فاعِلٍ أو اسمَ مفعولٍ أو فعلاً مضارعاً أو فعلاً ماضياً، المهم أن يكون مُشْتَقًّا.

(٢) التشبيه البليغ: هو الذي حُذِفَتْ فِيهِ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ وَوَجْهُ الشَّبه، تقول: «محمدٌ كالبحر في الكرم»، كيف نجعله بليغاً؟: «محمدٌ بَحْرٌ»، هذا بليغٌ؛ لَأَنَّكَ بَالِغَتْ فِي التَّشْبِيهِ حَتَّى جَعَلْتَ المُشَبَّهَ نَفْسَ المُشَبِّهِ بِهِ.

وستأتينا- إن شاء الله تعالى- أقساماً أخرى، لكن المؤلف أراد أن يشير إشارة.

المبحث الثاني في: أقسام التشبيه

ينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى تمثيل وغير تمثيل^(١):

- فالتمثيل: ما كان وجهه مُتَنَزِعاً مِنْ مُتَعَدِّدٍ، كتشبيه الثريا بعنقود العنب المُنَوَّر^(٢).

- وغير التمثيل: ما ليس كذلك، كتشبيه النجم بالذرهم^(٣).

وينقسم أيضاً- بهذا الاعتبار- إلى مُفَصَّلٍ ومُجْمَلٍ:

- فالأول: ما ذُكِرَ فيه وجه الشبه، نحو [المُجَنَّتْ]:

وَتَنَفَّرُهُ فِي صَفَاءٍ وَأَذْمُعِي كَاللَّالِي^(٤)

- والثاني: ما ليس كذلك، نحو: «النَّحْوُ فِي الْكَلَامِ كَالْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ»^(٥).

(١) - فإن كان مُفْرَداً بِمُفْرَدٍ فَغَيْرُ تَمَثِيلٍ.

- إذا كان جَمْعاً بِمُفْرَدٍ فَغَيْرُ تَمَثِيلٍ.

- إذا كان مُفْرَداً بِجَمْعٍ فَتَمَثِيلٌ.

- أو جَمْعاً بِجَمْعٍ فَتَمَثِيلٌ.

(٢) هذا تمثيل؛ لأنه مُرَكَّبٌ مِنَ الْهَيْئَةِ وَمِنَ الْحَبَّاتِ الَّتِي فِي الْهَيْئَةِ، الْهَيْئَةُ: جُزْءٌ مُنْضَمٌّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ، الْحَبَّاتُ مُتَعَدِّدَةٌ، فَيُسَمَّى هَذَا تَشْبِيهَ تَمَثِيلٍ.

(٣) وتتشبيه حصاً الجمار بحب الباقلاء، هذا يكون غير تمثيل.

(٤) قوله: «فِي صَفَاءٍ» هَذَا وَجْهُ الشَّبهِ، «وَأَذْمُعِي كَاللَّالِي» هَذَا الْمُشَبَّهُ بِهِ.

(٥) النحو في الكلام كالملح في الطعام في تقويمه وتهذيبه وطعمه، فوجه الشبه محذوف.

وينقسم باعتبار أداته إلى :

- مُؤَكِّد: وهو ما حُذِفَتْ أداته، نحو: «هو بَحْرٌ في الجُودِ».

- ومُرْسَل: وهو ما ليس كذلك، نحو: «هو كالبحر كَرَمًا»^(١).

وَمِنَ الْمُؤَكِّدِ مَا أُضِيفَ فِيهِ الْمُشَبَّهُ بِهِ إِلَى الْمُشَبِّهِ، نَحْوُ [الكامل]:

وَالرَّيْحُ تَغَبَّتْ بِالْفُصُونِ، وَقَدْ جَرَى ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ^(٢)

* * *

(١) الآن:

- إِذَا وُجِدَ الطَّرْفَانِ فَقَطْ فَهُوَ بَلِيغٌ.

- إِذَا حُذِفَ وَجْهَ الشَّبَّهِ وَبَقِيَتِ الْأَدَاةُ فَهُوَ مُجْمَلٌ مُرْسَلٌ.

- إِذَا حُذِفَتِ الْأَدَاةُ وَوَجْهَ الشَّبَّهِ فَهُوَ مُؤَكِّدٌ مُفْصَّلٌ.

- وَإِنْ وُجِدَ الْجَمِيعُ فَهُوَ ضَعِيفٌ، يُقَالُ لَهُ: مُرْسَلٌ مُفْصَّلٌ.

(٢) «ذَهَبُ الْأَصِيلِ» لِأَنَّ الْأَصِيلَ - وَهُوَ آخِرُ النَّهَارِ - يَكُونُ أَصْفَرَ كَالذَّهَبِ، الْمُشَبَّهُ بِهِ:

الذَّهَبُ، وَالْأَصِيلُ: مُشَبَّهٌ؛ لِأَنَّ الْأَصِيلَ تَضْفَرُ بِهِ الشَّمْسُ فَتَكُونُ كَالذَّهَبِ، «عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ» اللَّجَيْنِ: الْفِصَّةُ، وَالْمَعْنَى: عَلَى مَاءِ كَاللُّجَيْنِ.

المبحث الثالث في: أغراض التشبيه

الغَرَضُ مِنَ التَّشْبِيهِ:

١- إِمَّا بَيَانُ إِمْكَانِ الْمُشَبَّهِ، نحو [الوافر]:

فَإِنْ تَفَقَّ الْأَنَامَ- وَأَنْتَ مِنْهُمْ- فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ
فَإِنَّهُ لَمَّا ادَّعَى أَنَّ الْمَدْمُوحَ مُبَايِنٌ لِأَصْلِهِ بِخَصَائِصٍ جَعَلَتْهُ حَقِيقَةً مُنْفَرِدَةً؛
اِخْتَجَّ عَلَى إِمْكَانِ دَعْوَاهُ بِتَشْبِيهِهِ بِالْمِسْكِ الَّذِي أَصْلُهُ دَمُ الْغَزَالِ^(١).

٢- وَإِمَّا بَيَانُ حَالِهِ، كما في قوله [الطويل]:

كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبٌ^(٢)

(١) يُسَمَّى هَذَا النُّوعُ مِنَ التَّشْبِيهِ «التَّشْبِيهُ الضَّنْفِيُّ»؛ لِأَنَّهُ خِلَا مِنْ أَدَوَاتِ التَّشْبِيهِ.

يُخَاطَبُ الْمَدْمُوحُ يَقُولُ: «إِنْ كُنْتُ أَعْلَى مِنَ الْأَنَامِ- وَأَنْتَ مِنْهُمْ مِنْ مَادَّتِهِمْ مِنْ تَرَابٍ
ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ- فَإِنَّ ذَلِكَ مُمَكِّنٌ، وَدَلِيلُ الْإِمْكَانِ أَنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ»،
وَمَعْلُومُ الْفَرْقِ بَيْنَ الدَّمِ وَبَيْنَ الْمِسْكِ أَنَّ أَصْلَهُ^(*)، يَقُولُ: «أَنْتَ أَيْضاً أَيُّهَا الْمَخَاطَبُ
أَنْتَ مِنَ الْأَنَامِ، مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ، وَلَكِنَّكَ تَفُوقُهُمْ كَمَا يَفُوقُ الْمِسْكَ دَمُ الْغَزَالِ».
(٢) هَذَا يُبَيِّنُ حَالَهُ مَعَ الْمُلُوكِ، يَقُولُ: إِنَّكَ أَنْتَ تَفُوقُ الْمُلُوكَ، وَحَالُكَ مَعَهُمْ كَحَالِ الشَّمْسِ
مَعَ الْكَوَاكِبِ، الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَخْتَفِي النُّجُومُ، فَهَذَا الْمَلِكُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُلُوكِ =

(*) هُنَا أَخَذَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ يَشْرَحُ لِلطَّلِبَةِ عَمَلِيَّةَ اسْتِخْرَاجِ الْمِسْكِ، فَقَالَ: «يَقَالُ: إِنَّ هُنَاكَ غَزْلَانًا مَعِيْنَةً تُسَمَّى
غَزَالِ الْمِسْكِ، يُمَرَّنُونَهَا عَلَى رِيَاضَاتٍ مَعِيْنَةٍ ثُمَّ يَنْفَتِحُ فِي بَطْنِهَا سُرَّةٌ، وَيُحَكِّمُونَ غَزْلَ هَذِهِ السُّرَّةِ عَنْ بَقِيَّةِ
الْبَدَنِ بِخِيطٍ يَرْطُوبُهَا جَيِّدًا حَتَّى لَا يَصِلَ إِلَيْهَا الدَّمُ، وَبَعْدَ مَدَّةٍ تَبَيَّنَ وَتَنْفَصَلَ، هَذَا الدَّمُ الَّذِي فِيهَا هُوَ
الْمِسْكُ، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ أَنْوَاعِ الطَّيِّبِ، أَصْلُ هَذَا الْمِسْكِ مَا هُوَ؟ الدَّمُ، وَمَعَ ذَلِكَ صَارَ طَيِّبًا لَا نَظِيرَ لَهُ».

٣- وإِذَا بَيَّانُ مِقْدَارِ حَالِهِ، نحو [الكامل]:

فِيهَا اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلُوبَةً سُوداً كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الْأَسْحَمِ
شَبَّهَ الثُّوقَ السُّودَ بِخَافِيَةِ الْغُرَابِ؛ بَيَّاناً لِمِقْدَارِ سَوَادِهَا^(١).

٤- وإِذَا تَقْرِيرُ حَالِهِ، نحو [الكامل]:

إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَتْ وَدَّهَا مِثْلُ الزُّجَاجَةِ كَسَرُهَا لَا يُجْبَرُ
شَبَّهَ تَنَافُرَ الْقُلُوبِ بِكَسْرِ الزُّجَاجَةِ؛ تَثْبِيثاً لِتَعَذُّرِ عَوْدَتِهَا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ
الْمَوَدَّةِ^(٢).

= الْآخَرِينَ كَالشَّمْسِ مَعَ الْكَوَاكِبِ، تَخْتَفِي مَعَهُ الْمُلُوكُ فِي كُلِّ شَيْءٍ: فِي الشَّجَاعَةِ، فِي
الْكَرَمِ، فِي السَّمَاةِ، فِي الْحَقِّقِ، فِي كُلِّ شَيْءٍ.
(١) كَثِيراً مَا يَأْتِي التَّشْبِيهُ لِبَيَانِ مِقْدَارِ الشَّيْءِ، السَّوَادُ مَعْلُومٌ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ فَاتِحاً، وَقَدْ يَكُونُ شَدِيداً
السَّوَادِ، فَهَذَا عَرَفْنَا أَنَّ هَذِهِ الثُّوقَ الْأَرْبَعِينَ شَدِيدَةُ السَّوَادِ.
(٢) هَذَا الْبَيْتُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ؛ لِأَنَّ الْقُلُوبَ قَدْ يَتَنَافَرُ وَدَّهَا ثُمَّ يَرْجِعُ الْوُدُّ وَهَذَا كَثِيراً، وَدَلِيلُهُ
قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعُ بِالْأُتَى هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَتَّى حَمِيمٌ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٤]، وَ[أَيْضاً]^(*): «أَخْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا؛
فَعَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا؛ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا
مَا»، وَهَذَا يُزَوِّى حَدِيثاً وَلَكِنَّهُ ضَعِيفٌ.
الشَّاهِدُ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ غَيْرُ صَحِيحٍ، لَكِنْ عَلَى مَا يَرِيدُهُ الشَّاعِرُ بِهِ نَقُولُ: هَذَا الْمَقْصُودُ
بِهِ تَقْرِيرُ الْحَالِ.

(*) قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَمَا تَلَا الْآيَةَ: «وَقَالَ الشَّاعِرُ» ثُمَّ ذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَلَعَلَّهُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَرَادَ قَوْلَ النَّمْرِ بْنِ تَوَلَبٍ
رَحِمَهُ اللَّهُ [الْمُقَارَب]:

أَخْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا زَوْنَدًا فَقَدْ لَا يَمُوتُكَ أَنْ تَصْرِمَا
وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا زَوْنَدًا إِذَا أَنْتَ حَاوَلْتَ أَنْ تَحْكُمَا

وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٨/٦٠) وَغَيْرُهُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (رَقْم: ١٧٨).

٥- وَإِمَّا تَزَيِّئُهُ، نحو [مجزوء الكامل]:

سَوْدَاءُ وَاضِحَةُ الْجَبِيبِ بِنِ كَمُفْلَةٍ الظَّنْبِيِّ الْغَرِيرِ
شَبَّهَ سَوَادَهَا بِسَوَادِ مُفْلَةٍ الظَّنْبِيِّ؛ تحسیناً لها^(١).

٦- وَإِمَّا تَقْبِيحُهُ، نحو [الكامل]:

وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثًا فَكَأَنَّهُ قِرْدٌ يُقْفَهُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ^(٢)
وَقَدْ يَعُودُ الْغَرَضُ إِلَى الْمُسَبِّهِ بِهِ إِذَا عُكِّسَ طَرَفًا التَّشْبِيهِ، نحو [الكامل]:

(١) هَذَا يَخَافُ أَنْ يَهْجُوَهُ النَّاسُ بِاخْتِيَارِ السَّوْدَاءِ، فَيَبَيِّنُ أَنَّ سَوَادَهَا كَمُفْلَةٍ الظَّنْبِيِّ الْغَرِيرِ، وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ تَحْسِينٌ.

(٢) هُوَ إِذَا قَامَ يَتَحَدَّثُ صَارَ مِثْلَ الْقِرْدِ الَّذِي يَضْحَكُ، وَإِذَا قَامَ يَشِيرُ بِحَدِيثِهِ صَارَ كَأَنَّهُ عَجُوزٌ تَلْطِمُ عَلَى رَأْسِهَا، عِنْدَمَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ عَنْ هَذَا الْخَطِيبِ أَنَّهُ بِهَذِهِ الْحَالِ؛ [فَهَلْ] يَرْغَبُ فِي سَمَاعِهِ؟ لَا؛ لِأَنَّهُ قَبَّحَهُ عِنْدَهُ.

يَقُولُ الشَّاعِرُ^(*) فِي الْعَسَلِ [الْبَسِيطِ]:

تَقُولُ: «هَذَا مُجَاوِزُ النَّحْلِ»، تَمْدَحُهُ وَإِنْ تَشَأْ قُلْتُ: «ذَا قَيْءُ الرُّنَابِيرِ»

مَدْحًا وَذَمًّا وَمَا جَاوَزْتَ وَصَفَهُمَا وَالْحَقُّ قَدْ يَغْتَرِيهِ سَوْءُ تَعْبِيرِ

وَهَذَا صَحِيحٌ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسُخْرًا»^(**)، أحياناً يَتَكَلَّمُ الْإِنْسَانُ (وَعِنْدَهُ فَصَاحَةٌ) عَنْ شَيْءٍ كُنْتَ رَاغِبًا فِيهِ، فَإِذَا بِهِ يُنْزَلُهُ إِلَى أَسْفَلَ مِنَ الْقَدَمَيْنِ، أَوْ بِالْعَكْسِ.

(*) هُوَ ابْنُ الرَّومِيِّ، أَمَّا رَوَايَةُ الْآيَاتِ كَمَا فِي «دِيَوَانِهِ/١٥٢»:

فِي زَخْرَفِ الْقَوْلِ تَرْجِيحٌ لِقَائِلِهِ وَالْحَقُّ قَدْ يَمْتَرِيهِ بَعْضُ تَغْيِيرِ

تَقُولُ: «هَذَا مُجَاوِزُ النَّحْلِ» تَمْدَحُهُ وَإِنْ تَعِبْتُ قُلْتُ: «ذَا قَيْءُ الرُّنَابِيرِ»

مَدْحًا وَذَمًّا وَمَا جَاوَزْتَ وَصَفَهُمَا سِخْرُ الْبَيَانِ يُرِي الظُّلْمَاءَ كَالنُّورِ

(**) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧٦/٥١) عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَمُسْلِمٌ (٧/٤٧) عَنْ عُمَارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ

وَمِثْلُ هَذَا يُسَمَّى بِالتَّشْبِيهِ الْمَقْلُوبِ^(١).

* * *

(١) «بدا الصَّبَاحُ» والصَّبَاحُ إذا بدا بدا مُسْفَرًا، «كَأَنَّ غُرَّتَهُ» يعني: بياضه «وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ»، وكان الأولى أن يقول: «كَأَنَّ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ غُرَّةَ الصَّبَاحِ»، لكنه عَكَسَ، فيكون هنا الغرضُ تحسينَ المُشَبَّهِ بهِ.

المَجَاز

المَجَاز^(١)

هو اللَّفْظُ المُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ لِعِلَاقَةٍ مَعَ قَرِينَةٍ مَانِعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ

(١) المجاز هل هو موجود في اللغة أو لا؟

من العلماء مَنْ أنكر أن يكون موجوداً في اللغة، وَحُجَّتُهُ أَنَّ المعنى إِنَّمَا يُعَيَّنُ السِّياقُ وقرائنُ الأحوالِ، وَأَنَّ الكلماتِ نَفْسُهَا ليس لها معنى ذاتي بل هي بحسبِ التركيبِ، وإذا كانت بحسبِ التركيبِ صار الذي يُعَيَّنُ المعنى هو السياقُ، وإذا تَعَيَّنَ المعنى فهذا هو الحقيقة، فإذا قلت: «رأيتُ أسداً يحمل سيفاً» هل يمكن لأيِّ واحدٍ يسمع هذا الكلامَ أن يَشْتَبِهَ عليه الأسدُ الحقيقيُّ بالأسدِ الشجاعِ، أو لا يمكن؟ لا يمكن، إذاً هو حقيقة، هذا اللَّفْظُ مُسْتَعْمَلٌ حَقِيقَةً في موضعه بقرينة الحال، لكن لو قلت: «رأيتُ أسداً» فهنا لا يمكن أن يُراد به الرَّجُلُ الشجاعُ؛ لأنَّ الكلمةَ موضوعَةً في الأصل للحيوان المُفْتَرَسِ المعروف، فَتَحْمَلُ عند عدم القرينة على ما وُضِعَتْ له أولاً، وهذا الذي حَقَّقَهُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية رَحِمَهُ اللهُ وَأَطَالَ فِيهِ في كتاب «الإيمان» (*)، وَلَخَصَّهُ تلميذُهُ ابنُ القيمِ وَقَرَّبَهُ إِلَى الأفهام بكتابه «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة».

على كُلِّ حالٍ يرى هؤلاء العلماء أَنَّهُ لا مجازَ في اللغة مُطْلَقاً، حُجَّتُهُمْ أَنَّ المعنى يُعَيَّنُ السِّياقُ، وَأَنَّ الكلمةَ بسياقها لا يمكن أن يُراد بها إلا ما سَيِّقَتْ له وهذا هو الحقيقة.

ومنهم مَنْ يرى أَنَّ المَجَازَ في اللغة واقعٌ وفي القرآن ممنوعٌ، كالشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ: محمد الأمين، فَإِنَّهُ أَلْفَ رسالةً (***) تدلُّ على أَنَّ المَجَازَ ممنوعٌ في القرآن لَكُنْهُ موجودٌ في اللغة العربية، حُجَّتُهُ في ذلك يقول: إِنَّ من علاماتِ المَجَازِ جَوَازَ نَفْيِهِ، ولا شيء في القرآن يجوز نَفْيُهُ، فَبَطُلَ أن يكون في القرآن مجازاً، مثال ذلك لو قلت: «رأيتُ أسداً يحمل سيفاً» يجوز لأيِّ واحدٍ أن يُعَارِضَكَ ويقول: «هذا ليس بأسدٍ، هذا رَجُلٌ شجاعٌ»، فمن علاماتِ المَجَازِ صِحَّةُ نَفْيِهِ، وليس في القرآن ما يصح نَفْيُهُ. =

(*) وانظر «مجموع الفتاوى»: (٢١/٦ - ٢٢) (٨٧/٧ - ٩٠) (١١٢/٧ - ١١٤) (١٣/ ٣٧٩ - ٣٨٠).
(١٧/٨٩ - ٩٠) (٢٠/٤٠٣ - ٤٠٤) (٢٠/٤٥٤ - ٤٥٨) (٢٠/٤٦٤ - ٤٨٨) (٢٠/٤٩٠ - ٤٩٣).
(**) وهي بعنوان: «مُنْعُ جَوَازِ المَجَازِ فِي الْمُتَرَلِّ لِلتَعْبِيدِ وَالْإِعْجَازِ».

المعنى السابق^(١)، كـ «الدَّرَر» المُسْتَعْمَلَة في الكلماتِ الفصيحةِ في قَوْلِكَ: «فلانٌ

= لكن ما ذهب إليه شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ أَقْرَبُ إلى الصواب، ما دُمنا نقول: «إنَّ المعنى تابعٌ للسياقِ وقرائنِ الأحوالِ»؛ فإنه لا مجازَ فيه، ولهذا نَجِدُ الفَرْقَ حتى في نَبَرَاتِ الصوتِ، لو قلتَ لواحدٍ: «اسْكُتْ» [قالها الشيخ بهدوء]، وآخَرَ: «اسْكُتْ» [قالها بشدة]؛ يُفْهَمُ من الأول: الأمرُ بالسكوتِ بطمأنينة، ومن الثاني: الزَّجْرُ بشدة، مع أنَّ الاختلافَ في الأداء فقط، فالمعاني تُعَيِّنُها السياقاتُ والقرائنُ.

لكن الجمهور على ثبوت المجاز في القرآن وفي اللغة العربية، فَلْتَنْظُرْ ما هو المجاز عندهم؟.

(١) يقول:

«هو اللَّفْظُ المُسْتَعْمَلُ في غيرِ ما وُضِعَ له»، فخرج به: اللَّفْظُ المُسْتَعْمَلُ فيما وُضِعَ له، فإذا اسْتَعْمَلْتَ «أسداً» في الحيوانِ المفترسِ فهو غيرُ مجازٍ، وإذا اسْتَعْمَلْتَهُ في الرَّجُلِ الشجاعِ فهو مجازٌ، لكن لا بُدَّ من قيود.

«للعلاقة» يعني: لا بُدَّ أن يكون بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي علاقةٌ، ولهذا لا نستعمل الخُبْرَ بَدَلَ الثيابِ، لو قلْتُ: «اشترِ لي ثياباً»، فذهبتَ واشتريتَ بها خُبْراً وأتيتَ إليَّ بكيسِ خُبْرٍ؛ أنا قلْتُ لك: ثياب!!، قلْتُ: هذه مجاز، نقول: لا يصح المجازُ هذا، لماذا؟ لا علاقة بين هذا وهذا.

«مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي»، فإن لم تُوجَدْ قرينةٌ تَمْنَعُ من إرادة المعنى الحقيقي فليس بمجاز، ولا يجوز أن يُحْمَلَ على المجاز إذا لم يكن قرينة، ولهذا نقول للذين حرّفوا آياتِ الصفاتِ وأحاديثَها: «ليس عندكم قرينةٌ تَمْنَعُ من إرادة المعنى الحقيقي»، فإذا قالوا: «اليد بمعنى النعمة»، قلنا: «لماذا؟» قالوا: «لأنَّ هناك ما يَمْنَعُ إرادة المعنى الحقيقي - وهو عندهم: العقل -، ما يمكن أن يكون له يَدٌ يَلْزَمُ أن يكون جسماً، وأن يكون مُماثِلاً للمخلوقات، وهذا مُمْتَنِعٌ»، ولذلك صار ارتكابُ المجازِ ركيزةً يَرْتَكِزُ عليها المُعْطَلَّةُ وَمَشَوْا على هذا.

الشروط:

- ١- أن يكون مُسْتَعْمَلاً في غيرِ ما وُضِعَ له.
- ٢- أن يكون هناك علاقةٌ بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي.
- ٣- أن تُوجَدْ قرينةٌ تَمْنَعُ من إرادة المعنى الحقيقي.

يتكلم بالدرر»، فإنها مُستعملة في غير ما وُضعت له، إذ قد وُضعت في الأصل للآلي الحقيقية، ثم نُقلت إلى الكلمات الفصيحة لعلاقة المشابهة بينهما في الحُسْن، والذي يَمْنَع من إرادة المعنى الحقيقي قرينة «يتكلم»^(١).

وك «الأصابع» المُستعملة في «الأنامل» في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ [البقرة: ١٩]، فإنها مُستعملة في غير ما وُضعت له لعلاقة أن الأئمة جزء من الإصبع، فاستعمل الكل في الجزء، وقرينة ذلك أنه لا يمكن جعل الأصابع بتمامها في الآذان^(٢).

والمجاز إن كانت علاقته المشابهة بين المعنى المجازي والمعنى

(١) العلاقة هنا: الحُسْن، ولذلك إذا قلنا: «فلان يتكلم بكلام كالدرر» وسُئِلنا: «أين وجه الشبه؟» قلنا: «الحُسْن»، والذي يمنع من إرادة المعنى الحقيقي قرينة وهي «يتكلم»؛ لأنه لا يمكن أن الدرر - التي هي اللآلي - تخرج من فيه إذا قام يتكلم، فصار «يتكلم» قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

(٢) ومن المعلوم أنه لا يمكن أن يجعل الإنسان كل الإصبع في الأذن، إذ أن المعروف أن ثقب الأذن لا يدخل فيه الإصبع، لا من جهة السعة ولا من جهة العمق، فعندنا الآن قرينة مانعة وهي: أن الأصابع لا يمكن أن تدخل كلها في الآذان، والمقصود: يجعلون أناملهم في آذانهم، فاستعمل الأصابع في الجزء من الأصابع، العلاقة: أن الأئمة التي عبر عنها بالإصبع جزء من الإصبع، فاستعمل الكل في الجزء، وقرينة ذلك: أنه لا يمكن جعل الأصابع بتمامها في الآذان.

أما الذين يمنعون المجاز فيقولون: من المعلوم عند كل مخاطب أنك إذا قلت: «فلان جعل إصبعه في أذنه» فالمراد: جعل جزءاً منه، ليس المراد أنه أدخل إصبعه كله، لكن أحياناً يقصد بذلك المبالغة.

الحقيقي - كما في المثال الأول - يُسَمَّى استعارة، وإلا فَمَجَازٌ مُرْسَلٌ كما في المثال الثاني^(١).



(١) إذا كانت العَلاقةُ هي المِشَابَهَةُ فهو استعارة، وهذا هو الأكثر في المجاز، وإن كانت العَلاقةُ غيرَ المِشَابَهَةِ سُمِّيَ مجازاً مُرْسَلاً، مثل: إطلاق الكل على البعض، أو البعض على الكل، أو السبب على المُسَبَّب، أو المُسَبَّب على السبب.

الضابط: أن الاستعارة تكون عَلاقتها المِشَابَهَةُ، وما كان عَلاقته غيرَ المِشَابَهَةِ فهو مجازٌ مُرْسَلٌ.

الاستِعارَة

الاستعارة

الاستعارة: هي مجازٌ علاقتهُ المُشابهةُ، كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم: ١]، أي: من الضلال إلى الهدى، فقد استعملت «الظلمات» و«النور» في غير معنهما الحقيقي، والعلاقة: المُشابهةُ بين «الضلال» و«الظلام»، و«الهدى» و«النور»، والقرينة: ما قبل ذلك^(١).

(*) [ويقال في إجرائها: شُبِّهَتْ «الضلالة» بـ «الظلمة» بجامع عدم الاهتداء في كل، واستُعيرَ اللفظ الدالُّ على المُشَبَّهِ به وهو «الظلمة» للمُشَبَّهِ وهو «الضلالة»

(١) ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾ الكتاب هو القرآن، والخطاب للنبي ﷺ، وأُضِيفَ الإخراجُ إليه؛ لأنَّه هو السبب، ولأَلا فـالمُخْرِجُ حقيقةٌ هو الله عزَّ وجلَّ، ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي: من ظلمات الجهل، ﴿إِلَى النُّورِ﴾ أي: إلى نور العلم. لو أَنَا أَحَدُنَا ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ على إطلاقها لكان المعنى: أَن الرسول ﷺ يُخْرِجُ النَّاسَ مِنَ الظُّلَامِ - يعني: الظل - إلى الشمس مثلاً، أو من الحُجْرَةِ إلى فِنَائِهَا، لكن هل هذا المراد؟ لا، المراد ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أي: من الجهل الذي هو الضلال ﴿إِلَى النُّورِ﴾ يعني: إلى العلم والهدى.

القرينة المانعة من إرادة الظلمة الحسية: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ﴾، فالقرآن لا يُخْرِجُ به النَّاسُ مِنَ الظُّلُمَاتِ الحسِّيَّةِ إلى النور الحسِّي، بل من الظُّلُمَاتِ المعنوية إلى النور المعنوي.

العلاقة: المُشابهة؛ لأنَّ الجهل يُشَبِّهُ الظُّلْمَةَ، إذ أنَّ الجاهِلَ لا يهتدي، لا يدري، حيران، والعلم يُشَبِّهُ النورَ في الاهتداء.

(*) ما بين المعكوفتين حاشيةٌ للمؤلِّفِ على قولهم «إلى الهدى»، وقد علَّق عليها الشيخ رحمه الله.

على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية^(١).

وأصل الاستعارة تشبيه حُذِفَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ وَوَجْهُ شَبَّهِهِ وَأَدَاتُهُ^(٢).

(١) ويقال أيضاً في «الثور» كذلك: شَبَّهَ الْعِلْمُ بِالْثُورِ بِجَامِعِ الْإِهْتِدَاءِ فِي كُلِّ، ثُمَّ اسْتَعِيرَ لَفْظُ

«الثور»- لَفْظُ الْمُشَبَّهِ بِهِ- لِلْمُشَبَّهِ عَلَى سَبِيلِ الاستعارة التصريحية الأصلية.

- التصريحية: هي التي يُسْتَعَارُ فِيهَا الْمُشَبَّهُ بِهِ لِلْمُشَبَّهِ.

- الأصلية: هي التي ليست مُشْتَقَّةً، أَمَّا الْمُشْتَقَّةُ فَإِنَّهَا تَكُونُ تَبْعِيَّةً، وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّكَ

اسْتَعَرْتَ الْمَعْنَى أَوَّلًا ثُمَّ حَوَّلْتَهُ إِلَى مُشْتَقِّهِ: اسْمِ الْفَاعِلِ، أَوْ اسْمِ الْمَفْعُولِ، أَوْ الْفِعْلِ الْمَبْنِيِّ لِلْفَاعِلِ، أَوْ الْمَبْنِيِّ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ.

(٢) نَعَمْ، هَذَا أَصْلُ الاستعارة، أَصْلُهَا التَّشْبِيهِ، مِثَالُ ذَلِكَ: «مُحَمَّدٌ كَالْبَحْرِ فِي الْعَطَاءِ»:

- إِحْدَفَ وَجْهَ الشَّبَّهِ: مُحَمَّدٌ كَالْبَحْرِ.

- إِحْدَفَ الْأَدَاةَ: مُحَمَّدٌ بِحَرٍّ.

- إِحْدَفَ أَحَدَ الطَّرَفَيْنِ، تَقُولُ: «رَأَيْتُ بَحْرًا يُنْفِقُ الْمَالَ عَلَى النَّاسِ بِلَا حِسَابٍ»، الْآنَ مَا

بَقِيَ مَعْنَا مِنْ أَرْكَانِ التَّشْبِيهِ إِلَّا طَرَفٌ وَاحِدٌ وَهُوَ الْمُشَبَّهُ بِهِ.

وَعَلَى هَذَا فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَأْخُذَ اسْتِعَارَةً كَوْنٌ أَوَّلًا تَشْبِيهًا تَامًا ثُمَّ قَصْصُهُ:

١- إِحْدَفَ وَجْهَ الشَّبَّهِ.

٢- ثُمَّ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ.

٣- ثُمَّ الْمُشَبَّهِ.

٤- ثُمَّ كَوْنُ جُمْلَةٍ يَتِمُّ بِهَا الْكَلَامُ.

حَسَنًا، أَرَدْتَ أَنْ تَمْدَحَ شَخْصًا بِالْعِلْمِ، فَتَقُولُ: «عَلِيٌّ كَالْبَحْرِ فِي السَّعَةِ»، مَاذَا تَعْمَلُ؟

١- إِحْدَفَ وَجْهَ الشَّبَّهِ: عَلِيٌّ كَالْبَحْرِ.

٢- إِحْدَفَ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ: عَلِيٌّ بِحَرٍّ.

٣- إِحْدَفَ الْمُشَبَّهِ وَهُوَ «عَلِيٌّ».

٤- مَا الَّذِي يَبْقَى مَعَكَ؟ «بَحْرٌ»، «بَحْرٌ» كَلِمَةٌ مُفْرَدَةٌ، اجْعَلْهَا فِي جُمْلَةٍ مُفِيدَةٍ: «رَأَيْتُ بَحْرًا

=

يُعَلِّمُ النَّاسَ».

والمُشَبَّه يُسَمَّى مُسْتَعَاراً له، والمُشَبَّه به يُسَمَّى مُسْتَعَاراً منه، ففي هذا المثال: المستعارُ له هو «الضَّالُّ» و«الهُدَى»، والمُستعارُ منه هو معنى «الظُّلَام» و«النُّور»، وَلَفْظُ «الظُّلُمَاتِ» و«النُّورِ» يُسَمَّى مُسْتَعَاراً.

أ - وتنقسم الاستعارة [باعتبار ما يُذكر من الطرفين]:

١- إلى مُصْرَحَةٍ: وهي ما صُرِّحَ فيها بلفظ المُشَبَّه به، كما في قوله [البسيط]:

فَأَمْطَرَتْ لُؤْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ، وَسَقَتْ وَزْدًا، وَعَصَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

فقد استعار اللؤلؤ والنرجس والورد والعناب والبرد للدموع والعيون والحدود والأنامل والأسنان^(١).

= حَسَنًا، تريد أن تستعير أسداً لرجل شجاع، ماذا تقول؟: «فلان كالأسد في الشجاعة»:

١- إَحْذِفْ وَجْهَ الشَّبَه: فلان كالأسد.

٢- إَحْذِفْ أَدَاةَ التَّشْبِيهِ: فلان أسد.

٣- إَحْذِفِ الْمُشَبَّه: أسد.

٤- «أسد» لا بُدَّ أن تجعلها في جملة مفيدة، فتقول: «رايتُ أسداً يحمل سيفاً».

ولذلك المؤلف قَرَّبَهَا [بقوله]: «أصلُ الاستعارة تشبيهٌ حَذَفَ أَحَدُ طَرَفَيْهِ وَوَجْهَ شَبَهِهِ وَأَدَاتُهُ».

(١) هذا البيت غريب، هل هو فصيح؟ نَعَمْ، لكن فصيحٌ تشدَّد في الاستعارة؛ استعار اللؤلؤ للدموع، والنرجس للعيون، والورد للحدود، والعناب للأنامل، والبرد للأسنان، معناه: أنها بَكَّتْ وَحَصَلَ مِنْ بَكَائِهَا مَا ذُكِرَ.

لو قال قائل: ذَكَرْتُمْ أَنَّ الْمَجَازَ - سواءً علاقته المشابهة أو غير المشابهة - لا بُدَّ فيه من قرينة وعلاقة، فما هي القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي؟، [القرينة:] أنه لا =

٢- وإلى مَكْنِيَّة: وهي ما حُذِفَ فيها المُشَبَّه به ورُمِزَ إليه بشيءٍ من لوازمه، كقوله تعالى: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، فقد استعار الطائر للذل، ثم حَذَفَهُ، ودَلَّ عليه بشيءٍ من لوازمه وهو الجناح.

وإثبات الجناح للذل يُسَمُّوهُ استعارة تَخْيِيلِيَّة^(١).

= يمكن أن تُمَطَّرَ لؤلؤاً، وكذلك يقال في الباقي، أمَّا العلاقة في كلِّ الكلمات هذه فهي المشابهة، شبهَ دموعها باللؤلؤ، والغرض من ذلك التحسين، وكذلك يقال في البواقي. حسناً، ما العلاقة بين «العُتَاب» و«الأنامل»؟ [العلاقة: اللُّون؛ لأنَّ العُتَابَ لَوْنُهُ أَحْمَرُ، وهذه قد صَبَعَتْ أَنَامِلُهَا بِالْحِجَاءِ، فصارت تُشَبِّهُ العُتَابَ.

(١) نَعَمْ؛ لأنَّ الذَّلَّ - حقيقةً - ليس له جناح، لكن تَخَيَّلَهُ كَأَنَّهُ طَائِرٌ له جناح، فَحَذَفَهُ ورَمَزَ إليه بشيءٍ من لوازمه، مثال ذلك أيضاً قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٦]، إذا جَعَلْنَا الاستعارة في كلمة ﴿الضَّلَالَةَ﴾ نقول: شَبَّهَتِ الضَّلَالَةُ بِالْمَتَاعِ؛ لأنَّ المتاع هو الذي يُشْتَرَى-، وحَذَفَ المتاعَ ورُمِزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو الشراء، فهذه استعارة مَكْنِيَّةٌ، وقال الشاعر^(*) [الكامل]:

وَإِذَا الْمَنِئِيَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ

هل للمَنِئِيَةِ أَظْفَارٌ تنشب؟ لا، لكنَّه شَبَّهَ الْمَنِئِيَةَ بِالْوَحْشِ أَنْشَبَ ظُفْرُهُ، وَحَذَفَ الْوَحْشَ، ورَمَزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهي الأظفار.

صار:

- إذا وُجِدَ المُشَبَّه به فهي تصرِيحِيَّة.

- وإذا وُجِدَ المُشَبَّه وحُذِفَ المُشَبَّه به ورُمِزَ إليه بشيءٍ من لوازمه فهي مَكْنِيَّةٌ.

﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾، إذا قلنا: «إِنَّ فِي الْقُرْآنِ مَجَازاً» فتخريجُها واضحٌ كما قال المؤلف، لكن إذا قلنا: «ليس فيه مجازاً» فكيف نُخْرِجُ الْآيَةَ؟، نُخْرِجُ الْآيَةَ على أَنَّ من المعروف أَنَّ الذَّلَّ ليس له جناح، لكن لَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ إِذَا اسْتَعْلَى عَلَى غَيْرِهِ وَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ وَارْتَفَعَ صار كَأَنَّهُ طَائِرٌ، فَأَمَرَ أَنْ يَخْفِضَ الْجَنَاحَ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الطَّيْرَانُ حَتَّى =

(*) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، انظر: «ديوانه» ص ١٤٧.

ب - وتنقسم الاستعارة [باعتبار اللفظ المستعار] (*):

١- إلى أصليّة: وهي ما كان فيها المستعار اسماً غير مُشتقّ، كاستعارة «الظلام» لـ «الضلال»، و«النور» لـ «الهدى».

٢- وإلى تبعيّة: وهي ما كان فيها المستعار فعلاً أو حرفاً أو اسماً مُشتقّاً^(١)، نحو: «رَكِبَ فلانٌ كَتَفِي غَرِيمِهِ»، أي: لَازَمَهُ مُلازِمَةً شديدة^(٢)، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥]، أي: تَمَكَّنُوا مِنَ الحُصُولِ عَلَى الهداية التامة^(٣)، ونحو قوله [الكامل]:

= يَنْزِلُ ويكون بالنسبة لو الذي ذليلاً، وحينئذ نقول: إن السياق يَمْنَعُ تماماً أن يكون المراد أنَّ الدُّلَّ طائر له أجنحة، وأنَّ اللهَ أَمَرَ أن يَخْفِضَ له الجناحَ، فهذا شيء معروف أنَّه لا يمكن.

(١) إذا كانت الاستعارة في فعل أو حرف أو مُشتقّ فهي تَبَعِيَّةٌ، وإذا كانت في اسم جامد فهي أصليّة، وذلك واضح؛ لأنَّ أصلَ الأفعالِ والمُشتَقَّاتِ مَصَادِرُ اشْتَقَّ منها كذا وكذا، فإذا قلت: «رَأَيْتُ أسداً يحمل حَقِيبةً» فهي أصليّة؛ لأنَّها جَرَتْ في اسم جامد غير مُشتقّ.

(٢) شَبَّهَ المِلازِمَةَ بالركوب، فهنا «رَكِبَ» فَعْلٌ، فتكون تَبَعِيَّةٌ، أيضاً: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْعَبْلَةَ بِالْهُدًى﴾ [البقرة: ١٦] كُنَّا أَجْرَيْنَاهَا قَبْلَ قَلِيلٍ عَلَى أَنَّهَا مَكْنِيَّةٌ لا تصرّحية، يُمكن أن تُجَرِّبَهَا تصرّحيةً ونجعلها في كلمة «اشْتَرَوْا»، «اشْتَرَوْا» بمعنى: اخْتَارُوا الضلالةَ على الهدى، فشَبَّهَ اختيَارَهُم الضلالةَ على الهدى بالشراء بجامع الرّغبة في كلِّ منهما، ثم استعارَ لفظَ الاشتراء للاختيار، ثم اشتقَّ من الاشتراء «اشْتَرَوْا»، إذا التَّبَعِيَّةُ أطولُ إجراءً من الأصليّة؛ لأنَّ التَّبَعِيَّةَ لا بُدَّ أن تُجَرِّبَهَا في أصل المعنى ثم تقول: «واشتقَّ منه كذا وكذا»، ولهذا سُمِّيَتْ تَبَعِيَّةً.

(٣) هل الهدى شيء يُرَكَّبُ؟ لا، لكن كلمة «الهدى» استُعيرت استعارةً مَكْنِيَّةً؛ وذلك لأنَّ الهدى - الذي هو المعنى وهو العِلْمُ - لا يمكن أن يُرَكَّبَ، لكن شَبَّهَ مُلازِمَتَهُ للهدى بالركوب عليه (**).

(*) سواء كانت الاستعارة تصرّحية أو مكنية.

(**) أفاد الشيخ رحمه الله فيما بعد هذه المسألة قائلاً: «كلُّ استعارةٍ تبعيةٍ فإنَّ قريبتها مكنيةٌ، بمعنى أنَّك إذا =

وَلَيْنَ نَطَقْتُ بِشُكْرِ بَرِّكَ مُفْصِحاً فَلَسانُ حالي بِالشُّكَايَةِ أَنْطَقُ
أي: أدلُّ.

ج - وتنقسم الاستعارة [باعتبار ذِكْرِ المُلَائِمِ]:

١- إلى مُرَشَّحَةٍ: وهي ما ذُكِرَ فيها مُلَائِمُ المُشَبَّهِ به، نحو: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رِيحَتْ يَحَرُّهُمْ﴾ [البقرة: ١٦]، فالاشتراء مُستعارٌ للاستبدال، وذُكِرَ الرِّيحَ والتَّجَارَةَ ترشيحاً^(١).

٢- وإلى مُجَرَّدَةٍ: وهي التي ذُكِرَ فيها مُلَائِمُ المُشَبَّهِ، نحو: ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢]، استُعيرَ اللَّيَاسُ لِمَا عَشِيَ الإنسانُ عندَ الجوع والخوفِ، والإذاقَةُ تجريدٌ لذلك.

٣- وإلى مُطْلَقَةٍ: وهي التي لَمْ يَذْكَرْ معها مُلَائِمٌ، نحو: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾^(٢) [البقرة: ٢٧].

(١) المُرَشَّحَةُ: المُقَوَّاةُ، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ الاستعارة انتهت إلى هذا الحدِّ، ﴿فَمَا رِيحَتْ يَحَرُّهُمْ﴾ هذه جملة تُقَوِّي الاستعارة التي ذُكِرْنَا أَنَّهَا فِي الشُّرَاءِ، التَّجَارَةُ تُنَاسِبُ الشُّرَاءَ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ يَشْتَرِي الشَّيْءَ لِيَرِيحَ فِيهِ أَوْ لِيَسْتَعْمَلَ فِي بَيْتِهِ مِثْلًا، فَهَذَا يُسَمَّى تَرْشِيحًا، يَعْنِي: إِذَا ذُكِرَ فِي الاسْتِعَارَةِ مَا يُلَائِمُ المُشَبَّهَ بِهِ سُمِّيَ ذَلِكَ تَرْشِيحًا.

(٢) الْآنَ قَسَمَهَا رَحِمَهُ اللهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

الأول: ما ذُكِرَ فِيهِ مُلَائِمُ المُشَبَّهِ بِهِ، وَهَذَا تَرْشِيحٌ.

والثاني: ما ذُكِرَ فِيهِ مُلَائِمُ المُشَبَّهِ بِهِ، وَهَذِهِ مُجَرَّدَةٌ.

= رَأَيْتَ اسْتِعَارَةَ تَبْعِيَّةً فَلَمْ أَنْ تَجْرِيهَا فِي نَفْسِ اللَّفْظِ، وَلَكِنْ أَنْ تَجْرِيهَا فِي الْقَرِينَةِ، لَكِنْ إِذَا أَجْرَيْتَهَا مَكْنِيَّةً فَلَا تُجْرِيهَا تَبْعِيَّةً فِي آيٍ وَاحِدٍ؛ لِأَنَّ هَذَا تَنَاقُضٌ، الْقَاعِدَةُ: «كُلُّ تَبْعِيَّةٍ فَقَرِينَتُهَا مَكْنِيَّةٌ»، وَإِذَا أَجْرَيْتَهَا فِي إِحْدَاهُمَا امْتَنَعَ إِجْرَاؤُهَا فِي الْأُخْرَى؛ لِثَلَا يُلْزَمُ أَنْ تَكُونَ الْعِبَارَةُ مُسْتَعَارَةً مِنْ وَجْهَيْنِ.

ولا يُعْتَبَرُ التَرْشِيحُ والتَجْرِيدُ إِلَّا بعدَ تَمَامِ الاستعارةِ بالقرينةِ^(١).

* * *

= والثالث: ما خَلَّتْ عن مُلَائِمِ هذا وهذا، فهذه مُطْلَقَةٌ، وكذلك ما ذُكِرَ فيها مُلَائِمُ هذا وهذا فإنها تُسَمَّى مُطْلَقَةً.

طبعاً هذه اصطلاحات، ليس شيئاً مَبْنِيّاً على دليل، هذا مُضْطَلَحٌ من جِنْسِ المِصْطَلَحِ في عِلْمِ الحديث. حَسَنًا:

- إذا قلت: «رأيت أسداً يحمل حقيبة ويكتب بقلم»، الآن «ويكتب بقلم» هل يُنَاسِبُ المُشَبَّهَ أو المُشَبَّهَ به؟ المُشَبَّهَ، إذا مُجَرَّدَةٌ.
 - وإذا قلت: «رأيت أسداً يحمل حقيبة يفترس أقرانه» هذا ترشيح؛ لأنه يُلَائِمُ المُشَبَّهَ به.
 - إذا قلت: «رأيت أسداً يحمل حقيبة» هذه مُطْلَقَةٌ.
- الْخُلَاصَةُ أَنَّهُ:

- ١- إذا ذُكِرَ في الاستعارة ما يُلَائِمُ المُشَبَّهَ به فهو ترشيح، والترشيح يعني: التقوية.
- ٢- إذا ذُكِرَ ما يُلَائِمُ المُشَبَّهَ فهو تَجْرِيد، يعني: كَأَنَّكَ بعد أن ادَّعَيْتَ أَنَّ هذا المستعار له هو المستعارُ جَرَّدَتَهُ بِذِكْرِ ما يُلَائِمُ المستعارَ له.
- ٣- إذا لم يُذَكَّرْ هذا ولا هذا فهي مُطْلَقَةٌ.

(١) صحيح، هذا ضروري، لا يُعْتَبَرُ التَرْشِيحُ والتَجْرِيدُ إِلَّا بعد أن تَتِمَّ الاستعارة، انْظُرْ إلى قولك: «رأيت أسداً يحمل حقيبة»، استَعَرْتَهُ لِلرَّجُلِ الشَّجَاعِ، كلمة «يحمل حقيبة» تُلَائِمُ المُشَبَّهَ، لكننا لا نجعلها هنا مُجَرَّدَةً؛ لأنَّ هذه هي القرينة المانعة، إذا التَجْرِيدُ والتَرْشِيحُ لا يُعْتَبَرُ إِلَّا بعد تمام الاستعارة بقرينتها.

المَجَازُ الْمُرْسَلُ

المَجَازُ المُرْسَلُ

هو مَجَازٌ عَلاقَتُهُ غَيْرُ المُشَابَهَةِ^(١):

١- كَالسَّبِيَّةِ، في قولك: «عَظُمْتُ يَدُ فُلانٍ عِنْدِي»، أي: نِعْمَتُهُ الَّتِي سَبَّيْهَا اليَدُ^(٢).

٢- وَالْمُسَبِّبَةِ، في قولك: «أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ نَبَاتًا»، أي: مَطَرًا يَتَسَبَّبُ عَنْهُ النَبَاتُ^(٣).

٣- وَالْجُزْئِيَّةِ، في قولك: «أَرْسَلْتُ الْعُيُونَ لِتَطَّلِعَ عَلَى أَحْوالِ الْعَدُوِّ»، أي: الْجَوَاسِيسَ^(٤).

(١) المَجَازُ المُرْسَلُ ضابِطُهُ: ما تُجَوِّزُ به عن غَيْرِهِ بِعَلاقَةٍ غَيْرِ الشَّبَهِ، وإذا كانتِ العَلاقَةُ الشَّبَهِ فهو اسْتِعَارَةٌ، يعني: كُلُّ شَيْءٍ يُعَبَّرُ به عن غَيْرِهِ إِنْ كانتِ العَلاقَةُ بَيْنَهُمَا المُشَابَهَةَ فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ، وَإِنْ كانتِ غَيْرُ المُشَابَهَةِ فَهِيَ مَجَازٌ مُرْسَلٌ. ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ ثَمَانِيَةَ أَشْيَاءَ.

(٢) هُنَا عُبِّرَ بِالسَّبَبِ عَنِ الْمُسَبِّبِ، السَّبَبُ: اليَدُ، هِيَ الَّتِي تُعْطِي، وَالْمُسَبِّبُ: النِّعْمَةُ، فَعُبِّرَ بِالْيَدِ عَنِ النِّعْمَةِ مَجَازًا؛ لِأَنَّ اليَدَ سَبَبٌ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣] هُنَا عُبِّرَ بِالرِّزْقِ عَنِ الْمَطَرِ؛ لِأَنَّ الرِّزْقَ مُسَبِّبٌ لِلْمَطَرِ، الْمَطَرُ هُوَ السَّبَبُ.

(٣) مَعْلُومٌ أَنَّ السَّمَاءَ لَا تُمَطِّرُ نَبَاتًا، تُمَطِّرُ مَطَرًا يَكُونُ بِهِ النَبَاتُ، فَهُنَا عُبِّرَ بِالنَّبَاتِ الَّذِي هُوَ الْمُسَبِّبُ عَنِ السَّبَبِ الَّذِي هُوَ الْمَطَرُ.

هَذَانِ شَيْئَانِ مُتَضَادَّانِ، يُعَبَّرُ بِالسَّبَبِ عَنِ الْمُسَبِّبِ، وَبِالْمُسَبِّبِ عَنِ السَّبَبِ، وَكِلَاهُمَا مَجَازٌ.

(٤) مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْعَيْنَ نَفْسَهَا لَا تُرْسَلُ، الَّذِي يُرْسَلُ الشَّخْصُ لِتَطَّلِعَ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ الْجَاسُوسُ يُذَكِّرُ الْأَشْيَاءَ بِنَصَرِهِ، وَيَتَأَمَّلُ الْمَلَامِحَ، وَيَنْظُرُ إِلَى الْأَشْيَاءِ؛ عُبِّرَ بِالْعَيْنِ =

٤- وَالْكُلِّيَّةُ، في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصْنَعَهُمْ فِيْءَ آذَانِهِمْ﴾ [البقرة: ١٩]،
أي: أَنَامِلَهُمْ^(١).

٥- وَأَعْتَبَارٍ مَا كَانَ، في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا آلَئِنَّمَ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٢]،
أي: الْبَالِغِينَ^(٢).

= عنه، أي: عن الجاسوس.

لو أن إنساناً قال: «أرسلت آذاني في البلد»، [فهل] يصلح أن يُعَبَّرَ بها عن الجاسوس؟
لا، لا يصلح، ولا عُبِّرَ بها العرب؛ لأنَّ الآذانَ يمكن أن تكون جاسوساً في حالة معيّنة،
إذا قيل لك عن بيت: «إنَّ فيه اشتباهاً» وأرسلت إليه شخصاً في الليل؛ فهنا يمكن أن
تقول: «أرسلت آذاني إلى بيته ليلاً»، هنا لا بُدَّ من قرينة.

(١) عُبِّرَ بالكلِّ عن الجزء.

حَسَنًا:

- «أَعْتَقَ رَقَبَةً» عَكْسُهَا، عُبِّرَ بالجزء عن الكل.

- قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرُوا مَعَ الرَّاكِبِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، بالجزء عن الكل؛ لأنَّ المُرَادَ الصلاةَ،
والركوعُ جزءٌ منها.

- «قَسَمْتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين»^(*)، تعبيرٌ بالكلِّ عن الجزء، وهذا أمثلته
كثيرة.

(٢) الْيَتِيمَ: مَنْ مات أبوه قبل البلوغ، وَمَنْ لم يَبْلُغْ لا يُعْطَى مَالُهُ كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَالْيَتَامَى
الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، فهنا يقول
عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَتُوا آلَئِنَّمَ أَمْوَالَهُمْ﴾ المراد: الْبَالِغُونَ، وإذا كانوا بِالْغِينَ لم يكونوا يَتَامَى؛ إذ
أَنَّ الْيَتِيمَ مَنْ لم يَبْلُغْ.

فإذا قال قائل: ما الحكمة من أَنه سبحانه وتعالى يُعَبِّرُ باليتيم عن البالغ؟
الحكمة: من أجل استعطاف الأولياء واسترحامهم حتى يُؤَدُّوا الأموالَ إلى أهلها، فكأنَّه
قال: «أَذْكُرُوا يَتْمَهُمْ وَأَعْطَوْهُمْ أَمْوَالَهُمْ».

(*) روى مسلم في صحيحه (٤/ رقم: ٣٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «قال اللهُ
تعالى: قَسَمْتُ الصلاةَ بيني وبين عبدي نصفين...»، والمراد بالصلاة هنا: الفاتحة.

٦ - وأَعْتَبَارِ ما يكون، في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرْنِيكَ أَغْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، أي: عِنْبًا^(١).

٧- والمَحَلِّيَّة، في قولك: «قَرَّرَ المَجْلِسُ ذلك»، أي: أَهْلُهُ^(٢).

٨- والحَالِيَّة^(*)، في قوله تعالى: ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧]، أي: جَنَّتِهِ^(٣).

* * *

(١) الخمر لا يُعَصَّر، الخمر معصور، لكن المرادُ به العِنْبُ الذي يكون منه الخمر، فَعَبَّرَ عن شيءٍ باعتبار ما يكون، وهذا أيضاً كثير، ﴿أَلَمْ أَمُرُ اللَّهَ﴾ [النحل: ١] عَبَّرَ بالماضي عن المستقبل، وله أمثلة في القرآن وغير القرآن.

(٢) تقول: «قَرَّرَ مجلسُ الوزراء كذا وكذا»، وهل الذي قَرَّرَ الكَتَبَاتُ والمَخَاذُ والمَسَانِدُ؟ لا، الذي قَرَّرَ أَهْلُ المَجْلِسِ، لكن لَمَّا كان القرارُ إجماعياً صار كأنَّ المَحَلَّ نَفْسَهُ بَمَنْ فيه قَرَّرَهُ.

(٣) المُراد: «ففي جَنَّةِ اللَّهِ»، لكن عَبَّرَ عن الجَنَّةِ بالرحمة؛ لأنها مِن آثارِ رحمته، فالجَنَّةُ هي رحمةُ الله كما جاء في الحديث: قال الله لها: «أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ»^(**)؛ لأنَّ الجَنَّةَ مَحَلُّ الرحمة، جَعَلَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِهَا بِمَنْهُ وَكَرَمِهِ.

(*) بتشديد اللام، مِن الحُلُول.

(**) رواه البخاري (٦٥/ تفسير سورة ق/ ١)، ومسلم (٥١/ رقم: ٣٤، ٣٥).

المَجَازُ المُرَكَّبُ

المَجَاز المُرَكَّب

المُرَكَّبُ إِنِ اسْتُعْمِلَ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ لِعَلَّاقَةٍ غَيْرِ الْمُشَابَهَةِ سُمِّيَ مَجَازاً مُرَكَّباً، كَالْجُمْلِ الْخَبَرِيَّةِ إِذَا اسْتُعْمِلَتْ فِي الْإِنْشَاءِ، نَحْوُ قَوْلِهِ [الطويل]:

هَوَايَ مَعَ الرِّكْبِ الْيَمَانِيِّنَ مُضْعِدٌ جَنِيْبٌ، وَجُثْمَانِي بِمَكَّةَ مُوْتِقٌ

فليس الغَرَضُ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ الْإِخْبَارُ، بَلْ إِظْهَارُ التَّحْزُنِ وَالتَّحَسُّرِ.

وَإِنْ كَانَتْ عِلَاقَتُهُ الْمُشَابَهَةَ سُمِّيَ اسْتِعَارَةً تَمثِيلِيَّةً، كَمَا يُقَالُ لِلْمُتَرَدِّدِ فِي أَمْرِ: «أَرَاكَ تَقْدُمُ رِجْلاً، وَتُوَخَّرُ أُخْرَى»^(١).

* * *

(١) الْجُمْلَةُ الْخَبَرِيَّةُ إِذَا اسْتُعْمِلَتْ فِي الْإِنْشَاءِ فَهِيَ تُسَمَّى مَجَازاً مُرَكَّباً إِذَا لَمْ تَكُنْ عِلَاقَتُهَا الْمُشَابَهَةَ، وَلَهَا أَمْثَلَةٌ كَثِيرَةٌ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرْيَضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فَإِنَّ ﴿يَرْيَضْنَ﴾ جَمْلَةٌ خَبَرِيَّةٌ، وَالْمَرَادُ: الْإِنْشَاءُ، يَعْنِي الْأَمْرَ بِذَلِكَ، وَمِثْلُ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ.

إِذَا جَاءَتْ جَمْلَةٌ مَجَازِيَّةٌ عِلَاقَتُهَا الْمُشَابَهَةَ فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ تَمثِيلِيَّةٌ، مِثَالُ ذَلِكَ: تَقُولُ مِثْلاً فِي الْأَمْرِ تَتَرَدَّدُ فِيهِ: «فَكُنْتُ أَقْدُمُ رِجْلاً، وَأُوَخَّرُ أُخْرَى»، مَعْلُومٌ أَنَّهُ لَيْسَ الْمَرَادُ فِي الْحَقِيقَةِ تَقْدِيمَ الرَّجْلِ، زُبْناً يَتَرَدَّدُ الْإِنْسَانُ وَهُوَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، لَكِنْ شَبَّهَ حَالَهُ فِي التَّرَدُّدِ بِحَالِ مَنْ يَقْدُمُ رِجْلاً وَهُوَ أُخْرَى، الْمُقْدَمُ لِلرَّجْلِ وَالْمُوَخَّرُ لِأُخْرَى يَبْقَى فِي مَكَانِهِ حَائِراً، فَيُقَالُ فِي هَذَا: إِنَّهَا اسْتِعَارَةٌ تَمثِيلِيَّةٌ.

وَذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ هَذَا مِنْ بَابِ تَكْمِلَةِ التَّقْسِيمِ، وَإِلَّا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ سَبَقَ الْقَوَاعِدُ الْعَامَّةُ، يُكْتَفَى بِهَا.

المَجَازُ الْعَقْلِيّ

المَجَاز العَقْلِي

هو إسنَادُ الفِعْلِ أو ما في معناه إلى غير ما هو له عند المُتَكَلِّمِ في الظاهرِ لِعِلَاقَةٍ^{(١)(*)}، نحو قوله [المُتَقَارِب]:

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ رَ كَرُّ الْغَدَاةِ وَمَرُّ الْعَشِيِّ

فإنَّ إسنَادَ الإِشَابَةِ والإِفْنَاءِ إلى كَرُّ الْغَدَاةِ وَمُرُورِ الْعَشِيِّ إسنَادٌ إلى غير ما هو له، إذ المُشِيبُ والمُفْنِي - في الحقيقة - هو اللَّهُ تعالى^(٢).

وَمِنَ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ:

١- إسنَادُ مَا بُنِيَ لِلْفَاعِلِ إِلَى الْمَفْعُولِ، نحو: ﴿عِشَّةٌ رَاضِيَةٌ﴾^(٣) [الحاقَّة: ٢١].

(١) «هو إسنَادُ الفِعْلِ أو ما في معناه» يعني: اسم الفاعل، واسم المفعول، والمصدر المراد به اسم الفاعل واسم المفعول.
قوله: «في الظاهر» متعلِّق بقوله: «إلى غير ما هو له»، يعني: أنَّه في الظاهر لغير ما هو له عند المُتَكَلِّمِ.

(٢) هل الذي أفنى الإنسان هو هذا؟ الجواب: لا، الذي أفناه الله، فأضاف الفعلَ إلى غير مَنْ هو له، وكذلك يقال في المثل العامِّي: «أَهْلَكَهُ السَّبْتُ وَالْأَحَدُ»، يعني: مرور السبت والأحد، وهل هذا هو الذي أهْلَكَهُ؟ لا، الذي أهْلَكَهُ الله، لكن أَسَنَدَ الفعلَ إلى غير مَنْ هو له على سبيل المجاز، ويقال: «بَنَى عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مَدِينَةَ الْفُسْطَاطِ»، معلوم أنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ ﷺ لم يُبَاشِرِ البناءَ، لم يَأْتِ بِاللِّبَنِ وَلَمْ يُجَبِّنِ الطِّينَ، ولكن أَمَرَ بذلك، هذا يُسَمَّى مجازاً عقلياً.

(٣) ﴿رَاضِيَةٌ﴾ يعني: مَرْضِيَّةٌ، فأتى باسم الفاعل ويُراد به اسم المفعول، فقد أَسَنَدَ الرِّضَا إلى =

(*) بشرط وجود قرينة تمنع من إرادة الإسناد الحقيقي.

٢- وَعَكْسُهُ(*)، نحو: «سَيْلٌ مُفْعَمٌ»^(١).

٣- والإسناد:

أ- إلى المَضْدَرِ، نحو: «جَدَّ جَدُّهُ».

ب- وإلى الزَّمَانِ، نحو: «نَهَارُهُ صَائِمٌ».

ج - وإلى المكانِ، نحو: «نَهْرٌ جَارٍ».

د- وإلى السَّبَبِ، نحو: «بَنَى الْأَمِيرُ الْمَدِينَةَ»^(٢).

وَيُغْلَمُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الْمَجَازَ اللَّغَوِيَّ يَكُونُ فِي اللَّفْظِ، وَالْمَجَازَ

= الْعَيْشَةُ، وَالْعَيْشَةُ لَا تَرْضَى، وَإِنَّمَا الْعَيْشَةُ تُرْضَى، فَاسْتَدَّ مَا فِي مَعْنَى الْفِعْلِ إِلَى غَيْرِ مَا هُوَ لَهُ عَلَى وَجْهِ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ.

(١) «مُفْعَمٌ» يَعْنِي: «فَاعِمٌ أَوْ مُفْعِمٌ» مَعَ أَنَّهُ مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ، هُنَاكَ أَعْمَالٌ تُبْنَى لِلْمَجْهُولِ - أَوْ إِنْ شِئَتْ قُلُوبٌ: لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ - دَائِمًا، مِثْلُ: «تُبْنِيَتْ الْبَيْمَةُ» بِمَعْنَى: «أُتْبِنَتْ»، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: «أُتْبِنْتُ» أَوْ «تُبْنَيْتُ».

وَقَدْ أُلْفَ فِي ذَلِكَ الرِّسَالَةِ الصَّغِيرَةِ عَلَيْهَا شَرْحٌ وَأَمْثَلَةٌ، كـ «إِتْحَافِ الْفَاضِلِ بِالْفِعْلِ الْمَبْنِيِّ لِغَيْرِ الْفَاعِلِ»^(**)، يَعْنِي فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ أَلْفَاظٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُبْنَى إِلَّا لِلْمَفْعُولِ، لَا تُبْنَى لِلْفَاعِلِ.

(٢) إِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ وَالْمَجَازِ اللَّغَوِيِّ؟

فَالْجَوَابُ: الْمَجَازُ اللَّغَوِيُّ يَكُونُ فِي الْأَلْفَاظِ، وَالْمَجَازُ الْعَقْلِيُّ يَكُونُ فِي الْإِسْنَادِ، بِمَعْنَى أَنَّ الْكَلِمَاتِ يُرَادُ بِهَا مَعْنَاهَا الْحَقِيقِيَّةُ، لَكِنْ إِسْنَادُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ إِلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ هُوَ الْمَجَازُ. فَمِثْلًا: «بَنَى الْأَمِيرُ الْمَدِينَةَ»، مَا الْمُرَادُ بِالْبِنَاءِ؟ الْحَقِيقَةُ، وَالْأَمِيرُ؟ الْحَقِيقَةُ، لَكِنْ إِسْنَادُ الْبِنَاءِ لِلْأَمِيرِ هَذَا هُوَ الْمَجَازُ.

﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣] الْآنَ الْمَجَازُ هَلْ هُوَ فِي أَنْزَالِ هَذَا =

(*) أي: إسناد ما بُنِيَ لِلْمَفْعُولِ إِلَى الْفَاعِلِ.

(**) للشيخ محمد علي بن علان الصَّدِيقِي الشَّافِعِي (ت: ١٠٥٨هـ).

العَقْلِيّ يكون في الإسناد^(١).



= الماء أو في كلمة «رزق»؟ في كلمة «رزق».

فلهذا نقول: الفرق بين المَجَاز اللُّغَوِيّ (بأنواعه: الاستعارة والمَجَاز المرسل) والمَجَاز العَقْلِيّ أن:

- المَجَاز العَقْلِيّ يكون في الإسناد، بمعنى أن الكلمات يُراد بها المعنى الحقيقي، لكن إسناد هذه إلى هذه من هنا يأتي المَجَاز.
- المَجَاز اللُّغَوِيّ يكون في الألفاظ، إن كانت العلاقة المشابهة فهي استعارة، وإن كانت العلاقة غير المشابهة فهو مَجَاز مُرْسَل.

(١) والفرق بينهما كما ذكرْتُ لكم:

- المَجَاز اللُّغَوِيّ في الكلمات نفسها، بمعنى أنه يُراد بالكلمات خلافُ المعنى الأصلي.
- والمَجَاز العَقْلِيّ في الإسناد، بمعنى أن كلَّ كلمة يُراد بها المعنى الأصلي، لكن إسنادها إلى الكلمة الأخرى عَقْلِيّ يَمْتَنِعُ العَقْلُ.

حَسَنًا، قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَيْكُ﴾ [الفجر: ٢٢]، على مذهب أهل السُّنَّة والجماعة أنه حقيقة ليس فيه مَجَاز لا عَقْلِيّ ولُّغَوِيّ، وعلى رأي أهل التحريف فيه مَجَاز عَقْلِيّ؛ لأنَّ المَجِيءَ عَقْلًا - عندهم - لا يُسَدُّ إلى الرَّبِّ مُمْتَنِعٌ عَقْلًا، وهذا هو السُّرُّ في أنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله وأمثالها شددًا في إنكار المَجَاز؛ لأنَّه صار سُلْمًا إلى تحريف نصوص الكتاب والسُّنَّة بناءً على إثبات المَجَاز.

الحمد لله، الآن فَهْمُنَا المَجَازَ بنوعيه: ما علاقته المشابهة وهو الاستعارة، وما علاقته غير المشابهة وهو المَجَاز المرسل، وكلُّ منهما يكون مَجَازًا في اللفظ، فإن كانت الألفاظ يُراد بها الحقيقة لكن إسناد هذا إلى هذا لا يمتنع عَقْلًا فهو مَجَاز عَقْلِيّ.

واغْلَمْ أن قولنا: «يَمْتَنِعُ عَقْلًا» ليس معناه كما يريد المَنَاطِقَةُ، لا، حتى لو كان عادةً فهو مَجَاز عَقْلِيّ، مثلاً: «بَنَى الأميرُ المدينة» هل يَمْتَنِعُ عَقْلًا أن يَبْنِيَهَا؟ عَقْلًا لا يَمْتَنِعُ، يمكن أن يُشَارِكَ في البناء، لكن عادةً يَمْتَنِعُ.

الْكِنَايَة

الكِنَايَة

هي لَفْظٌ أُريدَ به لازِمٌ معناه مع جَوَازِ إِرَادَةِ ذلك المعنى، نحو: «طويلُ النَّجَادِ»، أي: طويلُ القَامَةِ^(١).

وتنقسم باعتبارِ المَكْنِيِّ عنه إلى ثلاثةِ أقسام:

الأول: كِنَايَة يكون المَكْنِيُّ عنه فيها صِفَةً، كقول الخنساء [المُتَقَارِب]:

طَوِيلُ النَّجَادِ، رَفِيعُ الْعِمَادِ كَثِيرُ الرَّمَادِ إِذَا مَا شَتَا
تريد أنه طويلُ القَامَةِ، سَيِّدُ كَرِيم^(٢).

(١) الكِنَايَة: عبارة عن جملة أو كلمة تدلُّ على معنى ملازم لها، مع جواز إرادة ذلك المعنى، مثاله: «طويلُ النَّجَادِ» يعني: طويلُ القَامَةِ؛ لأنه يَلَزَمُ مِنْ طول القَامَةِ أن يَطُولَ نِجَادُهُ، «رَفِيعُ الْعِمَادِ» يعني: خَيَمَتُهُ رَفِيعٌ عَمُودُهَا، هذا كِنَايَة عن أنه سَيِّدُ قَوْمِهِ، ولهذا بَنَى له خِيَمَةً رَفِيعَةً حتى يُعَرَفَ بها وَيُقَصِّدَهُ النَّاسُ، مع أنه يمكن إرادة المعنى الأصلي، وبهذا القَيِّد صار الفَرْقُ بينها وبين المَجَاز^(*)، المَجَاز لا يمكن أن يُرَادَ به المعنى الأصلي، أمَّا الكِنَايَة فيمكن أن يُرَادَ بها ذلك.

إذا تَمَيَّزَتِ الكِنَايَة عن المَجَاز بأنَّ الكِنَايَة يجوز أن يُرَادَ بها المعنى الأصلي، بخلاف المَجَاز.

(٢) «طويلُ النَّجَادِ» قلنا: إنَّ هذا يُرَادُ به طولُ القَامَةِ، مع جواز أن يُرَادَ به الحقيقة: أن نِجَادَهُ الذي يتَحَلَّى به طويلٌ.

«رَفِيعُ الْعِمَادِ» كِنَايَة عن أنه سَيِّدُ قَوْمِهِ، ولهذا رَفَعَ عِمَادَ خَيَمَتِهِ؛ لِيُعَرَفَ بذلك فيُقَصَّدَ، مع أنه يجوز أن يكون المتكلمُ أَرَادَ الحقيقة: أنه - حقيقةً - خَيَمَتُهُ رَفِيعَةً.

«كثيرُ الرَّمَادِ» يُرَادُ به الكَرَمُ؛ لأنَّ الكريمَ يَكْثُرُهُ القُصَادُ، والقُصَادُ يحتاجون إلى طعام =

(*) الكِنَايَة نوعٌ مِنَ المَجَازِ، والمَقَارَنَة بينهما - هنا - من حيث إرادة المعنى الأصلي فقط.

والثاني: كِنَايَةٌ يكون المَكْنِيُّ عنه فيها نِسْبَةً، نحو: «المَجْدُ بين ثَوْبَيْهِ، والكَرْمُ تحت رِدَائِهِ»، تريد نِسْبَةَ المَجْدِ والكَرْمِ إليه^(١).

والثالث: كِنَايَةٌ يكون المَكْنِيُّ عنه فيها غيرَ صِفَةٍ ولا نِسْبَةٍ^(*)، كقوله [الكامل]:

الضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَبْيَضٍ مُخْذِمٍ والطَّاعِنِينَ مَجَامِعَ الْأَضْغَانِ

= كثير، والطعام الكثير يحتاج إلى طبخ، والطبخ يحتاج إلى حطب، والحطب يكون رماداً، فإذا قيل: «فلانٌ كثيرُ الرَّمَادِ» فهو كِنَايَةٌ عن كَرَمِهِ؛ لأنَّه يدلُّ على كثرة الضَّيْفَانِ، وكثرة الطعام، وكثرة الإيقاد، فهذا كِنَايَةٌ عن الكَرَمِ، مع أنَّه يجوز أن يكون المراد حقيقة كثرة الرَّمَادِ؛ لأنَّ في ذلك الوقت ليس عندهم غاز، فإذا أَرَدْنَا أن نُحَوِّلَ «كثير الرَّمَادِ» إلى الغاز فماذا نقول؟: كثيرُ أنابيبِ الغاز، أو صَرَفِ الغاز...، على كل حالٍ عَبَّرَ بما شِئْتَ، المهم عَبَّرَ تعبيراً يكون دليلاً على كَرَمِهِ.

مع أنَّ كثرة الرَّمَادِ ربُّمَا يكون [في صناعة] الجِصِّ، هذا لا بُدَّ أن يُوقَدَ عليه؛ لأنَّه يُؤْخَذُ من الأرض ثم يُوقَدَ عليه حتى يكون صالحاً للاستعمال، وأصحاب المَجَاصِ كثيرُ الرَّمَادِ، فهل إذا قلنا: «فلانٌ كثيرُ الرَّمَادِ» من أصحاب المَجَاصِ؛ هل نقول: إنَّ هذا يدلُّ على كرمه؟ لا، لكن على كلِّ حالٍ السِّياقُ يُعَيِّنُ.

(١) معلوم أنَّ «المجد بين ثَوْبَيْهِ» ليس هو المعنى الذي - يُسَمَّى المَجْدَ - يكون بين الثَوْبَيْنِ، لكنَّ هذا الرَّجُلُ موصوفٌ بأنَّه ذو مَجْدٍ، و[هل] جِسْمُهُ بين ثَوْبَيْهِ أو لا؟ نَعَمْ، جِسْمُهُ بين ثَوْبَيْهِ، نقول: هذا كِنَايَةٌ عن قُوَّتِهِ وشجاعته، وكذلك «الكرم تحت رِدَائِهِ» كِنَايَةٌ عن كرمه، تُسَمَّى هذه الكِنَايَةُ نِسْبَةً، وهي - كما قال المؤلف - تختلف عن المجاز بأنَّه قد يُراد بها المعنى الحقيقي.

لكن لو قال قائلٌ: هل يمكن أن يكون المَجْدُ الحقيقي الذي هو المعنى بين جَنَبَيْهِ؟ نقول: ما دام المَجْدُ وَصْفاً لموصوفٍ والموصوفُ: «بين جَنَبَيْهِ»؛ صَحَّ أن يقال: إنَّ المَجْدَ نَفْسُهُ بين جَنَبَيْهِ؛ لأنَّ الصِّفَةَ معنَى في الموصوف.

(*) يكون المكني عنه فيها موصوفاً.

فإنَّه كَتَى بِمَجَامِعِ الْأَضْغَانِ عَنِ الْقُلُوبِ^(١).

وَالْكِنَايَة^(*):

- إِنْ كَثُرَتْ فِيهَا الْوَسَائِطُ سُمِّيَتْ تَلْوِيحًا، نَحْوُ: «هُوَ كَثِيرُ الرَّمَادِ» أَيْ: كَرِيمٌ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الرَّمَادِ تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الْإِحْرَاقِ، وَكَثْرَةُ الْإِحْرَاقِ تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الطَّنْبَخِ وَالْخُبْزِ، وَكَثَرْتَهُمَا تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الْآكِلِينَ، وَهِيَ تَسْتَلْزِمُ كَثْرَةَ الضُّيْفَانِ، وَكَثْرَةُ الضُّيْفَانِ تَسْتَلْزِمُ الْكَرَمَ^(٢).

- وَإِنْ قَلَّتْ وَخَفِيَتْ سُمِّيَتْ رَمْزًا، نَحْوُ: «هُوَ سَمِينٌ رِخْوٌ» أَيْ: غَبِيٌّ بَلِيدٌ^(٣).

(١) مَجَامِعُ الْأَضْغَانِ، مَجَامِعُ الْحُبِّ، مَجَامِعُ الْبَغْضَاءِ: هِيَ الْقُلُوبُ، هِيَ مَحَلُّ هَذَا، فَهَذَا يَمْدَحُهُ يَقُولُ: «الضَّارِبِينَ بِكُلِّ أَيْتَضٍ مُخْلِذٍ» يَعْنِي: السِّیُوفَ، «وَالطَّاعِنِينَ مَجَامِعِ الْأَضْغَانِ» يَعْنِي: الرِّمَاحَ يَطْعَنُونَ بِهَا مَجَامِعَ الْأَضْغَانِ، وَمَجَامِعُ الْأَضْغَانِ هِيَ الْقُلُوبُ؛ لِأَنَّ الضُّغْنَ وَالْحَقْدَ وَالْكَرَاهَةَ وَالْمَحَبَّةَ كُلُّهَا مَحَلُّهَا الْقَلْبُ.

(٢) إِذَا كَثُرَتْ الْوَسَائِطُ فِيهِ تَلْمِيحٌ^(**)، ضِدُّهَا: التَّصْرِيحُ، لَوْ قُلْتُ: «فُلَانٌ كَرِيمٌ» كَفَى عَنْ هَذَا كُلِّهِ، لَكِنَّ الْكِنَايَةَ تُعْتَبَرُ مِنْ بَابِ تَجْمِيلِ اللَّفْظِ وَتَسْوِيفِ النَّفْسِ لَهَا، فَإِنَّكَ تَجِدُ الْفَرْقَ بَيْنَ قَوْلِكَ: «فُلَانٌ كَثِيرُ الرَّمَادِ» وَ«فُلَانٌ كَرِيمٌ»، أَيْهُمَا أَشَدُّ فِي تَهْيِيجِ النَّفْسِ؟ الْأَوَّلُ بَلَا شَكٍّ.

(٣) فَإِذَا قِيلَ: «فُلَانٌ سَمِينٌ رِخْوٌ» هَذَا يَخْفَى أَنْ يُرَادَ بِهِ أَنَّهُ غَبِيٌّ بَلِيدٌ، خَفِيَ جَدًّا، وَلَكِنَّ الْقَرِينَةَ وَسِيَاقَ الْكَلَامِ يَدُلُّ عَلَى هَذَا.

حَسَنًا، «فُلَانٌ طَوِيلُ الرَّقَبَةِ»: كِنَايَةٌ عَنِ الْعَبَاوَةِ وَالْبَلَادَةِ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ الْبَلَاغِيِّينَ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِعَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَصُومَ عَدِيٌّ، وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، جَعَلَ عِقَالَيْنِ - وَالْعِقَالُ: هُوَ الْحَبْلُ الَّذِي تُشَدُّ بِهِ يَدُ النَّاقَةِ -، وَاحِدٌ أَسْوَدٌ وَوَاحِدٌ أَبْيَضٌ، وَجَعَلَ يَأْكُلُ حَتَّى بَانَ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ ارْتِفَاعٍ =

(*) هَذَا التَّقْسِيمُ بِاعْتِبَارِ الْوَسَائِطِ (أَيْ: الْوَسَائِطِ) وَالسِّيَاقِ.

(**) التَّلْوِيحُ وَالتَّلْمِيحُ - هُنَا - بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

- وإن قلت فيها الوسائط أو لم تكن ووضحت؛ سُميت إيماء وإشارة، نحو
[الكامل]:

أوما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحة ثم لم يتحول
كناية عن كونهم أمجاداً^(١).

وهناك نوع من الكناية يعتمد في فهمه على السياق، يُسمى تعريضاً: وهو
إمالة الكلام إلى عرض، أي: ناحية، كقولك لشخص يضرب الناس: «خير الناس
من ينفعهم»^(٢).

* * *

= النهار، يعني بعد ارتفاع الإسفار، ثم أخبر النبي ﷺ فقال له: «إن وسادك لعريض»^(*)،
عرض الوسادة يدل على طول الرقبة، قالوا [أي: البلاغيون]: «فالرسول عليه الصلاة
والسلام أراد أن يبين له أنه بليد؛ لأنه إذا طالبت الرقبة بعد الرأس عن القلب، فتطول
المسافة فيكون بليداً».

لكن أجزم جزمًا أن الرسول ﷺ لم يرده، ولهذا قال: «إن وسادك لعريض»: أن يوسع
الخيطة الأبيض والأسود، يعني: عرض الأفتق، إذا كان هذا الذي فهمه، أما أن الرسول
ﷺ يريد أن يعرض ببلادة الرجل فهذا مستحيل، لكن هكذا البلاغيون كل واحد يؤول
النصوص لما يريد، ولا يخاف أحد منكم إن كان طويل الرقبة، إن شاء الله تعالى كل
على ذكاء وفطنة.

(١) هذا البيت كناية نسبية، مثل: «المجد بين ثوبيه».

(٢) هذا التعريض لا يصريح، لكن يدل على هذا المعنى، ومنه قوله تعالى عن قوم مريم حين
جاءت تحمل عيسى عليه السلام؛ قالوا لها: ﴿يَتَّخِذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمراً سَوْوً وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ
بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]، يريدون أن يقولوا: «إنها بغية»، ولكن من أين جاءها البغاء؟! أبوها
ليس امرأ سوء، وأُمُّها ليست بغية!!، هذا التعريض يقول بعض العلماء: «إنه =

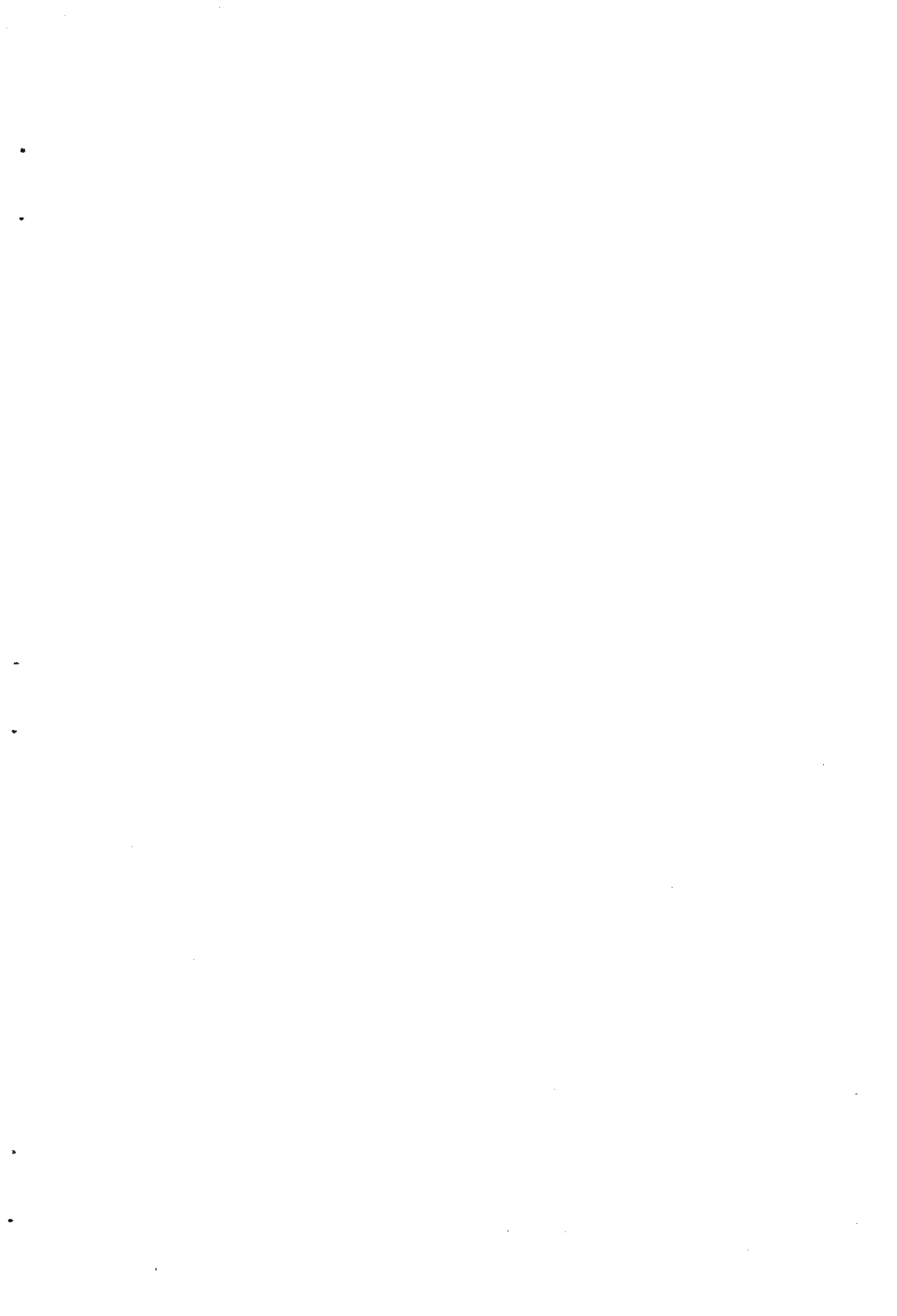
= أشدُّ وفَعاً من التصريح»، وجعلوا منه قوله تعالى عن ابْنِي آدَمَ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مَنِ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، يُعَرِّضُ بِأَنْ أَخَاهُ قَابِيلَ لَيْسَ مُتَّقِيًّا.

واختَلَفَ العلماءُ في مسألةٍ وهي: هل يُحَدُّ الإنسانُ حَدَّ القَذْفِ إذا عَرَّضَ؟، بأنْ تَخَاصَمَ مع شخصٍ وقال: «الحمد لله، أنا لستُ أَتَّبِعُ البَغَايَا»، يقول عن نفسه لَخُصْمِهِ: «الحمد لله، أنا لا أَتَّبِعُ البَغَايَا»، فهل يُحَدُّ هذا القائلُ حَدَّ القَذْفِ؛ لأنَّ قوله هذا يَعرِّضُ بِأَنْ صَاحِبَهُ يَتَّبِعُ البَغَايَا؟، فَمِنَ العلماءِ مَنْ قال: «لا يُحَدُّ؛ لأنَّه لم يُصرِّحْ»، ومنهم مَنْ قال: «بل يُحَدُّ؛ لأنَّ التعريضَ أحياناً يكون أشدَّ من التصريح».

حَسَنًا، وهذا أيضًا يُخاطِبُ شخصاً قد آذَى النَّاسَ وَضَرَّهم، فيقول له: «خيرُ النَّاسِ مَنْ يَنْفَعُهُمْ»، عندما تسمع هذا الكلامَ تقول: «هذا الكلامَ ليس فيه شيء»، لكن هو يُعَرِّضُ بِأَنْ صَاحِبَهُ لا يَنْفَعُ النَّاسَ.

انتهى - الحمد لله - عِلْمُ المعاني والبيان، بَقِيَ عِلْمُ البديع.

عِلْمُ الْبَدِيعِ



عِلْمُ الْبَدِيعِ

البَدِيعُ: عِلْمٌ يُعْرِفُ بِهِ وَجُوهَ تَحْسِينِ الْكَلَامِ الْمُطَابِقِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ^(١).

وهذه الوجوه:

- ما يَرْجِعُ مِنْهَا إِلَى تَحْسِينِ الْمَعْنَى يُسَمَّى بِالْمُحَسِّنَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ.

- وما يَرْجِعُ مِنْهَا إِلَى تَحْسِينِ اللَّفْظِ يُسَمَّى بِالْمُحَسِّنَاتِ اللَّفْظِيَّةِ.

* * *

(١) ولذلك سُمِّيَ بَدِيعاً؛ لأنَّ أصلَ الإبداع: الإحسانُ، إحسانُ الشيءِ إبداعٌ له، فسُمِّيَ البديعُ، «فَعِيلٌ» بمعنى «مفعول» يعني: مُبدِعٌ، فهو مُحَسِّنٌ، فعِلْمُ البديعِ هو تحسِينُ للألفاظِ.

بعد أن عَرَفْنَا عِلْمَ المعاني وعِلْمَ البيانِ وهو يتعلَّقُ بالمعاني والألفاظِ؛ نعود الآن إلى عِلْمِ البديعِ، وهو أن تُبدَعَ في التعبيرِ، ولذلك «عِلْمٌ يُعْرِفُ بِهِ وَجُوهَ تَحْسِينِ الْكَلَامِ الْمُطَابِقِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ»، ومعلومٌ أنَّ الكلامَ لا يكون بليغاً إلا إذا كان مُطَابِقاً لِمُقْتَضَى الْحَالِ.

مُحَسَّنَاتٌ مَغْنَوِيَّةٌ

مُحَسَّنَاتُ مَعْنَوِيَّةٌ (*)

١- التَّوْرِيَّةُ : أن يُذَكَّرَ لَفْظٌ لَهُ مَعْنَيَانِ : قَرِيبٌ يَتَبَادَرُ فَهْمُهُ مِنَ الْكَلَامِ ، وَبَعِيدٌ هُوَ الْمُرَادُ بِالْإِفَادَةِ لِقَرِينَةٍ خَفِيَّةٍ ، نَحْوُ : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ [الأنعام: ٦٠] ، أَرَادَ بِقَوْلِهِ ﴿جَرَحْتُمْ﴾ مَعْنَاهُ الْبَعِيدَ : وَهُوَ أَزْكَابُ الذُّنُوبِ .
وَقَوْلُهُ [الْمُجْتَثَّ] :

يَا سَيِّدًا حَارَ لُطْفًا لَهُ الْبَرَايَا عَبِيدُ
أَنْتَ الْحُسَيْنُ ، وَلَكِنْ جَفَاكَ فِينَا يَزِيدُ
معنى «يزيد» القريب أنه : عَلِمَ .

ومعناه البعيد المقصود أنه : فِعْلٌ مُضَارِعٌ مِنْ «زَادَ»^(١) .

(١) الآية الكريمة ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ قد يُنَازَعُ فِي كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ أَنَّ فِيهَا تَوْرِيَّةً ؛ لِأَنَّ الْجَرْحَ بِمَعْنَى الْكَسْبِ لُغَةٌ عَرَبِيَّةٌ ، وَلَيْسَ فِيهَا تَوْرِيَّةٌ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ﴾ [المائدة: ٤] ، يَعْنِي : الْكَوَاسِبُ .
أَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْبَيْتِ فَتَعْنَمُ ، «أَنْتَ الْحُسَيْنُ» : ابْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَلَكِنْ جَفَاكَ فِينَا يُزِيدُ هَذِهِ لَهَا مَعْنَيَانِ :

١- يَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ ، وَالْحُرُوبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحُسَيْنِ مَعْرُوفَةٌ .

٢- وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ فِعْلٌ مُضَارِعٌ مِنْ «زَادَ» .

إِذَا الْقَرِيبُ أَنَّهُ عَلِمَ ؛ لِأَنَّهُ مَنْ عَرَفَ مَا وَقَعَ بَيْنَ الْحُسَيْنِ وَبَيْنَ الْحُرُوبِ ؛ يَقُولُ : نَعَمْ ، الَّذِي جَفَا حُسَيْنًا هُوَ يَزِيدُ ، لَكِنَّ الشَّاعِرَ أَرَادَ الْفِعْلَ الْمَضَارِعَ ، أَيْ : أَنَّ جَفَاكَ يَزِيدُ فِينَا .

(*) لَمَّا كَانَتِ الْمُحَسَّنَاتُ اللَّفْظِيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ كَثِيرَةً وَمُتَنَوِّعَةً ؛ اِكْتَفَى الْمُؤَلِّفُونَ بِذِكْرِ أَشْهُرِهَا ، فَمَجِيءُ تَبْوِيهِمَ لَهَا عَلَى صَوْرَةِ التَّنْكِيرِ فِيهِ إِشَارَةٌ مِنْهُمْ إِلَى مَعْنَى التَّبْعِيضِ .

٢- الطَّبَاقُ (*) : هو الجَمْعُ بين مَعْنَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ، نحو قولِهِ تعالى : ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ ^(١) [الكهف: ١٨] ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٢) [الرُّوم: ٦-٧] .

٣- وَمِنَ الطَّبَاقِ الْمُقَابَلَةُ : وهي أن يُؤْتَى بِمَعْنَيْنِ أو أَكْثَرَ، ثم يُؤْتَى بِمَا يُقَابِلُ ذلك على الترتيب، نحو قولِهِ تعالى : ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ ^(٣) [التوبة: ٨٢] .

٤- مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ : هي جَمْعُ أَمْرٍ وما يُنَاسِبُهُ لا بِالتَّضَادِ، كقولِهِ [الكامل] :
وَالطَّلُّ فِي سِلْكِ الْفُصُونِ كُلُّوْلُو رَطْبٍ يُصَافِحُهُ النَّسِيمُ فَيَسْقُطُ

(١) يعني مثلاً من الجائز أن تكون العبارة : «وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَلَيْسُوا أَيْقَاظًا»، أليس كذلك؟، لكنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قال : ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ ؛ لأنَّ ذِكْرَ الشَّيْءِ وَمُقَابِلَهُ يُعْطِي الْكَلَامَ حُسْنًا .

(٢) الشاهد في قوله ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ، وأفادنا المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بِذِكْرِ المَثَالَيْنِ أَنَّ هُنَاكَ تَقَابُلًا بين المَعْنَيْنِ، سواءً كان بمدلول اللفظ، أو بالإثبات والنفي .

- مدلول اللفظ : ﴿أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ كُلهُ إيجابِي لكنَّ مُتَقَابِلٌ في المعنى .

- ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ هذا تَقَابُلٌ في النفي والإثبات .

(٣) هذه أبلغ ؛ لأنَّ هذا يُؤْتَى بِمَعْنَيْنِ فأكْثَرَ، والأول- الطَّبَاقُ الْمُخَصَّص- أن يُؤْتَى بِمَعْنَيْنِ فقط، هنا البكاء ضد الضحك، ﴿كَثِيرًا﴾ ضد ﴿قَلِيلًا﴾ .

حَسَنًا، قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿فَسَيَرْزُقُهُ رِزْقًا وَسِعًا﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ

بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ ﴿فَسَيَرْزُقُهُ رِزْقًا ضَيِّقًا﴾ [الليل: ٥-١٠] ؛ طَبَاقٌ أم مُقَابَلَةٌ؟ مُقَابَلَةٌ ؛ لأنَّ المعاني مَعْدَدَةٌ، أُوتِيَ بها ثم ذُكِرَ ما يُقَابِلُهَا .

(*) الطَّبَاقُ نوعان :

١- طَبَاقُ الإِيجَابِ : وهو ما اتفق فيه الضَّدَّانِ إيجاباً وسلباً .

٢- طَبَاقُ السَّلْبِ : وهو ما اختلف فيه الضَّدَّانِ إيجاباً وسلباً .

والطَّيْرُ يَقْرَأُ، والغديرُ صَحِيفَةٌ والريحُ تَكْتُبُ، والغمامُ يُنْقَطُ^(١)

٥- الاستِخدام: هو ذِكْرُ اللَّفْظِ بِمعْنَى وإِعَادَةُ ضميرٍ عليه بِمعْنَى آخَرَ، أو إِعَادَةُ ضميرَيْنِ تُريدُ بثنائيهما غيرَ ما أَرَدْتَهُ بأوليهما.

فَالأَوَّلُ: نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، أَرَادَ بِالشَّهْرِ الْهَلَالَ، وَبِضَمِيرِهِ الزَّمَانَ الْمَعْلُومَ^(٢).

والثاني: كقوله [الكامل]:

فَسَقَى الْغَضَى وَالسَّاكِنِيهِ، وَإِنْ هُمُو شَبُوهُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَضُلُوعِي

الغَضَى: شَجَرٌ بِالْبَادِيَةِ، وَضَمِيرُ «سَاكِنِيهِ» يَعُودُ إِلَيْهِ بِمعْنَى مَكَانِهِ، وَضَمِيرُ «شَبُوهُ» يَعُودُ إِلَيْهِ بِمعْنَى نَارِهِ^(٣).

(١) الطير يقرأ، الغدير صحيفة، الريح يكتب ضد يقرأ، الغمام ينقط، تظنون أنه ينقط النقاط؟ المراد ينقط المكتوب^(*).

(٢) هل الشهر باعتباره زماناً يشاهد؟ لا يشاهد؛ [لأنه] زَمَنٌ!، المراد بالشهر: الهلال، ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ أي: لِيَصُمْ الهلالُ أو لِيَصُمْ الزَّمَنُ؟ لِيَصُمْ الزَّمَنُ، فهنا عاد الضمير على غير المرجع بحسب الظاهر.

(٣) الغَضَى: شجر يُقَطَّعُ وَيَتَبَسُّ فيكون من أحسن ما يكون وقوداً، والشعراء يضربون به الأمثال.

وهنا يقول: «فَسَقَى الْغَضَى وَالسَّاكِنِيهِ»، الساكن [أهو] الغَضَى؟ الجواب: لا؛ لأنَّ الْغَضَى شَجَرٌ، لا يُسْكَنُ، إِنَّمَا الَّذِي يُسْكَنُ هُوَ مَحَلُّهُ أو مَكَانُهُ.

«وَإِنْ هُمُو شَبُوهُ» الضمير في «شَبُوهُ» يعود إلى الْغَضَى، ولكن باعتبار آخر، أي: شَبُوهُ نَارُهُ، يقال: شَبَّ النَّارُ، أي: أَوْقَدَهَا، هذا يُسَمُّونَهُ «الاستخدام»؛ لَأَنَّكَ =

(*) وهذا ما يُسَمَّى بـ «إيهام التناسب».

٦- الْجَمْعُ: هو أن يُجْمَعَ بين مُتَعَدِّ في حُكْمٍ واحدٍ، كقوله [الرَّجَزُ]:

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاعَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيِّ مَفْسَدَةٍ^(١)

٧- التَّفْرِيقُ: هو أن يُفَرَّقَ بين شَيْئَيْنِ مِنْ نَوْعٍ واحدٍ، كقوله [الخفيف]:

مَا نَوَالُ الْغَمَامِ وَقْتَ رَبِيعٍ كَنَوَالِ الْأَمِيرِ يَوْمَ سَخَاءِ

فَنَوَالِ الْأَمِيرِ بَذْرَةَ عَيْنٍ وَنَوَالُ الْغَمَامِ قَطْرَةَ مَاءٍ^(٢)

= استخدمت الضمير في غير ما يرجع إليه عادةً، فكأنك جعلته خادماً تستخدمه.

حَسَنًا، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (١٧) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً ﴿[المؤمنون: ١٢-١٣]، مَنْ الإنسان هنا؟ آدم، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً﴾ يعود على الإنسان، لكن ليس على الإنسان الذي هو الأول، [إنما القصد] أي: بَنِيهِ، فهذا أيضاً فيه استخدام، والضابط ما ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللهُ.

(١) نَعَمْ، إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفِرَاعَ وَالْجِدَّةَ- ثلاثة أشياء- كُلُّهَا دَاءٌ، إِلَّا إِذَا وَفَّقَ الْإِنْسَانَ وَاسْتَعْمَلَهَا فِي نَافِعٍ.

- الفِرَاعُ: عدم العمل، والإنسان إذا لم يكن له عَمَلٌ ذَهَبَ ذِهْنُهُ كُلُّ مَذْهَبٍ، وَصَارَ يُخْبِطُ خَبِطَ عَشَوَاءَ.

- الْجِدَّةُ: الْعِنَى؛ لِأَنَّ الْفَقْرَ يُلْجِئُ الْإِنْسَانَ إِلَى الْعَمَلِ، لَكِنْ إِذَا كَانَ غَنِيًّا، وَكَانَ شَابًّا، وَكَانَ فَارِغًا؛ هَذَا الْفَسَادُ، وَلِهَذَا نَجِدُ أَنَّ أَكْثَرَ الْمُكْذِبِينَ لِلرُّسُلِ هُمُ الْأَغْنِيَاءُ وَالْكِبَرَاءُ. وَالْعَرَضُ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ: تَحْذِيرُ الشَّابِّ الَّذِي أَغْنَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَفْرَعَهُ عَمَّا يُلْهِمُهُ أَنْ يُضَيِّعَ هَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّلَاثَ فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ.

(٢) هَذَا مِنَ الْمِبَالِغَاتِ الْكَادِيَةِ، يَعْنِي عَطَاءُ الْأَمِيرِ عِنْدَهُ أَفْضَلُ مِنَ الْمَطَرِ النَّازِلِ مِنَ السَّمَاءِ الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ رِزْقًا يَنْتَفِعُ بِهِ الْآدِمِيُّ وَالْبَهَائِمُ وَالْأَرْضُ، لَكِنْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ يُقَالُ: «أَعْذَبُ الشَّعْرِ أَكْذَبُهُ» (*).

(*) قَاتِلُهَا: الْمَلِكُ حُجْرُ بْنُ عَمْرِو الْكِنْدِيُّ لِابْنِهِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ، وَالرَّوَايَةُ كَمَا فِي «رَبِيعِ الْأَبْرَارِ وَنُصُوصِ الْأَخْبَارِ: ٧٥/٤»: «يَا بُنَيَّ! إِنَّ أَحْسَنَ الشَّعْرِ أَكْذَبُهُ، وَلَا يَحْسُنُ الْكَذِبُ بِالْمُلُوكِ».

٨- التّقسيم : هو :

أ- إمّا استيفاء أقسام الشيء ، نحو قوله [الطويل] :

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمٌ^(١)

ب- وإمّا ذِكْرُ مُتَعَدِّ وإرجاع ما لكلّ إليه على التعيين ، كقوله [البسيط] :

وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضَمِيمٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ : عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ

هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْتِي لَهُ أَحَدٌ^(٢)

ج - وإمّا ذِكْرُ أحوال الشيء مضافاً إلى كلّ منها ما يليق به ، كقوله [الطويل] :

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَا وَمَشَايِخِ كَأَنَّهُمْ مِنْ طُولِ مَا أَلْتَمُوا مُرْدُ

ثِقَالٍ إِذَا لَاقُوا ، خِفَافٌ إِذَا دُعُوا كَثِيرٌ إِذَا شَدُّوا ، قَلِيلٌ إِذَا عُدُّوا^(٣)

(١) قَسَمَ الأشياءَ إلى ثلاثة أقسام : يوم حاضر ، وأمس ماضٍ ، وغَدٍ لا تدري هل تدركه أو لا .

(٢) يقول : «وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضَمِيمٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ» وَيَبْتَهِمَا بقوله : «عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ» ، الْعَيْرُ : الْحِمَارُ ، وَالْوَتْدُ : الِوتد بالأرض .

- الِوتد بالأرض يُرَبِّطُ بِهِ الْحَصَانُ ، وَيُرَبِّطُ بِهِ الْحِمَارُ ، وَيُرَبِّطُ بِهِ الْإِنْسَانُ . . . ، وَهُوَ لَا يَتَأَوُّهُ وَلَا يَتَوَجَّعُ وَلَا يَحْتَجُّ ، ذَلِكَ .

- الْحِمَارُ كُلُّ يَرْكَبِهِ ، وَهُوَ أَيْضاً «مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ» ، أَي : بِحَبْلِهِ .

«وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرْتِي لَهُ أَحَدٌ» ، الِوتد يَأْتِيهِ الصَّبِيُّ بِالْحَصَاةِ وَيَضْرِبُهُ ، يَتَكَسَّرُ وَلَا أَحَدٌ يَرْتِي لَهُ ، وَذَاكَ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وَلَا أَحَدٌ يَرْتِي لَهُ .

المهم أن هذا فيه تقسيم ، ثم أعاد مع التقسيم على كلّ واحدٍ بوضفه اللَّائِقُ بِهِ ، وَلِهَذَا قَالَ : «وَأَمَّا ذِكْرُ مُتَعَدِّ وإرجاع ما لكلّ إليه على التعيين» ؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ «هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ» لَا يُمْكِنُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْوَتْدُ أَبَدًا .

(٣) «سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَا» يَعْنِي : الرِّمَاح .

٩- تأكيد المدح بما يشبه الذم، ضربان:

أحدهما: أن يُسْتَشْتَى مِنْ صِفَةٍ ذَمِّ مَنَافِيَةٍ صِفَةٌ مَدَحٍ عَلَى تَقْدِيرِ دُخُولِهَا فِيهَا، كَقَوْلِهِ [الطويل]:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ^(١)

= «ومشايع كأنهم من طول ما التأموا مُزْدٌ» يعني: ما لَبَسُوا لَامَةً الحرب، مُزْدٌ لَأَنَّ شَعْرَ اللَّحْيَةِ حَتَّ وَزَالَ، ويجوز أن يكون «مَا التَّمُوا» من اللثام: وهو تغطية بعض الوجه: الأنف والضم، لكن الأول أبلغ.

«يُقَالُ إِذَا لَاقُوا»: لا يتزحزون ولا يَقْرُون إِذَا لَاقُوا الْعَدُوَّ.

«خِيفًا إِذَا دُعُوا»: إِذَا اسْتَنْفَرُوا لَا يَكُونُونَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨]، بل هم خِفَافٌ إِذَا دُعُوا. «كثيْرٌ إِذَا شَدُّوا، قَلِيلٌ إِذَا عُذُّوا»: إِذَا شَدُّوا الْحَرْبَ فَهَمَّ كَثِيرٌ لَشَجَاعَتِهِمْ، فَالوَاحِدُ مِنْهُمْ يَقْتُلُ عَشْرَةً أَوْ عَشْرِينَ أَوْ مِئَةً، وَلَكِنْهُمْ قَلِيلُونَ إِذَا عَدَدْتَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ شُجْعَانٌ، وَشَجَاعَتُهُمْ تَكْفِي عَنْ كَثْرَةِ الْعَدَدِ.

فَأَنْتَ تَقْرَأُ الْآنَ هَذِهِ الْأَوْصَافَ، وَكُلُّ وَاحِدٍ عَادَ لَهُ مَا يُنَاسِبُهُ.

(١) إِذَا قَالَ: «وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ» مَاذَا تَتَوَقَّعُ؟ ذَمٌّ أَوْ مَدْحٌ؟ ذَمٌّ، لَكِنْ قَالَ: «غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ»، جَاءَتْ صِفَةٌ مَدَحٍ، وَ«الْفُلُولُ» يَعْنِي: الْمَتَكْسِرَةُ، «مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ»: كِتَابِ الرُّؤُوسِ الَّتِي تُوضَعُ عَلَى الرَّأْسِ.

هَلْ هَذَا عَيْبٌ؟ لَا، بَلْ هَذَا مِنْ بَابِ تَأْكِيدِ الْمَدْحِ بِمَا يُشَبِّهُ الذَّمَّ، لَوْ قَالَ هَذَا النَّاطِمُ: «إِنَّ هَؤُلَاءِ فِي سَيُوفِهِمْ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ» هَذَا مَدْحٌ، لَا شَكَّ، لَكِنَّ قَوْلَهُ «وَلَا عَيْبَ فِيهِ إِلَّا كَذَا» أَبْلَغُ^(*).

(*) ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا ذَكَرَ لَهُ أَنَّ ابْنَ جَبَلٍ مَعَ الزَّكَاةِ فَقَالَ ﷺ: «مَا يَنْقِمُ ابْنُ جَبَلٍ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا فَأَغْنَاهُ اللَّهُ»، ثُمَّ قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللهُ: «هَذَا تَأْكِيدُ الذَّمِّ بِمَا يُشَبِّهُ الْمَدْحَ؛ لِأَنَّ هَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ مَا دَامَ أَغْنَاهُ اللَّهُ أَنْ يُؤَدِّيَ زَكَاتَهُ وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْهَا» اهـ.

قلت: الحديث رواه البخاري (٤٩/٢٤)، ومسلم (١٢/رقم: ١١).

ثانيهما: أن يُثَبَّتَ لشيءٍ صِفَةٌ مَدَحٍ، وَيُؤْتَى بعدها بأداة استثناءٍ تليها صِفَةٌ مَدَحٍ أُخْرَى، كقوله [الطويل]:

فَتَى كَمَلْتُ أَوْصَافُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي عَلَى الْمَالِ بَاقِيًا^(١)

١٠- حُسْنُ التعليل: هو أن يُدْعَى لَوْصِفِ عِلَّةٌ غَيْرُ حَقِيقَةٍ فِيهَا غَرَابَةٌ، كقوله [البسيط]:

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الْجَوَازِ خِدْمَتُهُ لَمَّا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقٍ^(٢)

١١- اِثْتِلَافُ اللَّفْظِ مع المعنى: هو أن تكونَ الألفاظُ مُوَافِقَةً للمعاني،

(١) هذا قريب من الأول من حيث المعنى، يُثَبَّتُ أَوَّلُ شيءٍ صِفَةٌ مَدَحٍ، ويأتي بعدها بأداة استثناءٍ تليها صِفَةٌ مَدَحٍ أُخْرَى، مثاله: «فتى كَمَلْتُ أَوْصَافُهُ غَيْرَ أَنَّهُ» تتوقعون صِفَةً ذَمًّا، لكنه أتى بصفة مدح: «جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي عَلَى الْمَالِ بَاقِيًا».

وتقول مثلاً: «فتى كثيرُ العطاءِ غَيْرَ أَنَّهُ شجاعٌ» هذا تأكيد المدح بما يُشبهه الذم؛ لأنَّه يتوقع المخاطبُ إذا قلت: «فلانٌ كثيرُ العطاءِ غَيْرَ أَنَّهُ» يتوقع «فيه - مثلاً- حُمَقٌ»، «فيه كذا وكذا»، يتوقع صِفَةً ذَمًّا، لكن تأتي صِفَةً مَدَحٍ فيكون هذا من باب تأكيد المدح بما يُشبهه الذمُّ (*).

(٢) الجَوَازُ: نجومٌ معروفةٌ، هذا يقول: «لولا أَنَّ الجَوَازَ تريد أن تَخْدِمَهُ ما رَأَيْتَ عَلَيْهَا هذا العِقْدَ: عِقْدَ ذَاتِ النَّطَاقِ»، هل هذا صحيح أو لا؟ غير صحيح، لا شك، الجَوَازُ خَلَقَهَا اللَّهُ عَلَى هذه الصفة، لكنه ادَّعَى أَنَّها صارت على هذا الوجه من أجل خدمة ممدوحه، هذا يُسَمُّونه حُسْنُ التعليل، والحقيقة أَنَّهُ كَذِبُ التعليل، مَنْ قال هذا؟! لكن كما قلتُ لكم: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاوَنُ﴾ [الشعراء: ٢٢٤].

(*) ومن المحسنات المعنوية: «تأكيدُ الذَّمِّ بما يُشبهُ المدحَ»، وهو نوعان:

أحدهما: أن يُسْتَتَى من صِفَةٍ مَدَحٍ منفية صِفَةً ذَمًّا على تقدير دخولها فيها، نحو: لا خير فيه إلا أَنَّهُ بخيل. ثانيهما: أن يُثَبَّتَ لشيءٍ صِفَةٌ ذَمًّا وَيُؤْتَى بعدها بأداة استثناءٍ تليها صِفَةٌ ذَمًّا أُخْرَى، نحو: القائد خَائِفٌ إِلَّا أَنَّهُ ضعيف.

فَتُخْتَارُ الْأَفَافُ الْجَزَلَةُ، وَالْعِبَارَاتُ الشَّدِيدَةُ؛ لِلْفَخْرِ وَالْحِمَاسَةِ، وَالْكَلِمَاتُ الرَّقِيقَةُ، وَالْعِبَارَاتُ اللَّيْنَةُ؛ لِلغَزْلِ وَنَحْوِهِ^(١)، كَقَوْلِهِ [الطويل]:

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِّيَةً هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمًا

إِذَا مَا أَعْرَزْنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا^(٢)

وَقَوْلِهِ [الرَّمَل]:

لَمْ يَطْلُنْ لَيْلِي وَلَكِنْ لَمْ أَنْمِ وَنَفَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفٌ أَلَمٌ^(٣)

(١) هذا من المحسنات: أن يكون اللفظ مطابقاً للمعنى، فحينما تتكلم عن الحماسة، وعن الشجاعة؛ [فهل] تأتي بوصف النساء؟ لا، تأتي بوصف الحماسة والحرب والإقدام والكرّ والفِرّ، وعندما تريد أن تتحدث حديث المُتَغَزِّل تأتي بالألفاظ المناسبة، هذا أيضاً لا شك أنه من البديع ومن المحسنات.

(٢) هذا أيضاً حماس، يقول: «إِنْ غَضِبْنَا قُوَّةً، إِذَا غَضِبْنَا الغَضْبَةَ الْمُضَرِّيَّةَ - وهم من أشرف قبائل العرب - هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمًا»، وهذا جداً عظيم، وكذلك أيضاً: إِذَا مَا أَعْرَزْنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا أي: دعا لنا، يعني: حتى الخطباء إِذَا أَعْرَزْنَاهُمْ ذُرَى الْمَنْبَرِ فَإِنَّهُمْ يَصْدَعُونَ لَنَا، يُصَلُّونَ وَيُسَلِّمُونَ.

(٣) هذا الرجل قام يُفَكِّر في محبوبته، والليل لم يَطْلُنْ عليه، لماذا؟ لأنَّ الإنسانَ إِذَا فَكَّرَ فيما يُحِبُّ مَضَى عليه الليل بسرعة حتى لو لم يَتِمَّ كُلَّ الليل، فهو يقول: «لَيْلِي لَمْ يَطْلُنْ، وَلَكِنِّي مَا نِمْتُ»، ولماذا لم يَتِمَّ؟ نَفَى عَنْهُ الْكَرَى - أي: النوم - طَيْفٌ أَلَمٌ. إِذَا قَارَنْتَ هَذَا الْبَيْتَ بِالْبَيْتَيْنِ قَبْلَهُ عَرَفْتَ الْفَرْقَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا، ويقول الشاعر [الخفيف]:

أَنَا كَالْمَاءِ إِنْ رَضِيتُ صَفَاءً وَإِذَا مَا غَضِبْتُ كُنْتُ لَهِيًّا

الشرط الأول إِذَا قَرَأْتَهُ تَطْمِئِنُّ نَفْسُكَ وَتَرْتَاح، ماءً صافٍ، إِذَا جَاءَ الثَّانِي أَعُوذُ بِاللَّهِ: «إِذَا مَا غَضِبْتُ كُنْتُ لَهِيًّا»: أَخْرِقْ، فَتَجِدُ الْفَرْقَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ هَذَا يَمْدَحُ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ فِي حَالِ الرِّضَا يَكُونُ كَالْمَاءِ الصَّافِي، وَفِي حَالِ الْغَضَبِ يَكُونُ كَالنَّارِ.

١٢- أَسْلُوبُ الْحَكِيمِ: وهو تَلْقَى الْمُخَاطَبَ بِغَيْرِ مَا يَتَرَقَّبُهُ، أو السائلِ بِغَيْرِ مَا يَطْلُبُهُ؛ تَنْبِيهاً عَلَى أَنَّهُ الْأَوَّلَى بِالْقَضْدِ^(١).

- فالأول: يَكُونُ بِحَمَلِ الْكَلَامِ عَلَى خِلَافِ مُرَادِ قَائِلِهِ، كَقَوْلِ الْقَبْعَثَرِيِّ لِلْحَجَّاجِ- وَقَدْ تَوَعَّدَهُ بِقَوْلِهِ: «لَأَحْمِلَنَّكَ عَلَى الْأَذْهِمِ»-: «مِثْلُ الْأَمِيرِ يَخْمِلُ عَلَى الْأَذْهِمِ وَالْأَشْهَبِ».

فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: «أَرَذْتُ الْحَدِيدَ».

فَقَالَ الْقَبْعَثَرِيُّ: «لَأَنْ يَكُونَ حَدِيداً خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ بَلِيداً».

أَرَادَ الْحَجَّاجُ بِالْأَذْهِمِ: الْقَيْدَ، وَبِالْحَدِيدِ: الْمَعْدِنَ الْمَخْصُوصَ، وَحَمَلَهُمَا الْقَبْعَثَرِيُّ عَلَى الْفَرَسِ الْأَذْهِمِ الَّذِي لَيْسَ بَلِيداً^(٢).

(١) يَعْنِي الْإِنْسَانُ يَتَكَلَّمُ وَيُحْمَلُ كَلَامُهُ عَلَى مَعْنَى لَا يُرِيدُهُ، أَوْ يُجَابِ السَّائِلُ بِغَيْرِ مَا يَطْلُبُهُ؛ تَنْبِيهاً لَهُ عَلَى أَنَّ الْأَوَّلَى أَنْ يَسْأَلَ عَنْ هَذَا، وَلَهُ أَمْثَلَةٌ.

(٢) هَذَا عُذُولٌ بِالْفِظِّ عَنْ مَعْنَاهِ الْمُرَادِ، لَكِنْ مِثْلُ هَذَا يُعْجِبُ الْحَجَّاجَ وَأَمْثَالَهُ، وَرُبَّمَا يَصْفَحُ عَنْهُ، يَقُولُ لَهُ: «لَأَحْمِلَنَّكَ عَلَى الْأَذْهِمِ»، الْقَبْعَثَرِيُّ يَعْرِفُ مَا هُوَ الْأَذْهِمُ، يَعْرِفُ أَنَّهُ حَدِيدٌ، وَيَعْرِفُ أَنَّ الْحَجَّاجَ- وَهُوَ يَتَوَعَّدُهُ- لَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْمِلَهُ عَلَى الْخَيْلِ، قَالَ: «لَأَنْ يَكُونَ حَدِيداً خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَكُونَ بَلِيداً»، الْحَدِيدُ تَكُونُ عَنْده قُوَّةٌ فِي الْجَزْيِ وَالْكَرِّ وَالْفَرِّ، وَالبَلِيدُ بِالْعَكْسِ، لَكِنْ أَرَادَ الْحَجَّاجُ بِالْأَذْهِمِ الْقَيْدَ، وَبِالْحَدِيدِ الْمَعْدِنَ الْمَخْصُوصَ، وَحَمَلَهُمَا الْقَبْعَثَرِيُّ عَلَى الْفَرَسِ الْأَذْهِمِ الَّذِي لَيْسَ بَلِيداً.

إِذَا أَسْلُوبُ الْحَكِيمِ هُنَا فِي مَاذَا؟ حَيْثُ نَقَلَ مُرَادَ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى مُرَادِهِ هُوَ، فَالتَّصَرُّفُ مِنَ الْمُخَاطَبِ، وَهَذِهِ تَقَعُ كَثِيراً حَتَّى فِي الْكَلَامِ الدَّارِجِ عِنْدَ النَّاسِ، تَجِدُهُ يَحْمِلُ كَلَامَهُ عَلَى غَيْرِ مَا أَرَادَ؛ إِمَّا مِنْ بَابِ الْمُتَلَاظِفَةِ أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْبَابِ.

- والثاني: يكون بتنزيل السؤال منزلة سؤال آخر مُناسِبٍ لحالة المسألة (*)، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوْقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَيَّجُ﴾ [البقرة: ١٨٩]، سأل بعض الصحابة النبي ﷺ: «ما بال الهلال يبدو دقيقاً، ثم يتزايد حتى يصير بدرًا، ثم يتناقص حتى يعود كما بدا؟» (**)، فجاء الجواب عن الحكمة المترتبة على ذلك؛ لأنها أهم للسائل، فنزل سؤالهم عن سبب الاختلاف منزلة السؤال عن حكمته (١).

* * *

(١) معناه: أن يُصرف السائل عما سأل ويُجاب بغير ما سأل؛ تنبيهاً له على أنه ينبغي أن يسأل عن هذا.

القصة التي ذكر المؤلف غير صحيحة، الصحابة سألوا الرسول ﷺ عن الأهلة عن الحكمة فيها، لا عن مسألة فلكية، فقال الله عز وجل: ﴿هِيَ مَوْقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَيَّجُ﴾. لكن هنا آية أخرى يُمثل بها وهي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدَيْنِ﴾ [البقرة: ٢١٥]، ولم يقل: «أنفقوا كذا أو كذا أو كذا»، بين وجه ما يُنفق عليه إشارة إلى أن الأهم محل الإنفاق لا قدر الإنفاق وأن يكون في هؤلاء: ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدَيْنِ﴾.

(*) أي: بترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله.

(**) انظر: تفسير الطبري (٢/ ١٩١)، ومسند ابن أبي حاتم (١٧٠٧).

مُحَسَّنَاتُ لَفْظِيَّةٍ

مُحَسَّنَات لَفْظِيَّة^(١)

٤٣- الجِنَاس: هو تَشَابُه اللَّفْظَيْنِ فِي النُّطْقِ لَا فِي الْمَعْنَى، وَيَكُونُ تَامًا وَغَيْرَ تَامٍ.

- فالتَّامُ: مَا اتَّفَقَتْ حُرُوفُهُ فِي الْهَيْئَةِ وَالنَّوْعِ وَالْعَدَدِ وَالتَّرْتِيبِ^(٢)، نَحْوُ [البسيط]:

لَمْ نَلْقَ غَيْرَكَ إِنْسَانًا يَلَاذُ بِهِ فَلَا بَرَحَتْ لِعَيْنِ الدَّهْرِ إِنْسَانًا^(٣)
ونحو [السريع]:

فَدَارِهِمْ مَا دُمْتَ فِي دَارِهِمْ وَأَرْضِهِمْ مَا دُمْتَ فِي أَرْضِهِمْ^(٤)

(١) لَمَّا انْتَهَى الْمُؤَلِّفُ مِنَ الْمُحَسَّنَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ ذَكَرَ الْمُحَسَّنَاتِ اللَّفْظِيَّةَ الَّتِي تَعُودُ إِلَى اللَّفْظِ فَقَطْ.

(٢) أربعة أشياء:

١- الهَيْئَةُ: يَعْنِي الْحَرَكَاتُ: فَتْحَةٌ، ضَمَّةٌ، كَسْرَةٌ، سَكُونٌ.

٢- النَّوْعُ: بَاءٌ، تَاءٌ، جِيمٌ، وَهَكَذَا...

٣- الْعَدَدُ: أَرْبَعَةٌ وَأَرْبَعَةٌ مِثْلًا.

٤- التَّرْتِيبُ.

هَذَا يُسَمَّى جِنَاسًا تَامًا.

(٣) الشَّاهِدُ قَوْلُهُ: «إِنْسَانًا يَلَاذُ بِهِ»، الْمُرَادُ بِهِ: «الْبَشَرُ»، «لِعَيْنِ الدَّهْرِ إِنْسَانًا» الْمُرَادُ بِهِ: إِنْسَانُ الْعَيْنِ؛ لِأَنَّ إِنْسَانَ الْعَيْنِ هُوَ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الْبَصَرُ.

(٤) «دَارٌ» وَ«دَارٌ» مُتَّفَقَةٌ فِي الْهَيْئَةِ وَالنَّوْعِ وَالْعَدَدِ وَالتَّرْتِيبِ، وَالْمَعْنَى مُخْتَلِفٌ، «دَارٌ» الْأُولَى: فَعْلٌ أَمْرٌ، وَ«دَارٌ» الثَّانِيَّةُ: اسْمٌ.

- وغيرُ تامٍّ، نحو [الطويل]:

يَمْدُونُ مِنْ أَيْدِ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبٍ^(١)

١٤- السَّجْعُ: هو تَوَافُقُ الْفَاصِلَتَيْنِ نَثْرًا^(٢) فِي الْحَرْفِ الْآخِرِ.

- نحو: «الإنسانُ بآدابه، لا بِزِيهِ وَثِيابه».

- ونحو: «يَطْبَعُ الْأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهِ، وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهِ»^(٣).

= «أَرْضِيهِمْ» و«أَرْضِيهِمْ» مُتَّفَقَةٌ فِي الْحُرُوفِ عِدَدًا وَتَرْتِيبًا وَهَيْئَةً وَنوعًا، مُخْتَلِفَةٌ فِي الْمَعْنَى، «أَرْضِيهِمْ» الْأُولَى: فَعْلٌ أَمْرٌ مِنْ «رَضِيَ»، و«فِي أَرْضِهِمْ»: اسْمٌ.

(١) الشاهد قوله: «عواص عواصم»، هذا جناس غير تام؛ لأنَّ الثَّانِيَةَ أَزِيدُ مِنَ الْأُولَى بِحَرْفٍ، و«قواض قواضب»؛ الثَّانِيَةُ زَائِدَةٌ عَنِ الْأُولَى بِحَرْفٍ. حَسَنًا، قول الشاعر^(*) [الطويل]:

وَسَمِيئَتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا فَلَمْ يَكُنْ إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللَّهِ فِيهِ سَبِيلٌ
«يحيى ليحيا»: تام.

(٢) قوله «نثرًا» احترازًا مِنَ الشَّعْرِ، مع أَنَّ الشَّعْرَ يَكُونُ فِيهِ أَيْضًا السَّجْعُ^(**)، لَكِنَّ الْغَالِبَ أَنَّ السَّجْعَ يَكُونُ فِي النَّثْرِ.

(٣) السَّجْعُ كَثِيرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَفِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، وَفِي كَلَامِ الْعُلَمَاءِ، وَمِنْ أَفْذَرِ مَنْ قَرَأَتْ كِتَابَهُ عَلَى السَّجْعِ ابْنُ الْجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «التَّبَصُّرَةِ»، يَأْتِي بِسَّجْعٍ عَجِيبٍ يَأْخُذُ بِاللُّبِّ، وَتَشْعُرُ أَنَّ الرَّجُلَ لَا يَتَكَلَّفُ، وَيُوجَدُ الْآنَ مَعْنَا مَنْ يَكُونُ كَلَامُهُ كُلُّهُ سَجْعًا، وَيَتَكَلَّمُ عَادٍ، يَسْهُلُ عَلَيْهِ السَّجْعُ، فَهَلِ السَّجْعُ مَحْمُودٌ أَوْ مَذْمُومٌ؟ =

(*) هو محمد بن عبد الله بن كُنَاسَةَ الْأَسَدِيِّ الْكُوفِيِّ، قَالَ فِي رِثَاءِ ابْنِهِ يَحْيَى.

(**) كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ [الطويل]:

تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي، وَأَثَرَتْ بِهِ يَدِي وَفَاضَ بِهِ ثَمْنِي، وَأَوْرَى بِهِ رُثْدِي

١٥- الاقتباس : هو أن يُضَمَّنَ الكلامُ شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه

نقول :

- إذا كان غير متكلف وجاء به الطبيعة هكذا فإنه محمود؛ لأنه يَنَمُقُ الكلامَ وَيُحَسِّنُهُ وَيُطَرِّبُ الأَسْمَاعَ.

- وأما إذا كان متكلفاً فإنه لا شك أنه مذموم، ولهذا تَجِدُ السَّجْعَ المتكلفَ يَخْضَلُ فيه غموضٌ في المعنى؛ لأنَّ المتكلمَ يُحاول أن يأتي بالكلمات المتناسبة ولكن مع مَشَقَّةٍ.

- أما إذا أُريدَ به الباطل فهذا واضح أنه - سواء كان سَجْعاً أو غير سَجْع - أنه مذموم بلا شك.

فقول الرسول ﷺ: «قضاء الله أحقُّ، وشرطُ الله أوثقُ، وإنَّا للولاءِ لَمَن أَعْتَقُ» (*)؛ هذا سَجْعٌ بلا شك، لكنه محمود؛ لأنه غير متكلف وجاء به السليقة هكذا، فلا يكون مذموماً.

وكذلك يُوجد في بعض الخطب - خطب العلماء رحمهم الله - التي قبل بدء الكلام يكون فيها سَجْعٌ كثيرٌ.

أما إذا قُصِدَ به الباطل فلا شك أنه مذموم، مثل قول حَمَل بن النابغة للرسول ﷺ حين قُضِيَ في قصة المراتين المُقتَلَتَيْنِ بديّةً وغرّةً، قال: «يا رسولَ الله! كيف أغرَمَ مِن لا شَرِبَ ولا أَكَلَ، ولا نَطَقَ ولا اسْتَهَلَ؟»، فَمِثْلُ ذلك يُطلُّ يعني: «كيف أغرَمَ الجَنِينَ الذي مات وهو لا شَرِبَ ولا أَكَلَ، ولا نَطَقَ ولا اسْتَهَلَ؟»، فَمِثْلُ ذلك يُطلُّ يعني: يُهْدَرُ، هذا سَجْعٌ، ولهذا قال: «لا شَرِبَ ولا أَكَلَ» ولم يقل: «مَن لا أَكَلَ ولا شَرِبَ»، مع أن العادة أن الأكلَ يُقدَّم على الشربِ، فقال النبي ﷺ: «إنما هذا مِن إخوانِ الكُهَّانِ، مِن أَجْلِ سَجْعِهِ الذي سَجَعُ» (**). يعني: مِن أَجْلِ كلامه المسجوع؛ لأنَّ الكاهِنَ يأتي بكلامٍ مسجوعٍ لِيَنَمُقَ الكلامَ ويكونَ أشدَّ طَرَباً للأسماع.

الخلاصة:

١- السَّجْعُ المتكلفُ مذمومٌ.

٢- السَّجْعُ الذي يُراد به إبطالُ الحقِّ مذمومٌ، لكنَّ الأولَ مذمومٌ من حيث الشكل، =

(*) رواه البخاري (١٣/٥٤)، ومسلم (٢٠/رقم: ٦)، واللفظ للبخاري.

(**) رواه البخاري (٤٦/٧٦)، ومسلم (٢٨/رقم: ٣٦).

يقول [الحقي]:

لا تَكُنْ ظَالِمًا وَلَا تَرْضَ بِالظُّلْمِ ، وَأَتَكِرْ بِكُلِّ مَا يُسْتَطَاعُ
الَّذِي يَأْتِي الْحَسَابَ مَا يَظْلُومُ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ^(١)
وقوله [الرمل]:

لَا تُهَادِ النَّاسَ فِي أَوْطَانِهِمْ قَلَمًا يُزَعَى غَرِيبُ الْوَطَنِ
وَإِذَا مَا شِئْتَ عَيْشًا بَيْنَهُمْ خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنِ^(٢)

= والثاني مذمومٌ من حيث المضمون.

٣ - السَّجْعُ الَّذِي لَا يُبْطَلُ حَقًّا وَلَا يَأْتِي مُتَكَلِّفًا هَذَا مَحْمُودٌ؛ لِأَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّهُ يُحَسِّنُ الْكَلَامَ.

(١) قوله: «ما لظلم» وفي القرآن ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ﴾^(*)، «ما لظلم من حميم ولا شفيع يطاع» هذا يُسَمَّى الاقتباس، يعني: أَنَّهُ اقْتَبَسَ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ الْحَدِيثِ هَذِهِ الْجُمْلَةَ وَأَضَافَهَا إِلَى كَلَامِهِ، لَكِنْ لَا عَلَى أَنَّهَا مِنْهُ، بَلْ عَلَى أَنَّهَا مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنَ الْحَدِيثِ، وَلَكِنْ هَلْ هَذَا مَحْمُودٌ أَوْ لَا؟

هذا اشتهر بين الأدباء في القرون الوسطى، لكنّه فيما أرى مذمومٌ، خصوصاً إذا جاء في الشعر وهو من القرآن؛ لأنّ هذا يُوجِي بِأَنَّ الْقُرْآنَ نَوْعٌ مِنَ الشَّعْرِ، فَلِذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ إِذَا كَانَ فِي النَّظْمِ فَهُوَ مَذْمُومٌ؛ لِأَنَّهُ يَجِبُ إِبْعَادُ الْقُرْآنِ عَنِ الشَّعْرِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ يُسْأَلُ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحْيَى الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٦٩-٧٠].

(٢) الشاهد: «خالق الناس بخلق حسن»، هذا جزء من حديث^(**).

(*) الآية بتمامها: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمًا مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

(**) عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»، رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ (٥/٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٥٥/٢٤) وَغَيْرُهُمَا، وَحَسَنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (رقم: ٩٧).

ولا بأس بتغيير سبب في اللفظ المُقْبَس للوزن أو غيره، نحو [مُخْلَع
السيط].

قَدْ عَلِمْنَا مَا يَخْتَلِفُ لَكُمْ أَهْلًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ

وَالثَّلَاوَةُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(١) [البقرة: ١٥٦].

(١) لكن إذا غُيِّرَ فقد يُمنَعُ أن يكون اقتباساً؛ لأنه إذا تَغَيَّرَ ما صار بلفظ القرآن، ولا بلفظ الحديث.

الاقتباس إذاً من المحسنات اللفظية، لكن لا ينبغي أن يكون من القرآن إذا كان ذلك في الشعر (*).

(*) وبعد الدرس وَرَدَ إلى الشيخ رحمه الله هذا السؤال:

الطالب: ما الدليل على عدم جواز الاقتباس بشيء من القرآن أو الحديث مع أن الصحابة يقتبسون بشيء من القرآن، وما هو طلحة لما وصله الخبر أن قتلة عثمان نادمون على ما فعلوه قال: «تَبَّأَ لَهُمْ» وَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَرْصِيَةً وَلَا إِلَا أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ [يس]؟.

فأجاب رحمه الله: هذا ليس من الاقتباس، هذا من الاستشهاد، وأولاً لا بُدَّ أن يُبَيَّنَ هذا عن طلحة، ثبته أولاً ثم انظر هل يدخل في هذا أو لا، لأنه واضح أن هذا قرآن مُسْتَقِيلٌ، لكن استشهد به على نظيره، مثل قول الرسول ﷺ مع الحسن والحسين: «صدق الله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] اهـ. قلت: حديث الحسن والحسين رواه أحمد في مسنده (٣٥٤/٥)، وأبو داود (٢٣٣/٢) والترمذي (٥٠/٣١)، والنسائي (٣٠/١٤)، وابن ماجه (٢٠/٣٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم: ٣٧٥٧).

أما أثر طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقد أخرجه الطبري في «تاريخ الأمم والملوك: ٦٧٦/٢» وابن عساكر في «تاريخ دمشق: ٢٩٢/٤١».

خَاتِمَةٌ

خاتمة

١٦- حُسْنُ الْإِبْتِدَاءِ: هو أن يَجْعَلَ المتكَلِّمُ مَبْدَأَ كَلَامِهِ عَذْبَ اللَّفْظِ، حَسَنَ السَّبْكِ، صَحِيحَ الْمَعْنَى، فإذا اشْتَمَلَ على إِشَارَةٍ لَطِيفَةٍ إِلَى الْمَقْصُودِ سُمِّيَ «بِرَاعَةً الْإِسْتِهْلَالِ»^(١)، كَقَوْلِهِ فِي تَهْنِئَةِ بَزْوَالِ مَرَضٍ [البسيط]:

الْمَجْدُ عُوْفِي إِذْ عُوْفِيَتْ وَالْكَرْمُ وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ السَّقَمُ

وَقَوْلِ الْآخِرِ فِي التَّهْنِئَةِ بِنَاءً قَصْرٍ [الكامل]:

قَصْرٌ عَلَيْهِ نَجِيَّةٌ وَسَلَامٌ خَلَقْتَ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الْأَيَّامُ

١٧- حُسْنُ الْإِنْتِهَاءِ: هو أن يَجْعَلَ آخِرَ الْكَلَامِ عَذْبَ اللَّفْظِ، حَسَنَ السَّبْكِ، صَحِيحَ الْمَعْنَى، فَإِنْ اشْتَمَلَ عَلَى مَا يُشْعِرُ بِالْإِنْتِهَاءِ سُمِّيَ «بِرَاعَةً الْمَقْطَعِ»^(٢)، كَقَوْلِهِ [الطويل]:

بَقِيَتْ بَقَاءَ الدَّهْرِ يَا كَهْفَ أَهْلِهِ وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلٌ^(٣)

* * *

(١) ابن حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «بُلُوغِ الْمَرَامِ» قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا»، بِرَاعَةُ الْإِسْتِهْلَالِ فِي قَوْلِهِ: «حَدِيثًا»، وَكَلِمَةُ «بِرَاعَةٍ» تُفْهَمُ بِأَنَّ هَذَا الْأُسْلُوبَ يَأْتِي عَنْ ذِكَاةٍ وَفُطْنَةٍ.

(٢) وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: «بِرَاعَةُ الْإِخْتِمَامِ أَوْ الْإِنْتِهَاءِ»، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ.

(٣) الشَّاهِدُ قَوْلُهُ: «وَهَذَا دُعَاءٌ لِلْبَرِيَّةِ شَامِلٌ» يَعْنِي: انْتَهَيْنَا.

* * *

تَنْبِيْهُ

تَنْبِيْهٌ

ينبغي للمعلم أن يُناقش تلاميذه في مسائل كلِّ مَبْحَثٍ شَرَحَهُ لَهُمْ مِنْ هَذَا
الكتاب؛ لِيَتِمَكَّنُوا مِنْ فَهْمِهِ جَيِّدًا، فإذا رأى مِنْهُمْ ذَلِكَ سَأَلَهُمْ مَسَائِلَ أُخْرَى
يُمْكِنُهُمْ إدْرَاكُهَا مِمَّا فَهَمُّوهُ.

١- كَأَن يَسْأَلُهُمْ بَعْدَ شَرْحِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَفَهْمِهَا عَنْ أَسْبَابِ خُرُوجِ
الْعِبَارَاتِ الْآتِيَةِ عَنْهُمَا أَوْ عَنْ إِحْدَاهُمَا:

[مَجْزُوءُ الرَّجَزِ]:

١- وَجَفْنَةٌ مُثْعَنَجِرَةٌ وَطَعْنَةٌ مُسْحَنَفِرَةٌ
تَبْقَى غَدًا بِأَنْقَرَةٍ

أي: جَفْنَةٌ مَلَأَى، وَطَعْنَةٌ مُتَّسِعَةٌ، تَبْقَى بِلَدِّ أَنْقَرَةٍ.

[الرَّجَزِ]:

٢- الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ

٣- «أَكَلْتُ الْعَرِينَ، وَشَرَبْتُ الصَّمَادِحَ»، تَرِيدُ اللَّحْمَ وَالْمَاءَ الْخَالِصَ.

[السَّرِيعِ]:

٤- وَازْوَرَّ مَنْ كَانَ لَهُ زَائِرٌ وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ عِرْفَانُهُ

[الطويل]:

٥- أَلَا لَيْتَ شِغْرِي هَلْ يَلُومَنَّ قَوْمُهُ زُهَيْرًا عَلَى مَا جَرَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

[الكامل]:

٦- مَنْ يَهْتَدِي فِي الْفِعْلِ مَا لَا يَهْتَدِي فِي الْقَوْلِ حَتَّى يَفْعَلَ الشُّعْرَاءُ

أي: يهتدي في الفعل ما لا يهتديه الشعراء في القول حتى يفعل.

٧- «قُرْبَ مِثًا فَرَأَيْنَاهُ أَسْدًا»، تريد أُنْخَرَ.

٨- «يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا»، تقوله بشدة مخاطباً لِمَنْ إِذَا فَعَلَ عُدَّ فِعْلُهُ

كَرَمًا وَقَضَلًا.

* * *

ب- وَكَأَن يَسْأَلُهُمْ بَعْدَ بَابِ الْخَبَرِ وَالْإِنْشَاءِ أَنْ يُجِيبُوا عَمَّا يَأْتِي:

١- أَمِنْ الْخَبَرِ أَمْ الْإِنْشَاءِ:

- قولك: «الكلُّ أعظمُ من الجزء».

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قُلُوفَ كَاتٍ مِنْ قَوْرِ مُوسَى﴾ [القَصَص: ٧٦].

٢- ما الذي يستفيدة السامعُ من قولك:

- «أنا مُعْتَرِفٌ بِفَضْلِكَ».

- «أَنْتَ تَقُومُ فِي السَّحَرِ».

- «رَبِّ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ اصْطِبَارًا».

٣- من أي الأضرِب قوله تعالى عن رُسُلِ عيسى:

- ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٤].

- ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦].

٤- من أي أنواع الإنشاء هذه الأمثلة، وما معانيها المستفادة من القرائن:

[الطويل]:

- أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْتَنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعْتُنَا يَا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

- «إِغْمَلْ مَا بَدَا لَكَ».

- «لَا تَزْجِعْ عَنْ غَيْكَ».

- «لَا أَبَالِي أَقْعَدَ أَمْ قَامَ».

- ﴿وَهَلْ يُخْرِجُ إِلَّا الْكُفُورَ﴾ [سبا: ١٧].

- ﴿أَلَمْ تُزَيِّكْ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨].

[الرَّمَل]:

- لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَرْتُنَا مَا تَعْدُ وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا نَجِدُ

- «لو يأتينا فيُحَدِّثُنَا»

[الوافر]:

- أَسْكَانَ الْعَقِيقِ كَفَى فِرَاقًا

ج- وكان يسألهم بعد «الذكر والحذف» :

* عن دواعي الذكر في هذه الأمثلة :

١- ﴿أَمَرَ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن : ١٠].

٢- «الرئيس كَلَّمَنِي فِي أَمْرِكَ، والرئيسُ أَمَرَنِي بِمُقَابَلَتِكَ»، تَخَاطَبُ غَيًّا.

٣- «الأميرُ نَشَرَ المعارِفَ، وأَمَّنَ المخاوِفَ»، جواباً لَمَنْ سَأَلَ: مَا فَعَلَ الأميرُ؟.

٤- «حَضَرَ السارقُ»، جواباً لقائلٍ: هل حَضَرَ السارقُ؟.

٥- «الجِدَارُ مُشْرِفٌ عَلَى السَّقُوطِ»، تقوله بعد سَبَقِ ذِكْرِهِ؛ تنبيهاً لصاحبه.

* وعن دواعي الحذف في هذه الأمثلة :

١- ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [الجن : ١٠].

٢- ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِّيَرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل : ٥-٧].

٣- ﴿خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [الأعلى : ٢].

٤- ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَكَأْوَى﴾ [الضحى : ٦].

٥- ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف : ١٨].

٦- «مُنْضِجَةُ الزُّرُوعِ، ومُصْلِحَةُ الهَوَاءِ».

٧- «مُخْتَالٌ مُرَاوِعٌ»، بعد ذِكْرِ إِنْسَانٍ.

[الكامل]:

٨- أَمْ كَيْفَ يَنْطِقُ بِالْقَبِيحِ مُجَاهِرًا وَالْهَرُّ يُخَدِّثُ مَا يَشَاءُ فَيَذْفِرُنْ

* * *

د - وَكَأَن يَسْأَلُهُمْ عَنْ دَوَاعِي التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ فِي هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ:

١- ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

[البسيط]:

٢- مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ

٣- «السَّفَاحُ فِي دَارِكَ».

٤- «إِذَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ الزَّمَانُ نَقْتَرِحُ عَلَيْكَ مَا نَشَاءُ».

٥- «الْإِنْسَانُ جِسْمٌ نَامٍ، حَسَّاسٌ نَاطِقٌ».

٦- «اللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُضْلِحَ الْأَمْرَ».

٧- «الدَّهْرُ مَلَأَ فَوْدِي شَيْئًا».

٨- ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦].

[البسيط]:

٩- ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا: شَمْسُ الضُّحَى، وَأَبُو إِسْحَاقَ، وَالْقَمَرُ

[المتقارب]:

١٠- وما أنا أَسَقَمْتُ جِسْمِي بِهِ وما أنا أَضَرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارًا

* * *

هـ- وَكَأَن يَسْأَلُهُمْ بَعْدَ التَّشْبِيهِ عَنِ التَّشْبِيهَاتِ الْآتِيَةِ:

[الطويل]:

١- وَقَدْ لَاحَ فِي الصُّبْحِ الثُّرَيَّا لَمَنْ رَأَى كَعُنُقُودِ مَلَاحِيَةٍ حِينَ نَوَّرَا

[المُنْشَرَح]:

٢- كَأَنَّمَا النَّارُ فِي تَلْهِيهَا وَالْفَحْمُ مِنْ فَوْقِهَا يُغَطِّيهَا
زَنْجِيَّةٌ شَبَّكَتْ أَنْامِلَهَا مِنْ فَوْقِ نَارِنَجَةٍ لِتُخْفِيهَا

[الكامل]:

٣- وَكَأَن أَجْرَامَ النُّجُومِ لَوَامِعًا دُرَّرَ نُشْرَنَ عَلَى بِسَاطِ أَزْرَقِ

[الكامل]:

٤- عَرَمَاتُهُ مِثْلُ النُّجُومِ ثَوَاقِبًا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلثَّاقِبَاتِ أَفْوَلُ

[الكامل]:

٥- أَبْذُلُ فَإِنَّ الْمَالَ شَفَرٌ كُلَّمَا أَوْسَفَتْهُ خَلَقًا يَزِيدُ نَبَاتًا

[الطويل]:

٦- وَلَمَّا بَدَأَ لِي مِنْكَ مَيْلٌ مَعَ الْعِدَا عَلَيَّ وَلَمْ يَخْذُثْ سِوَاكَ بِدِيلُ

صَدَدْتُ كَمَا صَدَّ الرَّمْيُ تَطَاوَلَتْ بِهِ مُدَّةُ الْأَيَّامِ وَهُوَ قَتِيلٌ

[الخفيف]:

٧- رَبِّ حَيٍّ كَمَيْتٍ لَيْسَ فِيهِ أَمَلٌ يُزْتَجَى لِنَفْعٍ وَضُرٍّ

وَعِظَامٍ تَحْتَ الثَّرَابِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ مِنْهَا آثَارُ حَمْدٍ وَشُكْرِ

[الطويل]:

٨- كَأَنَّ انْتِصَاءَ الْبَدْرِ مِنْ تَحْتِ غَيْمِهِ نَجَاةٌ مِنَ الْبَاسِ بَعْدَ وَقُوعِ

* * *

و- وَكَأَنَّ يَسْأَلُهُمْ عَنِ الْمُحْسَنَاتِ الْبَدِيعَةِ فِيمَا يَأْتِي:

[مجزوء الرَّمْل]:

١- كَانَ مَا كَانَ وَزَالًا فَاطْرَحَ قَبْلًا وَقَالَ

أَيْهَا الْمَفْرُضُ عَنَّا حَسْبُكَ اللَّهُ تَعَالَى

٢- ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾

[الأنعام: ١٢٢].

[الكامل]:

٣- خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا لِمَكْرَمَةٍ فَكَأَنَّهُمْ خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا

[الطويل]:

٤- عَلَى رَأْسِ حُرٍّ تَاجٌ عَزُّ يَزِينُهُ وَفِي رِجْلِ عَبْدٍ قَيْدٌ ذُلٌّ يَشِينُهُ

[المُجْتَث]:

٥- مَنْ قَاسَ جَدَوَاكَ يَوْمًا
بِالسُّخْبِ أَخْطَأَ مَذْحَكَ
السُّخْبُ تُغْطِي وَتَبْكِي وَأَنْتَ تُغْطِي وَتَضْحَكُ

[الكامل]:

٦- آرَأَوْكُمْ وَوُجُوهُكُمْ وَسُيُوفُكُمْ
فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَوْنَ نَجُومَ

[الخفيف]:

٧- إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ مَتَاعٌ
وَالسَّفِيهُ الْغَبِيُّ مَنْ يَضْطَفِيهَا
مَا مَضَى فَاتٌ وَالْمُؤَمِّلُ غَيْبٌ
وَلَكِ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا

[البسيط]:

٨- لَا عَيْبَ فِيهِمْ سِوَى أَنَّ النَّزِيلَ بِهِمْ
يَسْلُوْا عَنِ الْأَهْلِ وَالْأَوْطَانِ وَالْحَشَمِ

[مجزوء الخفيف]:

٩- عَاشِرِ النَّاسِ بِالْجَمِيعِ
وَتَيْقُظٌ وَقُلْ لِمَنْ
وَحَلَّ الْمُزَاحِمَةُ
يَتَعَاطَى الْمُزَاح: مَهْ

[الوافر]:

١٠- فَلَمْ تَضَعْ الْأَعَادِي قَدْرَ شَانِي
وَلَا قَالُوا فَلَانٌ قَدْ رَشَانِي

١١- أَيُّ شَيْءٍ أَطْيَبُ مِنْ ابْتِسَامِ الثُّغُورِ، وَدَوَامِ السُّرُورِ، وَبُكَاءِ الْغَمَامِ،
وَنُوحِ الْحَمَامِ.

[البسيط]:

١٢- مَدَحْتُ مَجْدَكَ، وَالْإِخْلَاصُ مُلْتَزَمِي فِيهِ، وَحُسْنُ رَجَائِي فِيكَ مُخْتَتَمِي

* * *

وَلَا يَضَعُبُ عَلَى الْمُعَلِّمِ اقْتِفَاءُ هَذَا الْمَنْهَجِ، وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى طَرِيقِ النُّجَاحِ.

* * *

تَمَّ الْكِتَابُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

الفهارس العامة

١- فهرس الآيات .

٢- فهرس الأحاديث والآثار .

٣- فهرس الأشعار .

٤- فهرس أنصاف الأبيات .

٥- فهرس الأعلام .

٦- فهرس المذاهب والطوائف .

٧- فهرس الكتب .

٨- فهرس المواضيع .

فهرس الآيات

(حسب ورودها في المصحف)

الآية	السورة/ رقم الآية	الصفحة
- إِيَّاكَ نَعْبُدُ	الفاتحة/ ٥	٦٩ ، ٧٥
- أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	البقرة/ ٥	٦١ ، ١٢٧
- سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ	البقرة/ ٦	٥٢
- وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ...	البقرة/ ١٤ - ١٥	٨٤
- أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ	البقرة/ ١٦	١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨
- يَجْعَلُونَ أَسْمَاءَهُمْ فِي ءَادَانِهِمْ	البقرة/ ١٩	١١٩ ، ١٣٤
- وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا ...	البقرة/ ٢٣	٤٤
- الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَهْدَ اللَّهِ	البقرة/ ٢٧	١٢٨
- وَاتَّكَمُوا مَعَ الزَّكِيِّينَ	البقرة/ ٤٣	١٣٤
- يُسْأَلُوكُم بِسُوءِ الْفَكَارِ يُدْخِلُونَ أَبْنَاءَهُمْ	البقرة/ ٤٩	٨٠
- إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ	البقرة/ ١٥٦	١٧٧
- وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ	البقرة/ ١٧٩	٩١
- فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ	البقرة/ ١٨٥	١٦٣
- وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ ...	البقرة/ ١٨٧	١٥١
- يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَاجِّ	البقرة/ ١٨٩	١٧٠
- رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً	البقرة/ ٢٠١	٩٦
- يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ مِّمَّا لَوَلَّيْتُمْ	البقرة/ ٢١٥	١٧٠
- وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَیَصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ	البقرة/ ٢٢٨	١٣٩
- مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ	البقرة/ ٢٥٥	٥٤

الآية	السورة/ رقم الآية	الصفحة
- يُعِيبُ وَيُخَيِّتُ	البقرة/ ٢٥٨	١٩١
- أَلَيْسَ لِي عِندَ اللَّهِ بَدَلٌ مُّوَفِّيًا	البقرة/ ٢٥٩	٥١
- رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا	البقرة/ ٢٨٦	٤٦
- رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ	البقرة/ ٢٨٦	٤٦
- وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالَّذِينَ آمَنُوا اسْمِعُوا سَامِعَةً	آل عمران/ ٢٠	٥٣
- يَسْمِعُوا أَنْ لَكُمْ هَذَا	آل عمران/ ٣٧	٥١
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ	آل عمران/ ١٠٢	٥
- فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ	آل عمران/ ١٠٧	١٣٥
- وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ	آل عمران/ ١٤٤	٧٤
- إِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ	آل عمران/ ١٨٤	٩٢
- لَا يَرْفَعُ قَلْبُكَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْآلَةِ	آل عمران/ ١٩٦	٤٦
- مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ وَنَسِ الْإِهَادُ	آل عمران/ ١٩٧	٤٦
- يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَ ...	النساء/ ١	٥
- وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُتُوا بِهَا	النساء/ ٢	١٣٤
- وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي حَقَّ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ ...	النساء/ ٦	١٣٤
- وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا	النساء/ ٢٨	٦٣
- وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا	النساء/ ١٦٦	٣٩
- إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ	المائدة/ ٢	٣٧
- وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ	المائدة/ ٤	١٦١
- إِنَّمَا يَنْتَقِلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ	المائدة/ ٢٧	١٥٣
- فَلَا تَخْشَوْا نَاسًا وَأَخْشَوْا	المائدة/ ٤٤	٥٣
- قَهْلَ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ	المائدة/ ٩١	٥٣
- أَغْنَى اللَّهُ تَعْدُونَ	الأنعام/ ٤٠	٥٢
- وَهُوَ الَّذِي يَنْفَعُكُمْ بِالْأَيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ	الأنعام/ ٦٠	١٦١
- وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ	الأنعام/ ٦٨	٨٧

الآية	السورة/ رقم الآية	الصفحة
- أَوْ مَنْ كَانَ مَبِينًا فَأُحْيَيْنَاهُ	الأنعام/ ١٢٢	١٩١
- قَهْلَ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا	الأعراف/ ٥٣	٥٦
- وَلَا تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا	الأعراف/ ٥٦	٤٥
- قَالَ إِبْنُ أُمِّ إِيَّ الْقَوْمِ اسْتَضَعُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ...	الأعراف/ ١٥٠	٤٥
- ثُمَّ لَمْ يَنْصَحُواكُمْ شَيْئًا	التوبة/ ٤	٤٠
- أَتَخْشَوْنَهُمْ قَالَ أَوْحَى أَنْ تَخْشَوْهُ	التوبة/ ١٣	٥٣
- مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْبِئُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَاقَلْتُمْ ...	التوبة/ ٣٨	١٦٦
- أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَرْفَعُهُمْ وَيُنْزِلُهُمْ ...	التوبة/ ٧٨	٩٧
- فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا	التوبة/ ٨٢	١٦٢، ٨٠
- وَمَا كَانَتْ أَسْطِنَاذُ إِبْرَاهِيمَ لِأَيُّو إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ ...	التوبة/ ١١٤	٩٣
- وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ	يونس/ ٢٥	٦٢
- وَلَا تُخْطِئُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ	هود/ ٣٧	٣٨
- سَوَّلْتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمَرَ فَصَبْرٌ جَبِيلٌ	يوسف/ ١٨	١٨٨
- إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ	يوسف/ ٣١	٧٦، ٧٥
- لِيَسْجَنَ وَلِيَكُونَ مِنَ الصَّغِيرِينَ	يوسف/ ٣٢	٤٠
- إِنِّي أَرَى أَصْحَابَ خَمْرٍ	يوسف/ ٣٦	١٣٥
- فَأَرْسِلُوهُ ^(١٥) يُوسُفُ ابْنُ الصِّدِّيقِ	يوسف/ ٤٥ - ٤٦	٩٢
- وَمَا أُبْرِئُ نَفْسٍ إِنْ أَلْفَسَ لَأَمَارَةً بِالشُّوْهِ	يوسف/ ٥٣	٨٣
- كَتَبْتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنْ ...	إبراهيم/ ١	١٢٣
- يَسْمُوكُمْ سَوَاءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُوكُمْ أَبْنَاءَكُمْ	إبراهيم/ ٦	٨٠
- رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ	إبراهيم/ ٤١	٩٣
- أَلَمْ أَمُرْ اللَّهَ	النحل/ ١	١٣٥
- وَيَعْمَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ شُبَّانَتَهُنَّ وَلَهُنَّ مَا يَشْتَهُونَ	النحل/ ٥٧	٩٥
- فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ	النحل/ ١١٢	١٢٨
- وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ	الإسراء/ ٢٤	١٢٦

الآية	السورة/ رقم الآية	الصفحة
- وَلَئِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ	الإسراء/ ٧٣	٤٠
- وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا	الإسراء/ ٨١	٩٥
- وَنَحْسَبُهُمْ أُنْثَىٰ ظَالِمًا وَهُمْ رُوَدٌ	الكهف/ ١٨	١٦٢
- كَمْ لَبِثْتُمْ	الكهف/ ١٩	٥٢
- إِيَّايَ وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي	مريم/ ٤	٣٧
- رَبِّ إِيَّايَ وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا	مريم/ ٤	٨٨
- خُذِ الصِّكْرَ بِقُوَّةٍ	مريم/ ١٢	٤٢
- يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوهُ أَمْرًا سَوَوَ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا	مريم/ ٢٨	١٥٢
- أَمْسِجْ يَوْمَ وَابْعِزْ	مريم/ ٣٨	٥٨
- أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا	مريم/ ٧٣	٥٢
- فَوَسَّوْا لِلَّذِي الشَّيْطَانُ قَالَ يَكَادِمُ	طه/ ١٢٠	٨١
- أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ	الأنبياء/ ٣٦	٤٥
- إِنَّمَا يُوحِي إِلَيْنَا أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ ...	الأنبياء/ ١٠٨	٥٣
- ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ هُوَ الْفَاقِ	الحج/ ٦	٣٩
- وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ...	المؤمنون/ ١٢ - ١٣	١٦٤
- مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَتْ مَعَهُ مِنْ آلِهَةٍ	المؤمنون/ ٩١	٣٩
- أَلَمْ نَرْبِكُمْ فِيمَا أُولَدْنَا	الشعراء/ ١٨	١٨٧
- فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْفَاحِشِينَ	الشعراء/ ١٠٢	٥٦
- وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ	الشعراء/ ٢٢٤	١٦٧
- وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَتَذَكَّرُ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٦﴾ أَتَذَكَّرُ بِأَنفُسِهِ وَبَيْنَ	الشعراء/ ١٣٢ - ١٣٣	٩٣، ٨١
- عَلَيْنَا مَطِيقُ الْعَذَابِ	النمل/ ١٦	٥١
- أَوْضَعِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ	النمل/ ١٩	٤٣
- إِنَّ قُرُونَهُ كَانَتْ مِنْ قَوَرٍ مُوَسَّى	القصص/ ٧٦	١٨٦
- وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا ...	الرُّوم/ ٦ - ٧	١٦٢
- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ...	الأحزاب/ ٧٠ - ٧١	٥

الآية	السورة/ رقم الآية	الصفحة
- ذَلِكَ جَزَاءُهم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَافِرُونَ	سبا/ ١٧	١٨٧، ٩٥
- إِنْ يَرَوْا اللَّهَ عَلَيْهِ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ ...	فاطر/ ٣٨	٩٧
- إِنَّا إِلَيْنَا مَرْسَلُونَ	يس/ ١٤	١٨٧
- رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْنَا لَمَرْسَلُونَ	يس/ ١٦	١٨٧
- فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِيَّةَ وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ	يس/ ٥٠	١٧٧
- وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ ...	يس/ ٦٩ - ٧٠	١٧٦
- هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ	الزمر/ ٩	٦٣
- أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ	الزمر/ ٣٦	٥٢
- وَيَرْزُقْ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا	غافر/ ١٣	١٤٤، ١٣٣
- وَأَنْذَرْنَاهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ...	غافر/ ١٨	١٧٦
- وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ ...	فصلت/ ٣٤	١١١
- اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ	فصلت/ ٤٠	٤٣
- أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الذِّكْرَى	الدخان/ ١٣	٤٧
- فَإِذَا يَفْقَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا قُضِيَ الْقَضَاءُ	محمّد/ ٤	٤٣
- أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كَفَّارٍ عَابِدٍ	ق/ ٢٤	٤٠
- فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا صَبِيرُوا	الطور/ ١٦	٤٤
- فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ	الطور/ ٣٤	٤٤
- أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ يَسْتَوِيُونَ بِهِ قُلُوبُ مَسْتَمِعَةٍ يَسْطَونَ فِيهِ	الطور/ ٣٨	٤٤
- أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ	الطور/ ٣٩	٤٩
- أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ	الطور/ ٤١	٤٩
- هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ	الرحمن/ ٦٠	٥٢
- هَلْ أَتَاكُمْ عَلَى بُحَيْرٍ تُجِيعُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ	الصف/ ١٠	٥٣
- إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِّحُونَ قَالُوا تَسْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولٌ ...	المنافقون/ ١	٩٥
- إِنْ يَرَوْا آيَاتِنَا مِنْ آيَاتِنَا لَيَكْفُرْنَ بِهَا وَلَئِنْ لَمْ يَرْجِعْ إِلَى آيَاتِنَا لَيَكْفُرْنَ بِهَا وَلَئِنْ لَمْ يَرْجِعْ إِلَى آيَاتِنَا لَيَكْفُرْنَ بِهَا ...	التغابن/ ١٤	٩٤
- إِنَّمَا آمَنَ لَكُمْ وَأَوَّلَكُمْ وَنَسَئَكُمْ	التغابن/ ١٥	١٧٧

الآية	السورة/ رقم الآية	الصفحة
- لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا	الطلاق/ ١	٥٥
- لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ	الطلاق/ ٧	٤٢
- حِسْبَةُ الرَّاضِيَةِ	الحاقة/ ٢١	١٤٣
- رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتُكَ مُؤْمِنًا...	نوح/ ٢٨	٩٣
- وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمِّنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ ...	الجن/ ١٠	١٨٨، ٢٩
- لَا أَقِيمُ	القيامة/ ١	٤٠
- يَتَنَبَّأُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ	القيامة/ ٦	٥١
- وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّطَهَّرُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا	الإنسان/ ١٩	١٠٧
- كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿١﴾ ذُو كَلَّا سَيَعْلَمُونَ	النبأ/ ٤ - ٥	٩٤
- وَجَعَلْنَا آيَاتٍ لِّبَاسًا	النبأ/ ١٠	١٠٧
- إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَجْمٍ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ	الانفطار/ ١٣ - ١٤	٨٠
- قَهْلَ الْكَافِرِينَ أَنَّهُمْ رَوْنًا	الطارق/ ١٧	٨٢
- سَجَّ اسْمُ رَبِّكَ الْأَعْلَى	الأعلى/ ١	٣٦
- خَلَقَ فَوَسَّيَ	الأعلى/ ٢	١٨٨
- هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَنَسِيِّ	الغاشية/ ١	٥٣، ٣٦
- وَجَاءَ رُبُّكَ	الفجر/ ٢٢	١٤٥
- فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى	الليل/ ٥ - ٧	١٨٨
- فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ...	الليل/ ٥ - ١٠	١٦٢
- أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَكَوَّنَ	الضحى/ ٦	١٨٨
- فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْجُرْ ﴿١﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ	الضحى/ ٩ - ١٠	٤٠
- أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ	الشرح/ ١	٥٣
- نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا	القدر/ ٤	٩٣
- كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ	التكاثر/ ٣ - ٤	٩٤
- لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ	الكاغرون/ ٦	١٨٩
- وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ كُفْرًا أَحَدٌ	الإخلاص/ ٤	١٨٩

فهرس الأحاديث والآثار

(حسب الترتيب الهجائي)

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
١٧٦	- اتقِ اللهَ حيثما كنت
١١١	- أحبِّ حبيبك هَؤُلاً ما
٥٣	- انتهينا انتهينا (عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)
١٣٥	- أنتِ رحمتي أرحم بكِ مَنْ أشاء
٨٧	- إنما الأعمال بالنيات
١٧٥	- إنما هذا من إخوان الكُفَّان
١١٢	- إنَّ من البيان لسحراً
١٥٢	- إنَّ وسادك لعريضٌ
١٧٧	- تَبَّأَ لهم... (طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)
٤٥	- تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ
٣٧	- الجنة أقرب إلى أحدكم
١٧٧	- صَدَقَ اللهُ
١٣٤	- قَسَمْتُ الصَّلَاةَ
١٧٥	- قضاء الله أحقُّ
٣٦	- كان رسول الله ﷺ يقرأ... (النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)
٦٩	- كلُّ ذلك لم يكن

- ٢٥ - اللهم اغفر لحينا وميتنا
- ٢٤ - اللهم اغفر لي ذنبي كله
- ٢٥ - اللهم اغفر لي ما قدمت
- ١٧٠ - ما بال الهلال... (الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ)
- ١٦٦ - ما ينقم ابنُ جميلٍ
- ٨٧ - مَنْ عمل عملاً
- ٨٧ - مَنْ كان يؤمن بالله
- ٢٩ - والشرُّ ليس إليك

فهرس الأشعار

(حسب الترتيب الهجائي للقافية)

القافية	البحر	الصفحة	القافية	البحر	الصفحة
الألف			ج		
شتا	المتقارب	١٤٩	الرجز		٤٠
الهمزة			ح		
الشعراء	الكامل	١٨٦	الكامل		١١٣
الماء	الكامل	١٠٩	الدال		
ماء	الخفيف	١٦٤	الخفيف		٦٧
ب			الرمل		١٨٧
الكتائب	الطويل	١٦٦	أحد		١٦٥
قواضب	الطويل	١٧٤	وحدى		٢٠
كوكب	الطويل	١١٠	مؤددة		١٨
جانب	الطويل	١٨٦	بالبرد		١٢٥
دنب	البسيط	١٩	مفسدة		١٦٤
المسيب	الوافر	٥٥	عدوا		١٦٥
لهيأ	الخفيف	١٦٨	كدأ	مجزوء الكامل	٨٨
ت			لتجمدا	الطويل	٢٢
نباتاً	الكامل	١٩٠	زندي	الطويل	١٧٤
			يزيد	المجث	١٦١

القافية	البحر	الصفحة	القافية	البحر	الصفحة
	ر		تطلع	مجزوء الرجز	٤٦
بمقدار	البسيط	٨٣	المجامعُ	الطويل	١٨٧
الفراؤ	المديد	٤٤	مسمعي	الطويل	١٩
سمنارُ	البسيط	٢٠	الفَنَعَا	البسيط	٦٨
نارًا	المتقارب	١٩٠	وقوعُ	الطويل	١٩١
يُجَبِّرُ	الكامل	١١١	ضلوعي	الكامل	١٦٣
الخبرِ	المنسرح	٨٢	ق		
بأنقرة	مجزوء الرجز	١٨٥	موثّق	الطويل	١٣٩
وشكرِ	الخفيف	١٩١	فيصدقُ	الطويل	٦٨
والقمر	البسيط	١٨٩	أزرقُ	الكامل	١٩٠
كالنورِ	البسيط	١١٢	منتطقِ	البسيط	١٦٧
نورًا	الطويل	١٩٠	أنطقُ	الكامل	١٢٨
تعبيرِ	البسيط	١١٢	وما خُلِفُوا	الكامل	١٩١
الغريبِ	مجزوء الكامل	١١٢	ك		
أطير	الطويل	٥٦	تضحكُ	المجتث	١٩٢
	ض		ل		
تعرضًا	الطويل	١٠٦	كالآلي	المجتث	١٠٨
	ط		الغزالي	الوافر	١١٠
ينقطُ	الكامل	١٦٣	أوصالي	الطويل	٩٢
	ع		تعالى	مجزوء الرمل	١٩١
يطاع	الخفيف	١٧٦	دلائلُ	الكامل	٢١
تنفعُ	الكامل	١٢٦	بأمثلِ	الطويل	٤٣

القافية	البحر	الصفحة	القافية	البحر	الصفحة
شاملٌ	الطويل	١٨١	لكرِيمُ	الطويل	٩٤
طبولٌ	الطويل	١٨	تهبُّمٌ	الكامل	٨٣
يتحوَّلُ	الكامل	١٥٢	ن		
أفولٌ	الكامل	١٩٠	إنساناً	البسيط	١٧٣
سبيلٌ	الطويل	١٧٤	رشاني	الوافر	١٩٢
بديل	الطويل	١٩١	الأضغانِ	الكامل	١٥٠
طويلٌ	الخفيف	٦٢	عرفانَه	السريع	١٨٥
م			سُكَّانُ	الطويل	٥٧
الأيامُ	الكامل	١٨١	ترجأنُ	السريع	٩٥
مختمي	البسيط	١٩٣	حَسَنُ	الرمل	١٧٦
المزاحَ مَهْ	مجزوء الخفيف	١٩٢	فيدفنُ	الكامل	١٨٩
الأسحِمِ	الكامل	١١١	راجعوناً	مخلَّع البسيط	١٧٧
يتوسَّمُ	الكامل	٣٦	تعرفوني	الوافر	٣٧
والحشمِ	البسيط	١٩٢	يَشِينُهُ	الطويل	١٩١
تلطمُ	الكامل	١١٢	هـ		
غدِ عَمِ	الطويل	١٦٥	أنت فيها	الخفيف	١٩٢
السقمُ	البسيط	١٨١	لتخفيها	المنسرح	١٩٠
تحكُّمًا	المتقارب	١١١	ي		
ألمُ	الرمل	١٦٨	العشي	المتقارب	١٤٣
وسلَّما	الطويل	١٦٨	باقيا	الطويل	١٦٧
أرضهمُ	السريع	١٧٣	تهمي	الكامل	٩٦
نجومُ	الكامل	١٩٢			

فهرس أنصاف الأبيات

(حسب الترتيب الهجائي)

السطر	البحر	الصفحة
- أَسْكَانَ الْعَقِيقِ كَفَى فِرَاقاً	الوافر	١٨٧
- الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْأَجَلِّ	الرجز	١٨٥
- فِي رَفْعِ عَرْشِ الشَّرْعِ مِثْلَكَ يَشْرَعُ	الكامل	١٩
- مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُذَرِّكُهُ	البسيط	١٨٩
- وَأَعْلَمَ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ	الطويل	٨٨
- وَأَلْفَى قَوْلَهَا كَذِباً وَمِيناً	الوافر	٨٨
- وَحَذَفُ مَا يُعْلَمُ جَائِزٌ...	الرجز	٤٩
- وَلَيْسَ قَرَبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ	الرجز	١٩

فهرس الأعلام

(الذين ذكرهم الشيخ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ)

الْعَلَم	الصفحة
- آدم عَلَيْهِ السَّلَام	١٥٣ ، ١٦٤
- إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام	٩٣
- ابن تيمية	٢٣ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٤٥
- ابن جميل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	١٦٦
- ابن الجوزي	٢٣ ، ١٧٤
- الْحَجَّاج	١٦٩
- ابن حَجَر	١٨١
- الحريري	١٩
- الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	١٧٧
- الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	١٦١ ، ١٧٧
- حمل بن النابغة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	١٧٥
- ابن سعدي	٢٣
- سِنَمَار	٢١
- طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	١٧٧
- عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	١٥١
- عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ	٥١ ، ١٤٣

- عيسى رَحِمَهُ اللهُ ١٥٢
- قابيل ١٥٣
- القبعثرى ١٦٩
- ابن القيم ١٤٥ ، ١١٧ ، ١٠١
- ابن مالك ٤٩ ، ٤٠ ، ٢٩
- محمد الأمين الشنقيطي ١١٧
- محمد رشيد رضا ٢٣
- مريم ١٥٢
- مُسَيِّلِمَةُ الْكَذَّاب ٣٣
- موسى رَحِمَهُ اللهُ ٨٧
- الموفق (ابن قدامة المقدسي) ٦٨
- نوح رَحِمَهُ اللهُ ٩٣
- يزيد بن معاوية ١٦١
- يوسف رَحِمَهُ اللهُ ٩٢ ، ٨٧

المذاهب والطوائف

(التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ)

- الأدباء ١٧٦
- أهل التحريف ١٤٥
- أهل السُّنَّة والجماعة ١٤٥
- البصريون ٥٣
- البلاغيون ١٥١ ، ٨٤
- الجاهليون ٩١
- الجن ٢٩
- المشركون ٥٤
- مُضَر (المُضَرِّيَّة) ١٦٨
- المناطق ١٤٥
- النحويون ٥٢

الكتب

(التي ذكرها الشيخ رَحِمَهُ اللهُ)

- إتحاف الفاضل بالفعل المبني لغير الفاعل ١٤٤
- ألفية ابن مالك ٢٩
- الإيمان ١١٧
- بلوغ المرام ١٨١
- التبصرة ١٧٤
- الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة ١١٧ ، ١٠١
- مقامات الحريري ١٩

فهرس المواضيع

٥	مقدمة المُعتَبِي
١٠	ترجمة موجزة للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ
١٣	مقدمة المؤلفين
١٧	مقدمة في الفصاحة والبلاغة
٢٩	علم المعاني
٣٣	الخبر والإنشاء
٣٦	الكلام على الخبر
٣٧	الغرض من إلقاء الخبر
٣٨	أضرب الخبر
٤١	الكلام على الإنشاء
٤٢	١- الأمر
٤٥	٢- النهي
٤٧	٣- الاستفهام
٥٥	٤- التمني
٥٧	٥- النداء
٥٨	الإنشاء غير الطلبي
٦١	الدُّكر والحذف
٦٧	التقديم والتأخير
٧٣	القصر
٧٩	الفصل والوصل
٨٠	مواضع الوصل بالواو
٨١	مواضع الفصل

٨٧	الإيجاز والإطناب والمساواة
٩١	أقسام الإيجاز
٩٣	أقسام الإطناب
١٠١	عِلْمُ الْيَّان
١٠٥	التشبيه
١٠٦	المبحث الأول في : أركان التشبيه
١٠٨	المبحث الثاني في : أقسام التشبيه
١١٠	المبحث الثالث في : أغراض التشبيه
١١٧	المَجَاز
١٢٣	الاستِعَارَة
١٣٣	المَجَاز المُرْسَل
١٣٩	المَجَاز المُرَكَّب
١٤٣	المَجَاز العَقْلِي
١٤٩	الكِنَايَة
١٥٧	عِلْمُ الْبَدِيع
١٦١	مُحَسَّنَاتٌ مَعْنَوِيَّةٌ
١٦١	التورية
١٦٢	الطُّبَاق
١٦٢	المقابلة
١٦٢	مراعاة النظر
١٦٣	الاستخدام
١٦٤	الجَمْع
١٦٤	التفريق
١٦٥	التقسيم
١٦٦	تأكيد المدح بما يشبه الذم

١٦٧	حُسن التعليل
١٦٧	اثنلاف اللفظ مع المعنى
١٦٩	أسلوب الحكيم
١٧٣	مُحَسَّنَات لَفْظِيَّة
١٧٣	الجناس
١٧٤	السَّجْع
١٧٥	الاقْتَباس
١٨١	خَاتِمَةٌ
١٨١	حُسن الابتداء
١٨١	حُسن الانتهاء
١٨٥	تَنْبِيْه
١٩٥	الفهارس العامة
١٩٧	فهرس الآيات
٢٠٣	فهرس الأحاديث والآثار
٢٠٥	فهرس الأشعار
٢٠٨	فهرس أنصاف الأبيات
٢٠٩	فهرس الأعلام
٢١١	فهرس المذاهب والطوائف
٢١٢	فهرس الكتب
٢١٣	فهرس المواضع

تم الصف والإخراج

بشركة غراس للطباعة والكمبيوتر

هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ - فاكس: ٤٨٣٨٤٩٥

ألفية ابن مالك

في النحو والصرف

لإمام العربية العلامة محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي

رحمته الله (٦٠٠ - ٦٧٢ هـ)

شرح

فضيلة الشيخ العلامة النحوي

محمد بن صالح العثيمين

رحمته الله (١٣٤٧ - ١٤٢١ هـ)

اعتنى به

محمد بن فلاح المطيري